



عهد.. بيننا

رواية

لـ

مارا أحمد



رواية

عمر بيننا

مارا أحمد

الكتاب: عهد بيننا

اسم المؤلف: مارا أحمد (مرفت أحمد محمود)

المقاس: 20x14

رقم الإيداع: 2026/7410م

الترقيم الدولي: 6 – 8 - 99976 - 633 - 978

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

ألا تستحي أن تقول أخيراً، دون خوف:

"أنا لا يكفيني رجل واحد ..

لأن كل رجل رأيت،

لم يكن يشبهني بالكامل،

بل .. لم يكملني!

1

"في نفس البقعة المباركة وبنفس الخشوع بعد كل صلاة طوال سنوات رافعا كفيه ورأسه للسماء يستتجد بربه مرددا دعاء يتكرر كل يوم ..

- "عهد يا رب، عهد يا رب"

كما أن الضحك معدٍ، كذلك البكاء في حضرة البيت الحرام يعدي.

شاركه الحبيب عهده وبكوا مع بكائه .. كانت الألسنة ترتجف وهي تردد عبارته: "عهد يا رب"، ويرتفع صوت النحيب .. كل يبكي ما أضاعه، وما اقترفه من ذنوب .. يتضرعون بصدق أن يغفر لهم، أما شيخنا فكان يبكي عهدا آخر".

وقفت أمام خزانة مطبخها، في كفها الأيسر بصلة، وفي الكف الأيمن سكين نزلت به في عنف وغضب على تلك البصلة تمزقها؛ لتختلط دموعها برائحتها النفاذة الحارقة .. وارتفع صوت خنينها .. كانت كلما نزلت بالسكين على تلك البصلة المسكينة وكأنها تنزل به على إحساسها بالفشل، تقطع كل من ساهم في اعتقالها وتكبييل أحلامها ..

كم سخرت في صباها من أمها ونساء أسرتها، اللاتي قبعن في البيت نفسه والمبنى نفسه والشارع نفسه والمحافظة نفسها والبلد نفسه، فعاشوا كما القوط المنزلية التي اقتصرت حياتها على شهوتي الأكل والجنس ..

كانت أحلامها تجاوز عقلها، تحلق إلى اللاحدود.

تمر السنون لتتشكل نسخة أخرى من نساء بلدته، تسير يومياً في الشارع نفسه وتركب المركبة نفسها التي تأخذها إلى مقر عملها في مكتبة تعج بالكتب المرصوفة بأناقة وبترقيم وتسلسل يهدي من ينشدها إليها .. لكن من يطلب الكتب قليل ..

تعود إلى بيتها لتواصل دور الأم والزوجة، ليسقط من حساباتها - لسنين- دور المبدعة .. تنسى أحلامها التي تجاوزت الحدود لتتبخّر، فتعلق في إحدى السحب أو ربما سكنت إحدى الأشجار، تنتظر من يصيدها أو قد تمطر مع يوم شتوي ليتلقفها نبي أو رسول أو مبدع .. كلما تزايدت الواجبات، تخلت عنها أحلامها الخاصة جدا ..

لم تكن هدى أمّا تقليدية تكتفي برعاية بيتها، تتسلسل أولوياتها ليبدأ أولها في المطبخ، بل اتسمت أمومتها بالوعي والثقافة، أختارت أن تكون أما عصرية ، أخذت على عاتقها التنقيب داخل أبنائها على كنوز الإبداع .. بعد أن تنتهي من مهامها المنزلية تصحب أولادها إلى النادي لممارسة السباحة والكراتيه والتايكوندو، إلى أن يستقر كل طفل على رياضة استهوته، لتركز عليها وتشجعه على الاستمرار فيها، كذلك اهتمت بممارسة الأولاد للعزف على أي آلة، لكن لم يعشق الموسيقى إلا ابنتها الصغرى .. وقبل النوم تمسك كتابا أو رواية لتقرأها عليهم .. هكذا عودتهم على عشق القراءة والرياضة والفن ..

نسيت هدى وسيطر على حياتها أم وجد، مدام هدى
أمانة المكتبة، ليختفي اسمها ويُدفن تحت ركام
الالتزامات والأمانات ..

ظلت لشهور تبتلع غضبها وثورتها على تلك الأدوار
التي كانت تؤديها كما الآلة ، ولكنها لم تعد تتحمل، فلقد
انتشرت على جلدها تلك البقع الزرقاء التي اعتادت
ظهورها مع كل غضب .. خشيت أن يصيبها مرض
الضغط أو ينزل بها السكري .. كانت تنتظر وقتا يعلن
فيه الجميع أنهم لم يعودوا في حاجة إلى خدماتها
ويطلقوا سراحها غير المشروط ..

ذات يوم ثارت أمي على القيد والمسؤوليات التي لا تقل، بل تتراكم مع الزمن وكأنها تنفض ما حط فوق ظهرها، فصارت تتحرك بثقل أحنى ظهرها، وصراخها في وجه أبي لم يكن إلا صراخا في وجه العالم الذي يسمها بنقص العقل ثم يلقي فوق كاهلها كل المسؤوليات دون كلمة شكر:

- مللت الأمانات، كرهت إحساسي المستمر بالتقصير وتأنيب الضمير وجلده لي .. أوبخ نفسي لأن الطعام كان باردا حين قدمته لكم .. كنت أجلد ذاتي لأنني نسيت موعد الدواء لواحد من أطفالي، وأشعر بالفشل إن دخل أحدكم البيت ولم أقم بتطبيق الغسيل وتنسيقه في الدواليب ..

قلقة بشكل دائم حول متابعة واجبات الأولاد، والقمصان غير المكوية .. وموعد تمرين كل ابن، وتوبيخي لنفسي إن نسيت يوم التمرين .. وتوبيخي لنفسي إن قصرت في ضيافتي لأفراد عائلتك الذين يقومون بزيارتنا في نهاية الأسبوع والذي أحلم دوما بأنه سيكون يوم استراحتي .. جميعكم له إجازة وأيام راحة إلا أنا، حتى حقك الشرعي لا يتأجج إلا في يوم الخميس الذي أدعو الله أن يمر بسلام، أن تزهد في تلك الرغبة وتطلق حرיתי

وتمنحني حقي أن أرتمي على الفراش .. تحولت
الرغبة الفطرية إلى واجب ومسؤولية ثقيلة على قلبي..
"ينصت أبي في حزن وألم لأن أمي ترجمت البيت
والأسرة، بل وحبها لها بهذا التفسير البشع"؛ لتصفعه
بطلبها للطلاق.

"ذهل أبي وسكت كمن على رأسه الطير"
جرت أمي إلى حجرتها ورفعت حقيبة الملابس التي
أعدتها سافراً، فيبدو أنها قد اتخذت القرار مسبقاً دون
الحق في دفاع أبي ونحن عن أنفسنا"
أبي:

- إلى أين ماما؟ الوقت متأخر!
- أنا.. اسمي.. هدى "لفظت الجملة متقطعة وكأنها
تهدهه"

- لتبق إلى الصباح فالنهار له عيني .. اهدي بالله..
- لقد طلبت أوبر وهو ينتظرني أمام البيت..
"حاول أبي إثرائها عن قرار الرحيل، ولكنها دفعته
وفتحت الباب ودخلت المصعد، ولم ترفع عينيها حتى
لوداعه ..

استيقظت صباحاً لأستعد لتناول الفطور والتوجه إلى
المعهد .. ناديت:
- ماما أين الفطور أنا مستعجلة.. عندي محاضرات؟..
ماما

لا رد .. البيت خاوٍ من رائحة أمي ومن صوتها الذي
ينير قلبي بالحب والأمان .. طرقت باب حجرتها عدة
طرقات، ولكن لا مجيب، ليخرج أبي وبين أنامله
سيجارة .. نظرت داخل غرفتهما لأجد المطفأة وقد
اكتظت بأعقاب السجائر، فأبي لم ينم ليلتها.

- أبي .. أين ماما؟

- تركت البيت

- لم .. هل ذهبت إلى السوق باكر هكذا؟

- لا .. مشت غاضبة.

- من أغضبها؟

- كلنا يغضبها.

- طيب .. إلى أين ذهبت؟

- أكيد إلى بيت جدتك.

- ما هذا اليوم؟!

سأذهب إلى المعهد وبعد أن أنتهي من المحاضرات
سأتجه إلى بيت جدتي لأعيدها

"لم يرد"

أنا "عهد"، طالبة في معهد السينما قسم إخراج .. في
عامي الثاني .. اكتشفت أمي موهبة الإخراج في منذ
كنت تلميذة في الابتدائي .. رأيتني أخرج عملا فنيا
بسيطا في الصالة وقد قمت بعمل مسرح بستارة أخذتها
من الدولاب، ووزعت الأدوار على أبناء أعمامي،
احتضنتني ونظرت في عيني: (أنت فنانة يا حبيبتني ..
ستكونين مخرجة أكيد).

لي أخ أكبر، متزوج ويعمل كصحفي بدار أخبار اليوم،
وأختي الوسطى خريجة صيدلة وتعمل في هيئة الدواء

..
أبي الأستاذ "سلام"، معلم لغة عربية للمرحلة الثانوية
يؤمن برسائلته كمربي أجيال يحمل رسالة .. لا يقبل
الدروس الخصوصية، وتدرج في مهنته حتى تولى
إدارة مدرسته إلى أن خرج إلى المعاش ..

أمي "هدى"، موظفة في دار الكتب المصرية كأمنية
مكتبة .. ترقّت إلى أن أصبحت مديرة للدار .. شغلة
نشاط كما الملكة في خلية نحل، لم أرها إلا وهي تعمل
شيئاً ما، إما في المطبخ لإعداد الطعام أو في البلكونة
لتلملم أو تنشر الغسيل، أو تجلس أمام التلفاز ويبيدها
طبق وسكين لتجهيز الطعام وتخزينه في الديب فريزر،
أو في صحبتنا إلى النادي لممارسة كل واحد فينا
لرياضته، أو تعد لنا شطائر للسهرة أو كي ملابسنا التي
ترتبها في الدولاب لأسبوع.. هكذا كانت أمي .. تتقن
عدة مهام وعدة مهن .. لم نشعر بها مريضة أو تشكو،
حتى حين يصيبها البرد تتحرك وهي مربوطة الرأس،
لتكمل مهامها وكأنها سوبر إنسان ..

أما أبي فيعود من مدرسته ليأخذ حماماً دافئاً، والذي
تعدّه أمي له، منشفته وملابسه والبرنص الخاص به ثم
كوب ليمون دافئ، ثم يأخذ قيلولته حتى تعد هي وجبة
الغداء .. بعدها ينهض الجميع كل إلى غرفته لينجز ما

عليه من واجبات، وأمي في المطبخ تغسل المواعين وتعد المشروبات الدافئة لنا ..

ويجلس أبي أمام التلفاز ليتابع الأخبار أو مباريات الكرة أو فيلما قديما .. ينتهي يوم أمي حين تدخل حجراتنا لتطمئن أن الغطاء محكوم على أجسامنا ثم ترتب مكاتبنا وتطفئ الأنوار.. لتدخل غرفتها لتلق بجسدها المنهك على السرير طلبا للراحة.

أنهيت يومي بالجامعة وتوجهت لبيت جدتي وفي يقيني أنني سأقنع أمي بالعودة معي إلى بيتنا، فهي أبدا لا تستغنى عن مملكتها، والبيت خراب دون صوتها، بل ظلها، لتفاجئي بما في داخلها من غضب وملل وشعور بالضغط النفسي وحاجتها أن تبتعد ..

تبتعد؟ تبتعد عن؟ .. هل من الطبيعي أن يعيش الإنسان منفصلا عن قلبه أو عن أحد أجزاء جسده؟
ما هذا العبط؟!

كيف تطلب أمي أن تموت وتقتلنا معها، فلا حياة بدونها ولا وطن بلا حدودها؟!

- حقي أن أقعد مع نفسي .. عاوزة أكلّمها وأعرف ما يسعدها .. أنا قدمت كل ما أقدر عليه لكم، وكل واحد عايش حياته، أما أنا فلم أستمتع بحياتي.. لم تأت فرصة لكي أنفرد بنفسي وأعرف هل أنا سعيدة أم لا .. ولما انفردت بنفسي في يوم بعد جواز أخوك أكتشفت أنني غير سعيدة .. رأيتني كما الخادم أو العبد الذي ينفذ التعليمات أو كما مصباح علاء الدين، الجميع له

رغبات يضغط على المصباح ليلى. نظرت في المرأة لأرى امرأة اقتربت من الخمسين بغير روح لا أعرفها، أنا في حركة دائمة كما إنسان آلى صنع ليلى طلبات الآخرين ولا حق له في الحرية أو أن يشتكي.. كانت لي أحلام كثيرة، كان الزواج والبيت أحدها، لم يكن أبدا كل أحلامي ليقف المجتمع والتقاليد كجدار عازل ليحجم أحلامي وقزمها حتى صارت "أمومة" فقط توهمت في لحظة رومانسية ساذجة أن يشجعني زوجي في استكمال دراستي العليا أو حتى يتيح لي الفرصة في الخدمة الاجتماعية كنت قد أعددت أبحاثا وتوصيات ودراسات تمنيت أن أفيد بها الناس لكن الواقع أن البيت أخذني .. كانت أمنيتي أن أعمل كتاب إلكتروني أسبوعي لتثقيف الناس .. لكن تم تخزيني داخل المطبخ والوظيفة والبيت.

...

- هل ترين أمومتك لنا تقزما ياماما؟!
- لم أقصد ذلك .. لكن كان لابد أن تكون أمومتي بجانب اسمي .. ألا أكون أم وجدي فقط، بل أحتفظ باسمي وأن يذكر بجوار أمومتي فأنا امرأة لها طموح.
أنا في احتياج أن أنفرد بنفسى فترة، أخلص لها ولن يحدث ذلك إلا بالطلاق، طالما أنا زوجة ففي رقبتي التزامات لابد من الوفاء بها لذا لابد أن أتخلص من أي التزام ..

"كان الحديث طويلا من طرف أمي فلم تتح لي فرصة التحوار أو النقاش، ولكن شعرت أنها متعبة وحزينة وغير سعيدة، وأدركت أن من حقها أن تفتش عما يسعدها

لم أتمكن من أن أنطق بجملة "أن سعادتك لن تكون بعيدا عنا".. اكتفيت بالإنصات لها وقبّلت جبينها وانصرفت، ولكن قبل انصرافي سألتها: هل عندك غداء لأنني ميته من الجوع؟ جرت حبيبتي إلى المطبخ وأحضرت غداءها الذي اشترته وهي عائدة من عملها وقدمته لي.

انتقاء أسمائي أنا وأخواتي له معنى ومدلول لدى أبي وأمي، وتم الاختيار بالاتفاق بينهما، فكان أخي الأكبر "وجد"، ثم أختي الوسطى "وعد"، ثم أنا "عهد"؛ ليضاف في نهاية اسم كل منا ياء الملكية عند المناداة لنصير وجدي وعدي وعهدي ..

وجدي تزوج من ابنة رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها، وانشغل عن بيتنا وغرق في المسؤوليات وحياته الخاصة متخذا من أبي وأمي قدوة له في الإخلاص لبيته وبناء مؤسسته الجديدة، وصرحه الخاص، وتغافل قليلا عن أسرتنا واحتياج أمي له فهي أم وهو الأكبر في أبنائها وأول لبنة في عالمها ..

وانشغلت أختي في وظيفتها التي حولتها إلى موظفة تقليدية ونفضت عن عقلها تلك الأحلام في أن تكون اليد

التي تكتشف الدواء وتصنعه بثمن بسيط يتناسب مع دخل الفقراء، لتتحول إلى مجرد بائعة كما بائعات المستهلكات في سوبر ماركت متخصص في الدواء ومنتجات التجميل والعطور تحت اسم "الصيدلية" .. وفي الصباح تعمل في هيئة الدواء..

ما اجتمعنا عليه جميعا هو حب الأدب والفن والرياضة تربية على المكتبة الغنية التي أسستها أمي .. وجدت متعتي في قراءة الروايات، المصرية منها والإنجليزية وكذلك الروسية.. أحلم منذ كنت طفلة أن أحول كل رواية أقرأها مع أمي إلى مسرحية أو فيلم أخرجه أنا أسلط الكأمي را على وجه البطل أو البطلة .. علمتني أمي أن العيون تبوح بما تحاول أن تكذب فيه الألسنة. لم أحلم بأن أكون ممثلة، رغم أنه لا مانع لدي، لكنني أجد نفسي أكثر كما الفنان التشكيلي .. بريشته يقتحم النفس الإنسانية ويعريها ليخلق أجمل اللوحات بألوانها الكاشفة .. كبرت وحلم الإخراج والفن صارا رفيقي في الحلم وفي خططي المستقبلية.

اعتدنا أن تدور الحوارات بيننا في وجبة الغداء، التي بالكاد تجمعنا، فالجميع يُكيف ظروفه على حسب مواعيد انتهاء عمله أو جامعته .. فنذر تجمعنا، حتى وجبة العشاء صارت مجرد شطائر تعدها أمي وتغلفها لكل منا في طبق خاص، وتتركه على المائدة مع عدد حبات من الفاكهة المتوفرة ..

دخلت وعد من الباب في وقت متأخر وهي في حالة من الشرود والحزن لتخبرنا أنها كانت عند أمي في محاولة لإعادتها، ولكن باءت محاولتها بالفشل ووقف أبي في صمت واستدار ليدخل غرفته ويده السجارة .. إذن فقرار أمي نهائي..

"يجب ألا نستسلم لما تقررته هي، فنحن شركاء في هذا البيت وتلك الأسرة ولن نسمح لأي من كان أن يهدم هذا المجتمع الصغير والعظيم، لكن لنمنحها قليلا من الوقت لتتنفس وتعيد التفكير"
هكذا قال أبي.

استيقظت مبكرا كما اعتدت أو كما عودتنا أُمي ..
مارست بعض تمارين الكارديو وبعض الحركات
الراقصة التي تساعدني علي الاحتفاظ بلياقتي - فأنا أعد
نفسي للعمل في المسرح - حلم يكبر في عقلي كل يوم بل
كل ساعة.

أخذت حماما دافئا وتناولت كوبا من عصير البرتقال،
الذي اعتادت أُمي إعداده لنا في فصل الشتاء لتقوية
المناعة ومنحنا شيئا من الطاقة، ارتديت بنطالا من
الجبردين زيتي اللون، وبلوزة من القطن بنبية اللون،
وفوقها سويتير مفتوح بني داكن، ووضعت حول رقبتني
وشاحا من اللون النبيذي، وأطلقت شعري الأسود
بتجاعيده - لا أحاول أن أغير من طبيعته، فأنا أوُمن أن
ما أبدعه الخالق أجمل مما تفسده أيدينا، ووضعت قرطا
ذهبيا على شكل مخرطة تنتهي بكرات صغيرة اعتادت
بنات الريف ارتدائه في الستينيات والسبعينيات، فمازلت
أندوق الحلي المصرية سواء كانت من الذهب أو النحاس
أو الفضة، بل وتستهويني أيضا الحلي البلاستيكية ذات
الطابع الهندي لكن بألوان قاتمة.. وضعت قدمي في حذاء
برقبة قصيرة نبيذي اللون، وحملت حقيبتني ذات الأيدي
الطويلة المصنوعة من قماش الخيمية المطرزة بالتريكو
وحبات من الأحجار على شكل مثلثات ونجوم، تنتمي
للتراث العربي، وتوجهت إلى مبنى التلفزيون لأجل

التدريب، فلقد استطعت بعلاقتي بالجامعة وتفوقي أن أجد مكانا لأطبق ما أدرسه عمليا ولأجل التدريب على الإخراج، وهناك كانت رحلتي الأولى مع الحياة العملية والانخراط في عالم جديد.

تكررت المحاولات مني ومن أختي وعد وأخي وجدي، ولكن باءت كل محاولتنا بالفشل .. كان هناك إصرار من أمي على حريتها وتحررها من مسؤولياتنا التي أنهكت قواها وعرقلت قدراتها عن أن تحقق أهم أحلامها، ألا وهو الكتابة والعمل الاجتماعي، كان رد فعل وجدي كما عودنا باردا كما الحاسوب .. كان أكثرنا تعاطفا مع أمي:

"لندعها تقرر مصيرها وتختار ما يريحها .. ولينشغل كل منا بهوممه، فهم كبار بما يكفي وليس في حاجة إلى وصاية منا" ..

قلت له:

- وبابا يا وجدي؟! لقد اعتاد الاتكال على أمي في كل شيء، لا يستطيع أن يدير أمور حياته دونها، أصابه الاكتئاب والحزن .

ليرد وجدي في شدة:

- بابا مدلل بطريقة سخيفة .. لابد أن يعتمد على نفسه فأموره بسيطة .. سهل أن ينظم مواعيد أدويته، ولينزل للجلوس على المقهي مثله مثل من هم في سنه، أما عن الطعام فنحن في عصر الشطائر والوجبات السريعة .. يتصل بأي مطعم ليرسل له وجباته دليفري ..

نظر في ساعته وربت على كتفي، وقبل وعد واستأذن في الانصراف، فلقد ارتبط بعدة لقاءات لشخصيات سياسية هامة..

أكثرنا تأثرا كان أبي .. انعزل أغلب الوقت في غرفته لم يتمكن أو لم يحاول أن يملأ الفراغ الذي تركته زوجته .. حاول أن يقنع نفسه بقدرته على الفطام منها بأن كثف زيارته لأخواته، ولكن فشل في النهاية، فلقد اكتشف أن الجميع منشغل ولديه أولوياته ومشاغله، فلا مكان له في أجندة عائلته، بل شعر كأنه يتيم تلطم على صدر الجميع .. ليعود وينكب على نفسه في غرفته.

عدت ذات مساء وفي يدي وجبات جاهزة، لأجد عطر أمي يفوح في بيتنا، وطيفها يملأ كل الحجرات وصوت أطباق أجمل من صوت فيروز يعبئ البيت..

كان أجمل خبر .. عودة أمي .. كيف ومتى ومن تمكن من إقناعها بالعودة؟! لا يهم.. يكفي فقط أنها عادت..

لقد لمست أمي نجومات السعادة حين وعت ماذا تريد وما خلقت لأجله ... نصف النجاح في أن تفهم نفسك وتدرك قدراتك، واكتملا معا حين تنازل أبي عن جزء من أنانيته ليشارك زوجته تحقيق أحلامها.. وكما أن الأنانية مرض مقيت فأیضا العطاء والإيثار حين يطغى على ذواتنا، أيضا مقيت .. يجب أن نلتقي عند نقطة وأن نتبادل الأخذ والعطاء.

"صعب جداً، بل يكاد يكون مستحيلاً أن يتنكر الإنسان لتاريخه، لوطنه وليس سهلاً أن يتخلى عن أماناته التي علقها باختياره في رقبتة ويغادر هكذا دون ثمن .. وأبهظ الأثمان هو الضمير وقرعائه والحنين ووخزاته التي تؤلم القلب وتطارد النوم..

(هكذا قالت أُمِّي لأبي .. مبررة عودتها).

والرد من والدي أنه أعفاها من بعض مسؤولياتها المنزلية ووعداها بأن يساعدها في البيت وفي تحقيق طموحاتها، فهو الآن علي المعاش ويريد أن يستغل أوقات فراغه في شئ يسعده، ولن يسعده إلا أن يسعد من يحب ..

لكن أُمِّي التي اعتادت النظام والتحرك وفق جدول وتوقيتات محددة، لم تتخل عن دورها معنا، فقط تحررت قليلاً من تعلق أبي في رقبتها، فلم يعد لنا طلبات إلا الوجبات التي تقلصت لوجبة واحدة غالباً؛ فلقد انشغلنا جميعاً، أخي في بيته وأختي في عملها وتجهيز نفسها، وأبي يقضي جل وقته في انتظارنا وتقصي أخبارنا وأضاف إلى قائمة مهماته إعداد الوجبة لمن يعود أو تسخينها فقط..

كلنا وعى أنها كانت تنتظر منا الامتحان فقط .. فهي تدرّك جيداً أن الوطن أبداً لا يفر.. لا يتبرأ من ابنائه ..

كنت في كافيتيريا المعهد حين وصل إلى مسامعي من أصدقائي أن هناك إعلانا معلقا على لوحة التعليمات يعلن فيه المعهد عن منحة مخفضة لدراسة الإخراج في لندن للحاصلين على تقدير جيد جدا في السنة الأولى .. وهناك مقابلة واختبارات لمن يريد أن يحصل على تلك المنحة .. توجهت لإدارة المعهد وسألت عن تفاصيل الإعلان، الذي حول حياتي وتفكيري كليا .. عدت إلى البيت في انتظار أمي لكي أناقش معها وأبي تلك الخطوة ..

لم أستغرق طويلا في إقناعها ، فلقد أرادت لي أن أحقق نجاحا ذاتيا فشلت هي في تحقيقه. كذلك أبي الذي أراد أن يريح ضميره ويترك لكل منا حرية الاختيار والنجاح بالشكل الذي نختاره .. واكتفى بأن سرد عددا من النصائح وذكرني بقيمتنا وثقافتنا التي لا يجب أبدا الاستهانة بها والتخلي عنها .. اجتزت الاختبارات التي أعدتها اللجنة، كنت وثلاثة فقط من دفعتي من تم اختيارهم بعد عدة تصفيات ..

لنبدأ رحلتي إلى لندن والالتحاق بالأكاديمية الملكية للفنون المسرحية .. هنا كانت نقطة تحول واكتشاف شخصيتي الجديدة ..

مارست كلمة الحرية المسؤولة، واكتشفت ذاتي، صاحبته، تحدثنا بلا رفة جفن أو غمضة عين خجلاً.. انتظمت في محاضراتي لأعود إلى شقتي بذلك المبني المتواضع لأتناول "الوجبات الجاهزة" ثم أغفو قليلاً لأواصل الليل في التعرف علي هذا العالم واكتشافه، لأعود قبل منتصف الليل ..

اعتدت أن أرثدي ما يليق بي وأراه مريحاً .. لا أشغل بالي بالמושضة ولا الألوان التي تقررها بيوت الأزياء الغربية، فمذ كنت طفلة كانت لي ذائقتي المختلفة والمميزة لتتنضح تلك الذائقة مع النضج فصارت لي لمساتي وألواني التي تخصني، استمتع في تنسيقها كنت ألتزم ببعض اللمسات الشرقية سواء كان قرطاً أضعه في أذني أو إيشارب ألقى به حول رقبتني، أو تسريحة شعر تعلن عن مصريتي ..

ربما كان هناك بعض التحفظ في الاقتراب مني في بداية انتظامي في الأكاديمية، لكن بدأ تفوقي وتميزي في طرح بعض الأفكار والأسئلة في لفت النظر إلي لم أنعمده..

لألتقي به، "دكتور عدنان" من المملكة الهاشمية .. كان وسيما .. ماجنا .. مثقفا وقارئا جيدا في السياسة والفلسفة والفن، وكان هو بالنسبة لي الأكاديمية الأولى التي تعلمت في أروقتها معنى الأنوثة ومعنى التلذذ بالحب بجانب الإخراج والتمثيل ..

الحب الذي لطالما رفضته، لأنني كنت أخشى أن يسحب أقدامي إلى معتقل اسمه الزواج، لأتحول إلى امرأة تعيش كأمي ، فوق ظهرها زكائب من الأمانات. عندما علم أنني مصرية، اصطحبني معه إلى شارع العرب، حيث مقهى يجتمع فيه الفنانون والشعراء العرب والمغتربون حيث يلقي قصائده، فسحرتني. يخرج حرف الظاء من فيه كأنفجار نافورة عطر مغربية ..

أنصت إلى جدله في قضايا دينية وفلسفية، فيتملكني السكوت، ينعقد لساني فلا أجرو أن أغيب سمعي عن انتظام جملة وكلماته ورصانة أفكاره بعربية فصيحة وغربية متطرفة ..

كم لاحظت نظرات النساء إليه في حالة من النشوة .. وكدت كامرأة العزيز أقع في سحره، وحمدت الله أنهن لم يوزعن السكاكين ولا التفاح، وإلا لقطعت يدي ... تمكن مني ذلك العدنان ..

ذات ليلة - كانت فارقة في حياتي - دعاني إلى سهرة فنية خاصة والتي تنعقد السبت الأخير من كل شهر في أحد بيوت الأثرياء العرب .. كان أغلب الضيوف من

الفنانات والفنانين عرب، وعدد قليل من العاملين -من جنسيات مختلفة - بالمؤسسة التي يعمل بها عدنان، وعدد ليس بالقليل من الرجال الأثرياء ..

بحثت عن أحد الأركان القريبة من إحدى الأشجار لأهرب من عيون الناس، اكتشفت موقعا هادئا في الحديقة تحت شجرة لم يسقط عليها إضاءة شديدة كباقي الأركان.. جلست على الكرسي لم أتحرك، فأنا أعاني من فوبيا الزحام والإحساس بالقلق والتعرق كلما وجدتني بين جمع من الناس حتى لو كانوا من الأقارب لم ألحظ الكاميرات التي تنتشر في كل الأركان.

لاحظ عدنان خجلي وتعرقّي، فأمسك بيدي وجذبني ليقدمني إلى صاحب تلك الفيلا الأنيقة، كان أحد رجال الأعمال العرب العاشق للأدب والفن وخاصة المصري مدحني ومدح مصر، والتي وصفها بهوليوود العرب والشرق ..

شكرته على كلماته الترحابة وحاولت أن أعود إلى بقعتي تحت تلك الشجرة التي شاركتني رهبة الزحام، انزويت في تلك البقعة الهادئة طوال ساعات الحفل.

بدأ عدنان فعاليات الحفل ممسكا بالمايك:

"تمكنا من إدارة الفقرات وإجبار الجميع على الإنصات والاستمتاع بالفقرات، وكنت أراقب وأتابع مستمتعة بعدد المبدعين والمبدعات من مطربين وممثلين."

- من فضلكم .. لنبدأ فعاليات السهرة ويسعدني أن أقدم لكم من مصر المخرجة الواعدة "عهد سلام" المعشوقة.

"كلماته كانت قوية، ألقاها بحركاته التي تنم عن الثقة بالنفس إلى أن وقف عند كلمة "المعشوقة"، لتهتز أوصالي فأتفكك إلى حريم السلطان .. أفيق وألمم كل تلك الإناث اللاتي نثرهن عدنان وأجري إلى بقعتي في تلك الزاوية المظلمة تحت الشجرة.

"يعود عدنان مسرعا بعد أن قدم أولى الفقرات، وكانت مطربة لبنانية جميلة تعدت الثلاثين بقليل ..
"تقدم عدنان ناحيتي موجهًا إلي الكلام:

- أعتذر يا عهد أن تجاوزت حدودي وقدمتك على أنك معشوقتي، لكن ذلك سبب .. كانت نيتي حسنة، فلقد أردت أن أبعد عنك محاولات الرجال وخاصة صائدي الجمال للاقتراب منك.. فهنا كثيرون ومحاولتهم بتجديد الحريم

- ماهذه الكلمة؟ "حريم" لا أحترم هذه الكلمة كما أنها مهينة للجنسين.

- ربما في مخيلة النساء، أما أن تقعي في عالم الرجال الأثرياء فلا بد أن تلتزمي بقوانينهم، وفي عقلية أغلب الحضور هنا لهذه الكلمة وقع السحر، كما هي لأغلب الحاضرات فهي صفقة متبادلة تنتهي بالسعادة للطرفين؛ لذلك أردت أن تكون لي الأسبقية وأصرف

شهوة الجميع عنك وألا يقترب منك أيهم ويتعرض إليك
بأي تحرش ..

- يبدو أنك تشير بالكلام إلى شخص محدد.

- حسين؟ "صاحب لفظه لاسمه ضحكة تحمل الكثير
من السخرية"

- لا .. لا فهو إنسان مثقف ومحترم و.." ..

"نظرت إليه أنتظر استكمالا لتلك الجملة ولكنه اكتفى
بها ليتنقل بين حكمه .."

- لكن لابد أن تتعلمي أول درس حين تتعاملين مع
الرجال، وخاصة من يعملون بالتجارة، أنهم ينظرون
إلى المرأة كأنتى .. لا يرونها بصفاتها أو مكانتها سواء
أكانت وزيرة أو معلمة أو أستاذة جامعية، فهي تبقى في
عين الرجل أنتى قابله للصيد .. تجدينهم حين ينتقدون
مثلا وزيرة، لن يعلق على إنجازاتها أو تقصيرها، لكنه
سيسبها أو يمدحها بما يثير ذكورته، فهي إما فاتنة ..
ساحرة أو شمطاء عجوز .. مسكينة المرأة في عالم
الرجال ..

- وأنت كيف تتعامل معها؟ أم لا تحسب نفسك رجلا؟

- ماذا؟! "ضحكته كانت عالية وكأنها احتوت كل
الرجال لولا السماعات والموسيقى لسمعها كل
الحضور".

- وكيف أثبت لك أنني رجل، أخبريني؟!

"خرجت من فمه كما فحيح أفعى تتسحب لتتنقض على فريستها .. ولخجلي من كلمة خرجت بحسن نية تداركت الموقف واعتذرت.

- لم أقصد، إنما قصدت كيف ترى أو تتعامل أنت مع النساء، هل مثلهم صياد أم أنت من عالم آخر؟
- بالطبع لا .. أنا مثلهم، بل أفضعهم .. من أولويات هواياتي جمع النساء .. كما "جامع الفراشات"، غير أن بطل هذا الفيلم كان يجد لذة في سجنهن وتعذيبهن، أما أنا فأكتفي بلمس المرأة وتذوقها ثم أطلقها لحريتها .. اعتبريني كحارس حديقة يكتفي برعاية الزهور وتشمم عطرها الفاتن، لكن ليست كل النساء وليست كل الجميلات أيضا .. أجمع النوادر .. (وعاد لضحكته الصاخبة المزعجة) .. أتعرفين؟ خرجت الكلمة "معشوقتي" من قلبي وليس من فمي .. ليته تكون حقيقة!

- شريقي أغلقت فمي وعيني ورفعت الأدرينالين في جسدي لتفور في وجهي الدماء ..
- مضطر أتركك قليلا لاستكمال فقرات السهرة، سأعود بعد قليل.

تقرب مني إحدى الفنانات - اللاتي أضعن عمرهن في اصطیاد فرصة للوصول إلى النجومية- فاستعضن عنها بالتألق في الأماكن التي قد تتيح لهن معارف وعلاقات ينتفعن منها - تستأذنيني في الجلوس - تفضلي.

- هل أكون متطفلة لو سألتك منذ متى تعرفين عدنان؟
- منذ شهرين.
- عدنان شخصية ساحرة فعلا، لكنه كأى فنان يفتش في ديمومة عن ملهمة.
- ماذا تقصدين؟!
- لم أقصد أو ألمح إلى شئ معين لكنها الحقيقة .. الفنان يعشق حريته فقط ومعها الجمال، وعدنان متفرد في تذوقه للجمال.
- هو عاشق "للمرأة" وليست امرأة بعينها .. أعذر .. لابد أن أنصرف، فبعد قليل سيقوم السيد حسين بتوزيع الهدايا..
- "كنت أرتدي فستان سهرة مكشوف الكتفين، قماشه يلتصق بصدري ويسير مع خطوط جسدي حتى الوسط، ليتسع في شكل كلوش وينتهي عند ركبتى، وقد ألقيت بوشاح من الفرو الصناعي فوق كتفي وأطلقت شعري كما هو بتجعيداته بلا تنسيق، ووضعت القليل من الزينة، ورسمت عينيّ بكحل عربي ومددت خطوطها في رسمة فرعونية زادت من اتساع عيني وجمالها ..
- تخلل الفقرات رقصة من فنانة مصرية ... طالت السهرة وحاولت أن أستاذن في الانصراف لكن عدنان رجائي في الانتظار وقال إنه سيقوم بتوصيلي حتى بيتي.

جاءت فقرة توزيع الهدايا .. كانت تخص أجمل قصيدة
وأجمل رقصة وأجمل لوحة وأجمل عزف وأغنية
لأفاجأ بإبداع السيد حسين بهدية أو جائزة لأجمل امرأة

انتظرت لأرى تلك الجميلة التي لفتت انتباهه وانتباه
عدنان ومن ينظمون الصالون، لأسمع اسمي .. ارتبكت
فلم أستطع النهوض من مقعدي، ولم أجرؤ على أن
أتحرك في طريق المنصة التي كانت تتوسط حديقة
الفلا .. يسرع عدنان في المجئ ليصطحبني لاستلام
الهدية أو الجائزة .. كانت الجائزة عبارة عن مفتاح
معلق بميدالية تحمل اسم شركته .. لم أفهم ما هذا
المفتاح ولا لأي شيء يستخدم .. كان يشبه مفتاح
السيارات الحديثة، ولكن استبعدت أن يهديني سيارة،
فهو احتمال لا نتوقعه إلا في الأحلام .. شكرت الجميع
وخصت كلمتي الأخيرة للسيد حسين وعدنان، ثم
سألت:

- ما هذا المفتاح؟ ولم؟ أنا لم ألق شعرا ولا عزفت
موسيقى ولا حتى تمايلت برقصة حتى أفوز بأي
جائزة!

ابتسم السيد حسين ثم أجاب:

- لقد شاركت بجمالك وأناقتك التي حملتني إلى مصر
العتيقة وأناقة المرأة المصرية وشموخها.
- لأي شيء هذا المفتاح؟
- سيارة من إنتاج مصانعنا .. ستروق لك جدا.

نظرت إلى عدنان أتعلق بمشورة منه أو أن يفسر لي،
أو يحلل أو يحرم لي حصولي على تلك السيارة، لكنه
وقف في حالة من الرضا غريبة.
تقدم السيد حسين ليواجهني:

- هل تقبلين أن تشاركوني رقصة ختام السهرة؟
"كيف سكنت وكيف قبلت وكيف رقصت؟ لم أع!!"
"قام عدنان بتوصيلي حتى المبنى الذي أسكن فيه ..
طوال الطريق كنت صامتة أنتظر منه تفسيراً أو حتى
تحذيراً، لكنه اكتفى بالسكوت.

اتصال تليفوني أيقظني من نومي، فوجئت بصوت رجل يعرفني بنفسه بأنه مايكل فريد، كان واحدا من الحضور في تلك الاحتفالية، علم بأنني مصرية وقد شهد فوزي بأجمل الضيفات .. لم يفتني أن أسأله كيف توصل لرقم تليفوني، حيث أخبرني بأن كل واحد من الحضور يجب أن يترك رقم تليفونه في الاستقبال على بوابة الفيلا .. كان يعلم كل تفصيلة عما دار في تلك الليلة لتنتهي المحادثة بعرضه أن يلقاني ليفسر لي بشكل أكثر وضوحا ما أراد أن يحدثني فيه ..

محادثته أثارت في داخلي الفضول والقلق، وكما هي العادة يبدأ العقل في نسج تفسيراته تبعا للمعطيات، وكلما كانت المعطيات قليلة كان التنبؤ والقصة المختلقة أكثر خيالية وكارثية أحيانا .. انسحبت ذهنيا من تلك "الفذلكة" النفسية وآثرت النوم .. "ويا خبر بفلوس بكرة يبقي ببلاش".

اتفقنا أن يكون اللقاء ب(الكافيه) القريب من سكني ... لم أتمكن من النوم تلك الليلة التي كانت تحمل الكثير من المفاجآت، حتى أنني لم أتمكن من تعشيق أحداثها وتحليلها .. حاولت النوم .. ارتديت تلك الغمامة السوداء انشد النوم .. أصحو على رنات الموبايل إنها السادسة صباحا .. كان الجو باردا جدا .. إنه شتاء لندن .. اخذت حماما سريعا تناولت شطيرة من الجبن الرومي مع

كوب لبن .. جلست اتصفح الفيسبوك .. لأجد صوراً ومقاطع من الحفل الذي يقام شهرياً بأحد بيوت الأثرياء العرب ومنها صورتني وخبر فوزي بسيارة فارهة ..
أرتبكت .. أحسست بفلاش الشهرة للحظة .. لينطفئ
ويطفو على سطح عقلي القلق .. ترى هل هذا خبر
سعيد أم خبر يجز ورائه ما يقلق ..

إنه الأحد يوم إجازة ، الحركة فيه تكون محدودة، فالغد
بداية أيام العمل والدراسة .. فتحت اللاب توب لأشغل
وقتي بقراءة محاضرات في فن المسرح حتى تأتي
الظهيرة لألتقي بمايكل ..
مرت الساعات بطيئة، ومكالمة مايكل والصور على
الانستجرام أربكونني ..
توجهت إلى الخزانة .. ارتديت الجينز ومعه البالطو،
ولففت حول رقبتني كوفية من الصوف وارتديت
القفازين ..

هبطت إلى (الكافيه) في الموعد الذي حدده المدعو
مايكل، وقد حاولت أن أكف عقلي عن التذكري والتفسير
بأن دندنت أغنية "شعرك حبيبتي .." لمحمد منير ..
اخترت طاولة بجوار الباب، حيث أجد راحة حين أرى
المارة يجوبون المكان، وفي الاستمتاع بحركة أهل
المدينة وأناقتهم وجمال الشتاء وكأنني سقطت داخل
لوحة بديعة .. حاولت أيضاً أن استحضر صور
ضيوف الحفل في ذهني لعلني أتمكن من التعرف عليه

وكلما خططت روتوشا له، أتذكر ألا أحد تميز بإطلالة
ولا حضور إلا عدنان والسيد حسين..
فجأة سمعت صوتا خلف أذني يلقي تحية المساء بلهجة
مصرية صعيدية، ثم جلس أمامي ..
- أهلا بك عهد .. اسمك مميز جدا ..
- أشكرك.. يبدو أنك مصري، وجنوبي أيضا، فأنت
تعطش الحليم..
- نعم .. هل أسعدك ذلك أم خيب ظنك؟
- لا هذا ولا ذاك .. فقط فضولي كان حول الأمر الهام
الذي تخفيه وتبغي أن تفصح به لي ..
- أخبريني أولا منذ متى تعرفين عدنان؟
- ما الأمر؟ لست الوحيد الذي سألني هذا السؤال ..
ماذا عن عدنان ما له؟!
- يجب أن تزكي فضولك بالأسئلة حتى تحضرني
الشجاعة للكلام ..
- أعرفه منذ شهرين ..
- هل هناك قصة ارتباط بأي شكل بينكما؟
- لا .. "أجبت في تأفف"
- ماذا تعرفين عنه؟
- أعرف أنه الدكتور الذي يدرس لنا فن الإخراج،
واكتشفت صدفة أنه شاعر وكاتب سيناريو..
- عدنان فنان متعدد المواهب ..مطلق وله ابن يعيش
مع جدته أم عدنان في الأردن .. وهو هنا للعمل في
الفن والتدريس.

هل لاحظتِ نوعية ضيوف حفل أمس، فأغلب الحضور كانوا من النساء، والرجال قليلون، لكنهم من أثرياء العرب الذين يعيشون هنا ..

- نعم .. لاحظت ذلك .. وما مدلول تلك الملاحظة؟ سأختصر لك الأمر لأنني مرتبط بموعد مع أحد العملاء .. على فكرة أنا ، بيطار وأعمل في مؤسسة

HAMA

لصاحبها السيد حسين، والمدير المسؤول عن فرع المؤسسة في أدوات الزينة والتجميل وكذلك أشرف على مصنع الأدوية ..

- مع المدعو السيد حسين صاحب حفل أمس؟
- نعم .. هو صاحب إمبراطورية متعددة الأنشطة، ومنها الدعاية والإعلان وكذلك الإنتاج الفني ..
وخوفي عليك لأنك بنت بلدي وغيره عليك . أنصحك بالحذر .. والحيطة في تعاملك مع عدنان .. أو حسين .
- ماذا تقصد؟

بدأ القلق يتسلل إلى قلبي وخفقاته تتسارع في حزن ..
يبدو أنني أعاني من إصابتي بسحر عدنان ..
- لقد أقحمك في عالم لا ينعم أفراد فيه بالسلام، ربما يمنح الشهرة والمال، ولكنه يسلب منك الحرية والهدوء .. انتبهي .. كما أن عدنان له مزاج متقلب كما شخصيات أفلامه، فهو لا يعرف الحب أو الاستقرار إنما دائم البحث عن قصة مثيرة وإحساس متجدد لأشعار متجددة وروايات؛ لذا يعيش الحب حتى يلد

فكرة أو رواية فيغادر .. وعلى النقيض مما يظهره، هو شرقي حتى النخاع، لو كنت تعرفت على زوجته "رحمها الله" لاكتشفت مواصفات المرأة التي يثق فيها عدنان ليمنحها اسمه..

أنا صديقه، ولكن ضميري لأمني وأحسست بالمسؤولية تجاهك، ورغبة في أن أمنع عنك الأذى النفسي، ولا أدري والله لِمَ أنت بالذات؟ حين رأيتك تهربين إلى ذلك الركن الذي خلا من الإضاءة إلا حضورك، أحسست أنك مختلفة، وعندما علمت بأنك من بلدي، شعرت بالغيرة والحنين، فلم يسمح لي ضميري أن أقف متفرجا

..
"نهض من مقعده.. واستدار راحلا، ثم لفظ بجملته "ردي مفتاح السيارة لحسين". وانصرف!

قالها بلا ألقاب تسبق الاسم، مما يؤكد التقارب بينهما .. هكذا بدأت أجندتي تمتلئ بأسماء جديدة وأرقام هواتف وناس ذات حكايات، وشخصيات تتسم بالغموض!!

" لم تكن هناك أية محاضرات في هذا اليوم ولا ورش تمثيل؛ لذا مكثت في شقتي .. طهوت وجبة سريعة، تناولت الغداء وصنعت فنجانا من القهوة، وجلست أنصفح الفيسبوك والانستجرام .. أحاول أن أهرب من التفكير في عدنان أو الاتصال به، رغم اشتياقي إليه .. حادثة علاقتي بمايكل وعدم معرفتي السابقة به، ألجمت الأسئلة داخل فمي عن عدنان .. فضلت أن أظهر لامبالاة وأكذب اتهامه بولعي بعدنان حفظا لكرامتي وكبريائي.

مرت الساعات بطيئة كما زحف الحلزون، حتي مللت وحدتي وحبسي داخل غرفتي، فجأة رنات على الموبايل .. أسرعت معتقدة أنه عدنان، فإذا به مايكل .. بعد أن سمعت صوته سكت ولم أنطق بكلمة، وانتظرت أن يبرر لي سبب اتصاله، ليشعر هو باستيائي من تتبعه لي ويخبرني بأنه اتصل فقط ليطمئن علي، ويعقب جملة بسؤال إن كان اتصل عدنان بي، كان ردي مقتضبا بكلمات قليلة .. طمأنته أنني بخير، وحين سألني عن عدنان، ظهر على صوتي الغضب:

- ماهذه الأسئلة؟ ليس من حقا أن تتعقبنني هكذا .. أنا لست فتاة مراهقة ولا ساذجة حتى تعتقد في أحقيتك التحفظ على تصرفاتي.

- أعتذر .. والله أنا لم اقصد ذلك .. قصدت فقط أن
تعتبريني أختاً وصديقاً لك في تلك الغربة وأشعرك أنك
لست وحدك ..
- شكراً للمرة الألف .. ولا شك أنه يشرفني صداقتك د.
مايكل.
- "أغلقت الموبايل وشعرت بعدها بالضيق، فلقد سلط
عليّ ضميري وعكر صفو سعادتي".
- لم تمر دقائق حتى رن الموبايل، فاعتقدت أنه مايكل
للمرة الثانية .. استدرت في حالة من الغضب والملل
من صوته ومتابعته، لأفاجأ بأنه عدنان..
- أين أنت معشوقتي "إيزي"؟ لم تتصلي بي اليوم ..
شعرت بالقلق والاشتياق إلى عينيك وصوتك..
- "يا له من ساحر!"
- أبدا .. ليلة أمس عدت مرهقة كان جسدي وعقلي
مُتعبين .. بالمناسبة أريد منك خدمة ..
- تفضلني
- أريدك أن ترد مفتاح السيارة إلى السيد حسين، فهي
هدية لا مقابل لها ولا مبرر.
- ما الأمر؟ أشعر بالجفاء في كلماتك .. لم أعتده .. ما
رأيك أن نلتقي الآن لنتناول العشاء سوياً؟
- أين؟
- اجهزي وسأمر عليك بالسيارة بعد نصف ساعة.
- أوك

" رغما عني كان قلبي يرقص فرحا بمكالمته وبهذا اللقاء .. رجوت الله أن تكون نصائح مايكل ماهي إلا تنافس بين رجلين.

اغتسلت سريعا، وانتقيت فستاني الستان الأصفر القصير، وارتديت فوقه معطفا من الجلد بنفس طول الستان، أسود اللون ولففت حول رقبتني (سكارف) من التريكو نسيجه من الأزرق والأزرق الفاتح الممزوج ببعض الخيوط السوداء والصفراء، ووضعت قدمي في بوت أسود عالي الكعبين، وأمسكت بحقيبة لامعة سوداء .. حاولت أن أوفق بين قطع ملابسي لتناسب كل المناسبات، فأنا لم أشتري الكثير من الثياب منذ مجيئي للندن حرصا على ما يرسله لي أبي من مصروفات، وحاولت خلال شهور مرت أن أبحث عن فرصة عمل ولكن لم أوفق، إما لتضارب مواعيد العمل مع مواعيد المحاضرات، أو لأن الشروط لم تتوافق مع إمكانياتي.

رن عدنان عدة رنات على الموبايل، فهبطت سريعا بالمصعد .. لم يكن هو من يقود السيارة، وأثار ذلك دهشتي، فعدنان لم يكن ثريا ولا غنيا حتى يستأجر سائقا خاصا له، لكن من تحيته للسائق علمت أنه صديق له تطوع بإيصاله على أن يستعير منه السيارة ويعيدها إليه قبل منتصف الليل..

لم أعر الأمر اهتماما وكنت أستمع لتبريراته دون تركيز، فلقد كان يدور بداخلي تبريرات أخرى وتساولات شتت انتباهي وعقلي.

دخلنا المطعم الذي يقدم أطعمة لبنانية وأغلب العاملين فيه من لبنان .. اختار عدنان بقعة تتسم بالهدوء بعيدا عن الشاشات التلفزيونية والباب حتى لا يشتت انتباهه حركة الزبائن ..

كان صوت الموسيقى يبعث على الاسترخاء .. عبث عدنان في القائمة الموضوعة إلى يساره، ثم تركها قائلاً: لننتكلم إلى أن يحضر أحد السقاة وهم لن يتأخروا كثيراً.

- كيف كان انطباعك عن لقاء ليلة أمس؟
- الأجواء فنية جميلة وجديدة، لكن أريد منك تفسيراً لتلك الجائزة التي لا مبرر لها.

- لقد وضح لك حسين .. فلقد كنت أجمل الحضور.
- ليس حقيقياً.. بل هناك الأجمل.
- الجمال كما الفن، ذائقة تتسم بالنسبية، ونحن – الفنانين - لنا ذائقة متفردة، وإن لم يمنحك حسين جائزة أجمل وجه جديد لكنت طلبت منه ذلك، فأنت بالفعل أجملهن.

- أنت مجامل جداً، فأنا أرى نفسي عادية وأقل الحاضرات جمالاً.

- بالعكس، فجمالك كما جمال جزيرة بكر لم يظاً أرضها بشر بعد .. كل ما بها طبيعي بلمسة الرب لم يعبث التجميل بمكوناتها بعد، أما الضيفات فكلهن خلعن عباءاتهن ونزعن عن ملامحهن أي عرق عربي أو شرقي، فلم يعد هناك علاقة بينهن وبين أصولهن إلا ما

يحملن من جوازات سفر تكشف عن جنسياتهن،
ووضعن التفاصيل الإنجليزية الغربية، فصرن كما
المسوخ، أما أنت فلقد كنت مصرية جدا .. حتى (الميك
آب) لم تفرطي فيه فكنت أنت، لست نسخة من
الموديلات التي فرضت بيوت الموضة مقاييسها على
العالم .. تحملين الملامح الشرقية الأصيلة.
- أشورك .. "قلتها ثم غادرتني اللغة"

"عدنان لم يكن قليل الكلام معي، يتمتع بعينين ثرثارتين
ملامح وجهه تفصح وتسترسل .. كان جماله مزيجا من
الملامح الشرقية والغربية معا، فهو أسمر البشرة، عيناه
ذاتا لون أخضر زيتوني، وشعره بني، ذو صوت كما
صوت التشيلو، قوي لكن لا تنزعج منه الأذن..
طوال لقائنا عيناه لم تغفل عن الغوص في عيني،
وابتسامة استوطنت شفتاه.

من لاحظ نظراته إلي سيقول إنه متيم بي ..
خدش الصمت صوت النادل:

- هل جاهزان للطلب؟

- إيزيس .. ماذا ستأكلين؟

- سأترك لك الاختيار .

يطلب من النادل عشاء لبنانيا وزجاجة شامبين، ثم يبدأ
حديثه بخبر أن حسين كلمه وطلب منه أن يعرض علي
المشاركة في إعلان عن أحد منتجات الشركة ..
وسألني: ما رأيك؟
- كمخرجة؟!

- لا.. كوجه إعلاني .. ممثلة .. ماذا، ألم يسعدك العرض؟
- فاجأني .. لم يخطر على بالي فكرة التمثيل وانغمست في حلم الإخراج، لكن نظرا لحاجتي إلى العمل ولأن التمثيل هواية تغمرني بالفرحة كما الإخراج فلاشك أنني سعيدة .
- لماذا لم تخبريني ببحثك عن عمل من قبل؟
- لست ممن يخلطون الصداقة بالمصلحة ..
- حق الصداقة يملي علينا أن نعين بعضنا البعض .. نحن عرب يا عهد .. لا تنسي ذلك.
- الحمد لله لقد جاءت الفرصة وليتني أنجح فيها عدنان.
- أكيد ستتجحين، فوجهك ستحبه الكامري را، كما أنك دراسة كل ما يتعلق بالمجال ..
- لكن مازلت أصر على أن ترد إليه مفتاح السيارة..
- عندما نلتقي لتوقيع عقد الإعلان فلترده إليه بنفسك لقد حضر العشاء.

عدت إلى غرفتي وأنا أراقص الهواء، فرحة بلقائي بعدنان رغم أنه لم يخبرني بأي جملة تفصح عما يمكنه لي من مشاعر.. خلعت ملابسي وارتديت (البيجاما) وألقيت بروب صوفي فوقه ثم ذهبت إلى الفراش، أمسكت الموبايل بحثا عن أغنية تتحدث بلسان قلبي، لأتلقى مكالمة من أبي وأمي على الـ (سكايب) والتي استمرت نصف ساعة عرفت خلالها أخبار أختي وعد وأخبار أخي وجد .. وأخبار البلد، ولخصت لهم رحلتي في أنني في انتظار فرصة عمل قد تساعدني ماديا، وقد أستغني بعدها عما يرسلونه لي من مصروفات ..

قرأت في كل الروايات وصفا للحب، وتمييزا بين الحب الحقيقي والرغبة، وجدالا عما يسببه الحب من حزن وفجأة استحضرت أغلب أبطال الروايات أمامي ، وقصة وعد أختي وحب عمرها "عاصم" وكيف كنت أراها كما الطفلة عند كل موعد معه، والسعادة التي تتألق على ملامحها، ورأيت أيضا حزنها عند كل خلاف وتخلف عن مواعدها ..

وتعلمت أن الحب كما الإعصار يجتاح القلوب فيرفع الجدران من أساساتها ويجرف أمامه بيوتا وهودوا لتتقلب الموازين ونسير على كفوفنا وننسى أن لنا ساقيين .."

ما أقسى الجوع! جوع البطون وجوع القلوب والأجساد .. جوع يثور بسببه الإنسان ضد كل القيم والأعراف.. لم أكن أتصور ضعفي إلا بعد أن تعثر قدري بظل عدنان، فأثار في جسدي تيارات الجوع، أما عدنان فكنت بالنسبة له طعاما مختلفا، فهو لم يتح لجسده أن يشعر بالجوع، فأسواق الحب واسعة وكريمة .. كنت له صنفا جديدا، أما هو بالنسبة لي فكان الرجل الأول والخطأ الأول والسلمة الأولى إلى عالم الحب .. تعلمت منه طقوس الحب ومراسم الوداع، وكيف أغلق بابا وأحذفه من خارطتي، وأفتح بابا بلون جديد وإطلالة جيدة، لكن.. كان الثمن غاليا جدا .. كان الثمن هو "الثقة"، ليس فقط بل راح معها الأمان ..

كان هذا اليوم مكدسا بالمحاضرات وكان إحداها لعدنان ..

انتهى اليوم الذي طال حتى السابعة مساء، وعرض علي أن يصطحبني لتناول العشاء في أحد المطاعم، ثم اخذنا (تاكسي) إلى المؤسسة، فالتصوير سيبدأ التاسعة.

ظهر عدنان المخرج .. طلب تجهيز الكاميرا ونادي على مساعد الإخراج لإمدادي بالملابس وعمل المكياج.

خرج الجميع من غرفتي، ودخل عدنان ليطمئن على المكياج وأتني حفظت الحركات .. كانت نظراته كأنه يراني لأول مرة، تشع رغبة واشتهاء ..

انتهى التصوير لأكتشف في نفسي الممثلة، ورأيت في عين فريق العمل الإعجاب .. أما ما ظهر في عين عدنان فكان شيئاً آخر .. ظهر ذلك حين لحق بي في غرفتي بالأستوديو ..

أمسكني من ذراعي .. أوقفني ثم ثبت ظهري على الجدار، رفع ذقني وأخذ يتشمم في وجهي وفمي، وإذا بشفتيه تلمسان شفتي برقة لأجد جسدي يرتعش كمن سكب فوقه ماءً مثلجاً .. لأفيق وقد رفع عني شفتيه وتأمّلني ووجهه في حالة تبسم بملامح مشفقة على سذاجتي ..

الخلل دفعني لأن أرسل علامات الصدمة والتفاجؤ ودفعت جسده برقة من يتمنعن وهن الراغبات ... تدفقت الاستفسارات على رأسي وابتلعها خجلي.. هل تحبني؟

من أجمل امرأة التقيتها؟

كم امرأة أحببت؟

ماذا تريد مني؟

أستعيد هدوئي وشخصيتي التي خلعت عنها شخصيات السينما والروايات التي تشبعت بها، واخترت السكوت،

لكنه شخصية لا تقاوم .. وسامة وثقة بالنفس وحضور متفرد

- عهد .. هيا استعدي لنكمل التصوير.

كلاكيت .. تصوير .. الصوت

"فجأة تجهم وبدت على قسمات وجهه انسياب دماء ذكرى ما غير سعيدة.. هذا ما رأيته".

حمدت الله أن هناك مبعوثين من القدر لحمايتنا من الغلطة الأولى، ثم يتخلون عنا في وقت ما حينما تحضرنا الحكمة ..

لو أراد عدنان أن يستغل ضعفي وجاذبيتي إليه تلك الليلة لضاعت عذرية العلاقة ونقاء حبي له، ولضاع عدنان نفسه من بين يدي ..

استكملنا تصوير الإعلان وبدلت ملابسني، وجدته في انتظاري ..

- هيا لأوصلك إلى البيت فالوقت متأخر ولن أطمئن أن تركبي سيارة أجرة وحدك .. ها هي سيارة الشركة ..
نادى على السائق، ولكنه لم يكن موجودا، وبعد بحث طويل عنه وجده مخمورا لا يستطيع قيادة السيارة..
سألته:

- ألا تعرف قيادة السيارة؟

- بلي .. ولكن لا أحبها ..

" كانت كلماته حادة غاضبة"

- لنطلب سيارة أجرة ولا تغضب نفسك.

- لا .. ساقود أنا ..

أمسك بعجلة القيادة مترددا وغاب للحظة في قصة ما ثم انطلق ..

لم يتحدث طوال الطريق إلا بكلمات بسيطة، ولأنني كنت أفضل مراقبته وما ترسله ملامحه من جمل تفصح عما يدور برأسه .. كانت كلماتي أيضا قليلة.
- الحمد لله الإعلان اكتمل وأعتقد أنه سيكون انطلاقة
لكلانا

- الحمد لله .. شكرا عدنان.
"علمت فيما بعد أنه تعرض لحادثة سيارة وكانت
برفقته حبيبته أم ابنه الوحيد .. هكذا حكى لي مايكل".

- ظل مفتاح السيارة التي أهداني إياها حسين في حقيبتي والسيارة في مكانها في الفيلا .. إلى ان ألتقيت به في الاستديو ونحن نجهز لإعلان جديد .. لاحظت حركة غير معتادة وقلق بين العاملين وهمس .. لأسمع بحضوره ..

فتشت في حقيبة يدي عن مفتاح السيارة وجدته مازال بها .. وقررت أنني ساعيده له بعد التصوير .. يبدو أنه أراد أن يتم الإعلان بشكل ناجح لذا أثر الجلوس في إحدى الغرف يراقب العمل من كاميرا خاصة ..

انتهى التصوير وأتى ليرحب ويبارك لعدنان ولفريق العمل، ويتمنى للجميع التوفيق، خصني بالترحيب والمجاملة ولوجهي الذي تعشقه الكاميرا، كان يستخدم الكلمات كفنان محترف اعتاد استخدام معدات السينما .. طلبت منه أن نشرب معا شاي العشاء مع كيك فرنسي في كافيتريا الاستديو، كنت أرغب في إعادة المفتاح بشكل لا يشعر معه بالإهانة .. لم أكن قد انتبهت لعدنان الذي كان يراقب من بعيد ..

تناولت قطعة كيك ومعها الشاي، وكنت بالفعل في حاجة للسكريات، وتناول هو أيضا طبقه بنفس الحماسة والراحة، فلم يشعر بالخجل ..

كان الحوار قصيرا عن عملي ودراستي، ثم تطرق بشكل سريع للسؤال عن أسرتي، كانت ردودي قصيرة معتادة .. تنتهي دوما بالحمد لله، وكان كل سؤال منه يتبعه بابتسامة هادئة تكشف عن شخصية ذكية ذات خبرات يصعب الاستهانة بها، ثم وضعت المفتاح على المائدة وأزحته تجاهه، ليسألني:

- لم تردين مكافأة تستحقينها؟
أجبت بأن المكافأة تكون عن عمل أتقناه لا عن هبة منحها لنا الله دون جهد منا ..

رد المفتاح لي وقال: لتعتبريها أجر ك عن الإعلان.
- إذن سأضطر لبيعها لأنها لن تدفع لي ثمن مشتروات السوبر ماركت ولا مصروفات المعهد ..
- إذن اعتبريها قرضا سددي أقساطه على شهر.
- لن أستطيع أن أسدد تلك الأقساط وسيسددها عني الورثة ..

"راقبت لي ضحكته ذات النبرة المتصاعدة وكأنها نغمة موسيقية تعلو وتهبط محافظة على السلم الموسيقي، والتي سمعها العاملون فانتقلت عدوى ضحكته لتعلو الوجوه ابتسامة مجاملة، وكان هناك قائد أوركسترا يدير ضحكته وابتساماتهم في هارموني جميل"

- لا فائدة .. خفة الدم المصرية والتي نادرا ما نراها من جنسية أخرى .. عهد .. لم أعتد أن يرد هديتي أحد ولا أن يعترض على قراراتي أيا كان.
"قالها بهدوء وثقة".

- أستاذ حسين .. رجاء لا تخرجني فأنت ستسبب لي الكثير من الإشاعات وسيسهل للنفس الضعيفة أن تلوك اسمي، ولا أريد أن أكون مشهورة إلا كفنانة ومخرجة.

أخذ المفتاح واستأذن في الانصراف، وكرر المباركة على الانتهاء من تصويري للإعلان ..

غادر حسين ومن معه الاستوديو .. نظرت حولي أبحث عن عدنان، ليخبرني أحد حراس الاستوديو أنه غادر، لأجد أحد السائقين يخبرني بأنه من سيقوم بتوصيلي إلى بيتي بتوصية من السيد حسين!

صارت عادة، بعد أن أنتهي من محاضراتي يقوم دكتور عدنان بتوصيلي، وقد أغادر وحدي إن كان في جدوله المزيد من المحاضرات أو الأعمال في مؤسسة حسين ..

بلا أي مقدمات استرسل عدنان في البوح والكلام وكنت أستمع إليه في فضول وحب ..
- كما توقعت ياعهد إنك ممثلة هائلة .. تتقنيه بالفطرة.

..

- لكني أخاف منه .. أفضل أن أعمل خلف الكاميرا .. يستهويني فن الإخراج .. أشعر بأنه فن يجمع كل أنواع الإبداع كما القاص أو الروائي، هو الذي يحرك الشخصيات .. يكتب أقدارهم ..

- تقصدين أن المخرج خالق؟

- أفضل أن أستخدم لفظا فنيا أقل جرأة، فالخالق واحد،

لنقتبس تعريف أفلاطون بأنه يحاكي أو يقلد الخالق ..

انبهرت وأيضاً صُدمت برؤية أفلاطون عن فن التمثيل وأثره السلبي على الفنان أو الممثل بشكل أكثر دقة،

حيث قال إن الممثل عندما يتقمص شخصية غيره، قد يتقمص صفات شريرة أو ضعيفة وقد يترك ذلك أثرا

سلبيا على نفس الممثل والمشاهد.

- أرى أن أفلاطون كان قاسيا في حكمه على فن التمثيل.

- لكل فن أو علم جوانبه الطيبة والسيئة، كما أي اختراع .. عدد كبير من الممثلين يصابون بالاكنتاب بل وكم منهم أفسد التقمص حياتهم.
- هل أثر التمثيل على نفسيّتك عهد؟
- أحسست بذلك .. كنت قد عشت المشهد ولم أخرج من الشخصية إلا حين سمعت صوتك بـ (اقطع) وأضاء الأستوديو.. لحظتها شعرت بالخوف وليس الانبهار.
- لكنك موهوبة وستتجحين في التمثيل.
- أفضل أن أركز على الإخراج حاليا وسيظل التمثيل عرَضِي.
- تفضلين أن تكوني خالقة.
- أفضل كلمة مديرة أو مخرجة، فنحن نحكي ما أبدعه الله .. نقلده .. ننسخه.
- فأنت خالقة أيضا، فكلمة خالق في الإنجليزية هي نفس المعنى لمبدع .. Creat – creator.
- المخرج يقوم بتحويل القصة المكتوبة مسبقا إلى صورة متحركة حية، ويعلم أيضا مسبقا ما هو قد كتب في السيناريو ولا يمكنه التعديل أو الخروج عن النص حياتنا أيضا كُتبت مسبقا وهذا ما قالت به الأديان، فنحن نشخص دورنا الذي كتب من قبل .. لا نعيشه أحرارا كما كنا نعتقد.
- البحث في الأديان دراسة أخرى تحتاج إلى عقل يحمل الكثير من الأسئلة والشكوك .. حالة مختلفة ربما

أبحث فيها يوما حتى أتمكن من الرد عليك أو بالرد على تلك الشكوك.

- أما أنا فأرى أنها ماهي إلا حياتنا الأولى ، بل هي حياة واحدة فكلمة الأولى تحتم ان تكون هناك ثانية وربما ثالثة، فأنا أؤمن بأنه لاهياة إلا هذه التي نعيشها. "تأملت تعبيرات وجهه ويده، واخترت السكوت حتى يفرغ ما في عقله لأعرفه أكثر".

- لا آلهة ولا جنة ولا نار ..

- جري أنت في الحديث عن الله ولكنك لا تجرؤ على نقد الملك.

- تمام .. عهد أفضل عدم الخوض في السياسة.

- الخوض في السياسة خط أحمر لكن الخوض في الدين حرية؟

- عهد أنت تلعبين دورا خطيرا .. احذري.

- أي دور؟

- دور الإله.

- أنت الذي يجب أن يحذر من تشبيهاتك المتجاوزة في الحديث عن الخالق

- عهد.. لا يليق بك أن تقعي داخل عباءة الكاهن أو رجل الدين أو الشيخ أو العلامة فهو فخ لو تدرين عظيم، أن تلعب دور النبي أو المعصوم من الرغبة أو ذلك الذي يتحكم في مفتاح التساؤلات ويعتقد أنه يمتلك وحده الإجابات .. خطير وفاشل.

فأشـل أن تعيشـي في دور الزهاد أو المتخلي عن حقه
في الحياة .. الخطيئة .. ألا تتذوقي الطعام، أن تغضي
النظر عن معدتك .. ألا تنصتي إلى صوت قلبك، أن
تصدقي أنك من السهل أن تركلي جسدك بعيدا حتى
تنصفي بالملائكية أو أن تتحصلي على فيزا إلى أرض
الأنبياء .. أرض المعصومين، فالخطأ عندها غير
مقبول ولا أعمار .. الزلات ستحرمين منها، والإثم
هناك على تلك الأرض عظيم، يتساوى مع الخطيئة،
هناك لا ألوان، المنصة عزيزتي مكان يتقاتل عليه
الأغبياء والحمقى ومن يدعون أنهم يمتلكون الحقيقة،
فالحقيقة عزيزتي عصية .. سراب يختلقه العقل
الإنساني لمزيد من البحث والتفكير وأحيانا للهروب من
الفشل، وكثيرا ما يكون بسبب الغرور والكبر البشري،
فكيف لي أنا الكائن الذي يحرك العالم ومن اخترع
الطائرة والقنبلة الذرية واكتشف البنسلين، أن تستعصي
على الحقيقة؟

- أنا لم أدّع أنني أمتلك الحقيقة ولكن أشعر بالسلام في
ظل ما أعتقد وما به من قيم وقوانين أحترمها جدا
وأصدقها..

أحمق ذلك الذي ينافس الرب على عرشه، هو كما يقول
الكتاب لا تأخذه سنة ولا نوم، ونحن .. أنت وأنا وكلنا
نغط في نوم مسكر.

لست نبية ولست ملاكا ولا أنوي أن ألعب دور رجل
الدين أو أن أعتلي منصة الوعظ، ولكن لا يجوز أن

تمنح لك حق الاعتراض والتسفيه من القيم ومن
 مورثاتنا وتحاول أن تخلع عن عقلي حق التفكير والرد
 على تعاليك وسخريتك مما أعتقد ..
 - أحاول أن أرفع عن عينيك تلك المنامة السوداء التي
 تحجب عنهما رؤية جمال الحياة ..
 - بل أرى جمالها وروعها ولكن من بقعتي هنا وليس
 من منظورك الزجاجي.
 - لنؤجل العراك ولنتقي بالليل .. فما أروعه عهد مع
 مجئ القمر!
 - فعلا .. الوقت يمر ولا بد أن أعود إلى جنتي .. أقصد
 غرقتي.
 - أنت متعصبة يا عهد .. لم أتوقع ذلك منك .. أنت في
 أرض الحرية والعلم فكيف تحتفظين بخرق بالية؟
 - وما الخرق البالية التي أحفظ بها؟
 - معتقداتك .. فلا وجود إلا لتلك الحياة التي نعيشها،
 تعملين، تنالين المقابل والمتعة، بلا عمل فلا رفاهية ولا
 حياة .. هات وخذ.
 - كنت أعتقد أنك تؤمن بأن الحديث عن الدين والسياسة
 خطوط حمراء؟
 - أعذر، لك كل الحق فلا داعي أن نعكر نجاجنا
 بالحديث عن ميثافيزيقيات لا وجود لها.
 أثرت الصمت وعدم الخوض في موضوعات لا أتقن
 أدلة صدقها ولا أمتلك المعلومات التي تجعلني شخصا
 قادرا على الجدل والإقناع، لأكتشف أنني لم أشغل

نفسى يوما بإثارة الأسئلة عن إيماني، فلقد اكتفيت بما ينطوي عليه ديني من قيم وأخلاقيات تحمينا وتحفظ علينا هويتنا.

لم تتجاوز علاقتي بالحياة والبشر بل والطبيعة، أكثر مما يقرب من خمسة عشر عاما فإدراكي ووعيي مازالا في مرحلة التكوين، فحديث إنسان أربيعيني مر بتجارب وعلاقات يختلف تماما عن حديث شابة مثلي لم تتجاوز خبراتها علاقات المدرسة والجامعة، التي أكمل سنواتها هنا على أرض تتحدث لغة وتتعامل بثقافة تختلف كثيرا عما تربيت عليه هناك بوطني ... ربما سأجد الإجابات عن أسئلة عدنان التي أمطرتني بالتعصب والفكر المحدود حين أفك ألغاز من حولي من بشر ومخلوقات.

وصلت إلى المبنى الذي أقطنه، هبطت من السيارة، حاول عدنان أن يقبلني ولكني دفعته بيدي ونزلت مسرعة .. دخلت غرفتي وألقيت بنفسي فوق السرير ورحت في النوم.

صحوت واغتسلت سريعا، ثم اتصلت على وعد لأطمئن عليها.. احسست أن صوتها يحمل مرارة ، حاولت أن أطيل الحديث حتى تفصح لي عن سبب حزنها ولكن كانت ردودها جميعها مقتضبة .. حديثها أثار في داخلي الحزن رغم أنها لم تخبرني بشئ يستدعي في داخلي كل هذا القلق والحزن .

سألته لماذا لا تحاول أن تأتي إلى لندن سياحة لتقضي أجازتها معي .. لكنها أجابت على طلبي بأنها مشغولة في التحضير لمناقشة رسالة الماجستير ..

سألته عن أمي ، أخبرتني أنها انضمت إلى جمعية خيرية وتسافر معها للقرى التي تحتاج لتوصيلة ماء أو إلى أدوية أو تجهيز عرائس أو سداد ديون بعض الأسر، وأنها صارت ضيفا دائما على الصالونات الثقافية.

وحين سألتها عن أبي، أخبرتني بأنه معها أينما سافرت لا يتركها، لكنه يتركها لنفسها أحيانا حين تذهب إلى الصالونات حتى يترك لها شيئا من مساحتها الخاصة .. استأذنت لتغادر إلى العمل، وطلبت مني أن أهتم بنفسي وألا اقلق عليها.

أما عن وجد أخي، فهو غارق في بيته وأسرته، واتصالاته نادرة .. حملت حقيبتني وتوجهت إلى الأكاديمية.. كان اليوم مشحونا بالورش والمحاضرات،

انتهيت متأخرا وعدت منهكة لأجد اتصالا من عدنان
بضرورة الحضور لأن هناك فرصة لعمل بعقد لعدة
سنوات لصالح شركة الدعاية التي يمتلكها أحد
المخرجين المصريين .. ارتديت ملابس سريعة
وشربت فنجان قهوة لأفريق، وهبطت في المصعد لأجد
مايكل في انتظاري بالسيارة .. جلست جواره وانطلق
بها ..

- هل أنت مسؤول عن توصيلي؟
- أنا أعمل مع السيد حسين في شركة الأدوية التي
يمتلكها، ومن المقربين له، ويجد راحة في تواجدي في
أغلب صفقاته حتى تلك التي تخص الدعاية، فنحن
(ثلاثي) منذ سنين طويلة جمعتنا الغربية ..
- ومن ثالثكما؟

- يوما ما سنتعرفين عليه.
- اعتقدت أنك ستذكر اسم عدنان ..
- أحيانا يكون رابعنا وكثيرا ما يقصي نفسه بنفسه.
"كنت أراقب تعبيرات وجهه قد أصل إلى تفسير
اهتمامه بي غير غيرته علي لأننا من بلد واحد، كان
بسيطا، تلقائيا، طيبا وخفيف الظل .. لا يفكر طويلا قبل
أن يجيب عن أي سؤال" .. هذا ما ظهر لي حتى تلك
اللحظة.

- أعرف أنك تتعاملين معي بحرص شديد وفي داخلك
هواجس كثيرة، لكن ما يجعلني أتعجب هو لماذا لا
يوجد في داخلك نفس هذه الهواجس تجاه عدنان؟!

- لأنك لا تعرفين، وليس بيننا تاريخ طويل، ورغم ذلك تحدثت عن صديقك بطريقة غريبة، وهو لم يفعل نفس الشيء، بل لم يذكرك بأي شر.
- وهل هذا إيجابي أم سلبي؟
- إيجابية في شخصية عدنان، فهو مخلص لك كصديق .. لم يذكرك بشر
- ولماذا لم تفسريه بأنني بالفعل لست شريرا ولا أؤذي أحدا؟
- وهل عدنان مؤذٍ؟
- لم أقل ذلك .. فأحيانا نتسبب في أذى من نحب دون أن نقصد
- هل تقصد أنه تسبب في أذى الآخرين؟
- لا يهم ما مضى، ما يهمني ألا يتسبب في أذى لمن نحب الآن ..
- "حاولت أن أظهر عدم اكتراث فيما يخص حديث مايكل عن عدنان، ولكن في داخلي كان الحوار مقبضا.. عم الحزن قلبي وألقى على لساني بالسكوت، وذهبت عيناى فى المدى دون أن ترى شيئا .. سوى الليل.
- كانت شفاه مايكل فى حركة ضم وفتح وكسر، لكن لا صوت، فأنا هناك أفتش عن صورة لعدنان بلا نقص ولا شخبطات ..

- المهم .. أنت في طريقك لعالم مختلف وعلاقات أكثر تعقيدا، فكوني يقظة ومنتهبة ولا تبالغي في الثقة في أحد .."

تلك هي الجملة التي صحت على صوت مايكل يرصها على سمعي.

- أشكرك.

في محاولة للابتعاد عن الحديث عن عدنان سألته:

- هل أنت متزوج مايكل؟

- لا .. كنت متزوجا ولم نكمل؟

- مصرية؟

- لا، بل أمريكية .. تعرفين كان الزواج ضروريا للحصول على الجنسية وفرصة عمل أفضل واستقرارا .. عشنا معا أكثر من عشر سنوات ثم حدث الانفصال لعدة سنوات ثم قررنا الطلاق .. كل شيء نصيب ..
- هل عندك أولاد؟

- لا .. لم ننجب .. كان هذا أحد عوامل تصدع العلاقة رغم رغبتي في إنجاحها .. عرضت علي تبني طفل وكنت أعارض الفكرة تماما فأنت تعلمين أن هذا محرم في ديننا.

"صمت لعله يكمل أي دين، لكن الفضول جعل السؤال ينزلق على لساني"

- هل أنت مسلم؟

- الأيام قادمة وستعرفين كل شيء في حينه .. لقد وصلنا.

"العقد كان فرصة بأجر كبير، سيتيح لي حياة أفضل وسيسد لي التزاماتي بل سيكفيني لعدة أعوام. بعد التوقيع، دعاني السيد حسين إلى حفل سيضم عددا من رجال السينما ورجال أعمال، ونصحتني بضرورة الحضور لأن الحفل ليس مجرد حفل ترفيهي فقط، ولكن سيتم خلاله الكثير من الصفقات وإبرام عقود توفر على أي نجم سنوات من الدعاية. كانت هناك سيارة في انتظاري، أسفل المبنى، بالسائق، والذي توجه إلى الحفل، الذي كان في مقاطعة نائية أقرب إلى الصحراء لأجل الحفاظ على الخصوصية والسرية. عدد قليل من الحضور كنت أعرفهم، فهم المقربون من السيد حسين وعدنان، لم يكن مسموحا لأي من الإعلاميين أو الصحفيين بالحضور ليتوفر مناخ من الحرية للضيوف بعيدا عن الإعلاميين وكأمر راتهم، التي تهدد أحيانا مكانة شخصية عامة أو حكومية .. مُنع استخدام الهواتف النقالة .. كانت تُترك في لوحة أدراج مسلسلّة وكل درج له مفتاح يترك الضيف متعلقاته الهامة ومنها الموبايل في الدرج ويغلق عليه ويأخذ معه المفتاح.

..
أصابني شيء من الرهبة والاندهاش مما رأيت .. المكان، رغم أناقته ورقي أثاثه، بل وتوافر أحدث الأجهزة في الخدع والجرافيك، فقد كنت وكأنني داخل مشهد سينمائي رأيت شابا أو غلاما أو رجلا يتبرج كما

النساء وفي حركاته ما يثير الرغبة في الضيف أكثر من أي امرأة جميلة، يصطحب أحدهم إلى غرفة عند فتح بابها كانت الإضاءة المنعكسة من داخلها تكشف ما يدور هناك..

الأجواء العامة أثارت في داخلي الخوف والقلق، فالجميع يتصرفون بشكل متحرر وكأننا نعيش عصر غياب القانون والقيم.. غرف تتنوع في الألوان والإضاءة ولكل غرفة سريتها، يدخلها الضيف وبصحبه عدة نساء يرتدين قطعتين لا تستران بل تثيران لعاب العطشى إلى الجنس، وهناك في الجانب الأيسر من الصالة الواسعة بار كبير يحتوي على كل أنواع الخمور بل والمخدرات، وفي الجانب الأيمن فرقة موسيقية يرتدي أعضاؤها زيا موحدا، الفتيات يرتدين تنورة زرقاء قصيرة فوق الركبة وحملات صدر باللون الأحمر، أما الشباب فارتدوا بنطلونات باللون الأزرق وصديري بلا أكمام باللون الأحمر أيضا، ومن يدير السقيا بنات وشباب عرايا، يستر الجزء السفلي من الشاب بنطال قصير جدا ورسومات تاتو في وجهه وساقيه تتنوع ما بين الإشارات الجنسية ووجوه شيطانية، أما البنات فيرتدين قطعتين لا تخفيان شيئا بل زادت من إثارة الأجزاء الظاهرة.. لا ترفض أية فتاة تحرش أي من الحضور بل ترد على أي تحرش أو تلامس بضحكة أشعلت الجحيم.

تجرع عدنان عدة كؤوس، وكذلك أغلب الحضور، وظللت أنا واقفة على قدمي لم أترنح ولم أفقد تركيزي لتنتابني ضحكات مكتومة على تصرفات الجميع، فهناك من يخلع ملابسه بعد أن فقد الوعي سكرًا، وهناك من يرقص بخلاعة على عزف الموسيقى، وكما عادتني، فضلت العزلة والتأمل .. بحثت عن بقعة بعيدة عن هذا الجنون في أحد الأركان، مر الساقى أمامي وسألني عن مشروبي، طلبت عصير الليمون المثلج، حاول عدنان أن يقنعي بأن أشاطره الخمر ولكني رفضت .. تركني أحتسي على مهل العصير وغاب ليرحب بالضيوف.

من الحكمة أن تحافظ على وعيك حين يغيب من الآخرين حتى لا تشترك معهم في السقوط إن سقطوا، ربما أدخن، لكن أن أشرب فهو أمر أحمق. واصلت المراقبة .. سمعت من ينطق بألفاظ جريئة ومن أسرف في التحرش بفتاة أو برجل، هذا على حسب من كان قريبًا، وفي أحد الأركان مجموعة من رجال الأعمال يعقدون صفقة ما، ويبدو أن الصفقة تمت بنجاح لينادي أحدهم على أحد شباب السقيا ليحضر الكؤوس وزجاجات الخمر ويدعو بعض الفتيات إلى الرقص.

راقبت غالبية الحضور، فحسي الفني الذي يعد الفضول أحد حواسه الملهمة دفعني للبقاء وأن أظل متفرجة فقط، ولكن لم ألاحظ أن هناك أيضًا من يراقبني، كانت

عيون حسين تلفني وتحوط نظراتي وضحكاتي، وأيضا ما يرسمه الخجل من انحناءات لرأسي أظهرتني كما فتاة هبطت قريبا من طفولتها.

كنت أختبئ أحيانا في ظل الستارة خلفي خوفا من عالم منفتح لأقصى الدرجات، انتابنتني حالة تردد ما بين فضول الفنان للاطلاع على هذا العالم الذي رأيت فيه كل ما هو منبوذ ومرفوض من الأعراف والأديان، ربما أجسد إحدى تلك الشخصيات يوما ما، وما بين خوفي كفتاة شرقية عربية نشأت في بيئة متحفظة، تربت على قيم صعب التملص منها أو خلعها كعباءة عربية لا تتناسب مع الأجواء ليتسرب القلق والخوف إلى قلبي مما قد أتعرض له من جنون.

عندما خرجت التصرفات لتجتاز حدودي، رفعت عن نفسي السكوت وصحت رافضة وطلبت من الأمن أن يستدعي أحد السائقين ليعيدني إلى البيت، فإذا بالسيد حسين يقف خلفي ويؤكد على رجل الأمن أن يستدعي سائقه الخاص.

لفت نظري أن حسين لم يسرف في الشرب واكتفى بالترحيب والضيافة.

وضع يده على ظهري وصحبني إلى الخارج، وطلب من السائق أن يقوم بتوصيلي حتى البيت .. شكرته وركبت السيارة بسرعة من يفر من أرض معركة .. أغلقت النافذة القريبة مني وأخذت أستعيد أحداث

النهار واللييلة إلى أن وصلت لجواري مع مايكل،
والمفاجأة في أنه مسلم.

صعدت إلى شقتي .. بدلت ملابسني واتصلت بأمي ،
كنت في حاجة شديدة لسماع صوتها .. ردت وكأنها
كانت على موعد محدد بيني وبينها .. تحدثنا في أمور
عشوائية حتى وصلت للسؤال عن أختي وعد، فإذا
بصوتها يخنق وتخرج الكلمات متقطعة بلا معنى،
لكنني شعرت بأن الأمر عظيم ..

أخبرتني أن خطبتها فسخت، وأن خلافا كبيرا حدث
بينها وبين حماتها، وانتهت العلاقة وحب السنوات
الطويلة، وتمت خطبته، وتزوج دون أن يحمل نفسه
حق الاعتذار أو حتى يترك فرصة للتراجع، أما عن
وعد فهي ترفض الحديث عن الأمر وغارقة في عملها
وتسعى لشراء عقد عمل إلى دولة خليجية بعد
الماجستير، وتصر على ذلك.

طلبت أن أحدثها ولكنها أجابتني بأنها نائمة، وطلبت
مني أن أتصل بها وأحدث معها فقد أتمكن من إقناعها
بالعدول عن فكرة السفر ونسيان هذا الرجل الذي سرق
عمرها.

إحساسي بتألم أختي نقلني إلى حالة خوف من الرجال،
لم أنم ليلتها من القلق والحزن لأنني بعيدة عن وعد
وإحساسي بحاجتها إلى أن أكون بجوارها، شعرت
بالحزن لصدمتها وتعاطفت معها في بحثها عن السفر..

أفقت من استغراقي في نسج قصة حب مع عدنان،
واتخذت قرارات عدة، أهمها أن أضع حدودا وأن أخلق
عالمي بعيدا عنه، فلا بد أن نتعلم من تجارب الآخرين.
سمعت رنات (الماسينجر)، تصفحت الموبايل وجدت
اتصالا من عدنان، أغلقته وحاولت النوم، فالأفضل أن
أنأى عن سحر قوله.

إنه السبت .. لا محاضرات ولا تصوير .. شغلت نفسي
بغسل الملابس وترتيب الشقة وإعداد الطعام الذي
يكفيني لأسبوع، لم تتوقف رسائل عدنان ولم أرد ..
أعقبها اتصال من مايكل، خمنت أن الأمر له علاقة
بالعمل .. أجبت على اتصال مايكل...

- أين أنت؟

- في البيت

- لماذا لا تردين على رسائل عدنان؟

- وهل أنا بك للاتصال بي؟

- لا.. ولكنه يتصل بك وهو معي .. كان عندي
بالمصنع في زيارة.

- لا شيء، ولكن عندي أمور كثيرة أردت أن أنجزها،
وهناك الكثير من المذاكرة.

- لكنه السبت .. ألا تحتاجين إلى عزومة؟

- لا.. أفضل البقاء في البيت .. أحتاج إلى أن ألم ما
درسته.

"لا أدري لم غيرت رأيي وقبلت العزومة، فهناك الكثير
من الأمور أحتاج أن أفهمها وخاصة ما يتعلق بعدنان

وحسين .. ومن المؤكد أن مايكل يمتلك كل المعلومات التي أحتاجها"

حددت معه موعدا بعد الثالثة لتناول الغداء سويا .. كنت أفكر في مايكل وأقارنه بعدنان طوال فترة قيامي بالأعمال المنزلية ..

"مايكل في العقد الرابع .. طويل القامة ..أصلع كما بروس ويلز .. ممتلئ قليلا.. أنيق أناقة الارستقراطيين الإنجليز .. بلا شارب .. عيناه واسعتان شديدتا السواد، لكن في ظلّه تشعر المرأة بالأمان وكأنه الأخ الأكبر.. ما لفت نظري في بداية علاقتي بعدنان وسامته، لأكتشف أيضا جماله الداخلي، فبعد أن توطدت علاقتنا لمست ما به من طيبة وإيثار، لكنه شخصية كما الزئبق يصعب الإمساك به أو تملكه، وكما أي رجل يحب النساء، لقد تأثر بالعادات الغربية المتحررة حد التطرف في الكثير من الأمور، فلا مانع أن يقبل أو يحتضن أية امرأة كتحية سلام، أو أن تستضيفه أحدهن ليبيت في شقتها والعكس ، لا يذكر الشيطان هنا إلا لتجسيده في فيلم يتصف بالخيال ."

اقترب موعد اللقاء، ارتديت شروالا وسترة صوفية والحذاء الرياضي .. لم أضع أية مساحيق تجميل تركت وجهي على طبيعته..

التقيت بمايكل في المقهى القريب من سكني..

سأل الساقى ماذا نشرب .. طلبت عصير العنب وطلب مايكل الشاي .. بمجرد مغادرة الساقى سمعت سؤالاً من مايكل:

- لماذا لم تسألني عن ديانتني، عهد؟
- لأنه لا يهمني .. كما أن اسمك يكشف عن ديانتك فليس لدينا مسلم يحمل اسم مايكل.
- ربما أكون اهتديت إلى الإسلام .. ألم يخطر على بالك ذلك الاحتمال؟
- لا .. ولم أتعب رأسي في التحقق.
- تقصدين أنني لا أعنيك؟
- لا، لم أقصد ذلك ولكن عادة لا أشغل نفسي بالبحث في ملف كل من هم حولي كما وكلاء النيابة، وفضولي له حدود.

- أما أنا ففضولي بلا حدود.. أليس كذلك؟
- د. مايكل، أنا إنسانة بسيطة جداً فلا تستهويني الطرق المتعرجة ولا الاستعارات في اللغة ولا الصور الجمالية رغم أنني أعشق الأدب والفن، وأنفر سريعاً من الألغاز .. اعتقدت أن الحياة هنا ستكون سلسلة وأن الناس هنا واضحون عمليون لا يحبون الإسهاب في الكلام ولا المجاملات لكن يبدو أن العرب هنا تغيروا شكلاً ولكن الثقافة غالبية.
- أفهمك .. كنت أحاول فقط أن أذيب الجليد وأن أجعل الحواجز بيننا هشة حتى نصير يوماً أصدقاء.

"أحسست بفظاظة أسلوبى معه خاصة أنه كان لطيفا متوددا، فحاولت أن أتلف قليلا فى الحوار معه"
- ما قصة ديانتك إذن؟

- أنا مسلم الديانة، ولكن لظروف رغبتى فى الإقامة فى أمريكا والاستقرار بلا منغصات، قررت فى لحظة جنون الشباب، والحلم الأمريكى - الذى لا يفارق أغلب الشباب العربى بل والعالمى - والذى أضعفنى بل وتملك منى حتى تنازلت عن وطنى وأهلى لأجل الهروب وأن أحمل هوية بلا مشاكل؛ لذا اعتنقت المسيحية وغيرت اسمى، ليزوب الحلم وأنضج عقلى وتنضج أحلامى لأكتشف أننا نضيع مع ضياع هويتنا لذا غادرت إلى لندن؛ لعلنى أستعيد هويتى ودينى وأكمل نجاحى المهني وأتخلى عن الانبهار بالغرب، وأكتسب منه العلم فقط، وأسترد دينى حتى لو فى قلبى فقط.

- وهل يجوز ذلك؟
- يجوز فى حالات الاضطهاد فقط، لكن حالتى أنا لا، فالمبرر فى حالتى هو الانتهازية؛ لذا لم أشعر بالسلام الداخلى يوما وأعانى مما أنا فيه من شقاء، فأنا أحمل اسم مايكل، وأوراقى الرسمية كلها تقول إنى أمريكى الجنسية، ولا يعلم أحد بهذه التفاصيل إلا أنت .. عشت فى أمريكا فترة مع زوجتى وبعد الحصول على الجنسية بعدة سنوات تم الانفصال ثم الطلاق ..

تنقلت في عدة دول حتى وصلت إلى الكويت، وهناك تعرفت على حسين الذي تنقلت معه إلى بلدان كثيرة، إلى أن حضرنا إلى لندن واستقر عملنا هنا، حيث وجدت الهدوء الذي كنت أبعيه، فكان استقرارى حتى الآن، ولكنى أسافر أحيانا لإتمام بعض المهام، لكن حتى الآن لم تأت مهمة تعيدنى ولو حتى سائحا إلى مصر، أو ربما جاءت وقد تجنبته هربا من التعلق.

"كان صوته يتأرجح بين الثبات في رتابة عند بعض الجمل، وينخفض عند ذكر مصر في حزن"

- الجميع يعلمون أنني مايكل المصري المسيحي فقط، علاقتى بأهلى انقطعت وأعلنوا موتى وتقبلوا العزاء فى، تعرفين الصعيد، مرت سنوات طويلة لم أعد أحصيتها، لم أر مصر ولم أر أهلى، حاولت أن أتواصل مع أمى ، أن أخبرها أنني عدت لدينى وأنه لدواعى عملى اضطررت إلى ذلك وأقسمت لها، وصدقتنى، ولكنها ماتت ولم أتمكن من حضور جنازتها .. بكيت طويلا وانعزلت لأيام ولم يعيدنى إلى الحياة والعمل إلا حسين وحاجتى للمال، شعرت قليلا بالراحة عندما علمت من أحد أصدقائى فى الصعيد أنها لم تمت وهى غاضبة على.

- ولماذا غامرت وأخبرتني بهذا السر؟

- لأن حدسى أبدا لم يخب، وأثق فى نقائك ولا شك عندي فى نبلك .. كنت أحتاج لمن أبوح له بهذا السر الذى يوجعنى .. ويعذبنى .. عندما عرفت أنك مصرية

شعرت بالسعادة وحينما اقتربت منك وتعرفت عليك، أحسست وكأن الله أرسلك لي لكي يطمئنني أنه تقبل توبتي وأنه يعلم بسريرتي الطيبة .. أنا أواظب على الصلاة ياعهد، ربما أتمكن يوما من الحج .. ".
توجه بعينه لتواجه عيني للحظة ثم راحت وعقله في المدى.

- قد تكون معلوماتي الفقهية بلاعمق، ولكن أعرف جيدا أن الإيمان محله القلب وأنه علاقة بين العبد وربّه، فثق أن توبتك تقبلها ربك ولا تشك في ذلك، فهذا الشك من الشيطان.

- لماذا قبلت الدعوة إلى هذا الحفل الذي لا يليق بك عهد؟ توقعت أن ترفضني.

- لماذا أرفض؟ أنا فنانة وربما أصير ممثلة أو مخرجة ولا بد أن أغذي عقلي بتلك النوعية من الخبرات حتى يتسم العمل الذي سأخرجه أو أمثل فيه بالصدق ويقتنع به المشاهد ..

- لكنه عالم خطر ..

- وألم يكن خطرا عليك مايكل؟!

- أنا رجل؟

- هاهي النعرة الشرقية وتسלט الرجل ظهرا .. الآن أصدق أنك مصري ..

ضحكت، لكن يبدو أن ضحكتي لم يتقبلها مايكل .

- يا عزيزتي، حتى الغربي يؤمن بأن هناك مناطق يجب أن تتعفف المرأة أن تتواجد بها أو تختلط بأهلها

ومنها تلك الحفلات، التي لو نشرت صورة لك فيها لضاعت سمعتك تماما .. حتى الرجال يخافون من أن يعلم العالم بتواجدهم في مثل تلك الأماكن.

- قل لي إذن لماذا وافقت وقبلت وكنت هناك؟

- ضرورة فرضها على عملي مع حسين، رغم أنني أرفض مثل تلك الحفلات، ولكن صداقتي به تفرض علي قلقي وحرصني على حمايته .

- عهد .. هل تقبلين دعوتي على العشاء ليلة الجمعة للاحتفال بعيد ميلادي؟ منذ سنوات طويلة لم أحتفل بهذا اليوم ويسعدني أن يكون هذا الاحتفال معك .. أرجو أن يكون هذا الأمر بيني وبينك، لا لشيء غير أنني لا أريد أن يحضر هذا الحفل إلا أنت.

- لا مانع طبعاً .. كل عام وأنت بخير.

قام مايكل بمرافقتي حتى المبنى ثم انصرف ..

"كنت قد اعتذرت عن أية إعلانات حتى أنتهي من امتحاناتي .. وتعددت اللقاءات مع د. مايكل بعد احتفالنا بعيد ميلاده، أحضرت له هدية بسيطة لكنها راقية له جداً لدرجة أنني لاحظت الدموع تتفرق في عينيه .. كان مجسماً خشبياً للقلعة اشتريتها من معرض للتحف الشرقية.

توطدت علاقتي به وقد عرّفتني بأماكن عديدة جميلة، وترددنا على عدد من المكتبات العامة، وأطلعني على الكثير من الكتب الهامة في الدين الإسلامي، وما صعب شراؤه كان يُحمّله لي من على جوجل أو يبعث لي

بالرابط وأقرؤه. لا شك أن صحبته أفادتني وزادت من حبي للاطلاع والقراءة في كل الفروع أدب، فلسفة، دين .. ومقارنة الأديان وأسرار خطبة حجة الوداع وما تركته من تعدد تفاسير كانت أحد اسباب الخلافات بين السنة والشيعة، لكن كل هذا لم ينسني عدنان وحنيني إليه ..

انتهيت من الامتحانات، وفي آخر يوم تلقيت مكالمة من مكتب السيد حسين بضرورة حضوري الساعة الخامسة لأمر هام.

كان إعلانا جديدا ولقاء مع مخرج مصري شاهد إعلاناتي وطلب رؤيتي لعمل "أوديشن" .. لم يكن عدنان متواجدا.. مرت عدة أسابيع دون أن ألتقي به، فلقد انتهى العام الدراسي ولم أعد أراه في المعهد .. كنت في حالة اشتياق لرؤيته؛ لذا شعرت بخيبة أمل، بل وبالوحدة والغربة .. كنت مشتتة الانتباه كما طفل تاه وسط الزحام من أمه التي أفلتت يده من كفها الواسع..

طلبت سيجارة من إحدى الموظفات في الشركة، دخنتها مع فنجان قهوة .. كنت أحاول أن أخفي قلقي وراء دخان السيجارة والتي أصابتني بالسعال والاختناق، فنادرا ما أدخن..

فجأة سمعت صوت عدنان وشممت عطره الذي كان يقترب أكثر وأكثر من أنفاسي، لأجده أمامي ..
- إيزيس ..!؟

"مددت يدي إليه للسلام، قبلها وجلس بجواري
وسألني":

- ما الأخبار؟ وحشتيني.

"قالها ولم يعلم بما تركته من تأثير في نفسي، كان قلبي
يدق فرحا لينتقل ببساطة لسؤال جعلني أستفيق سريعا
.. لماذا لم يترك لي الفرصة لأخلق حلمي فرحا معه؟!

- أعتقد أن المخرج المصري قد شغف بفنك.

- لا أدري .. لكن لا أريد أن يبعثني العمل عن دراستي
جئت لأدرس الإخراج.

- أنت ساذجة جدا .. الكثيرات ينقبن عن تلك الفرصة
التي تطاردك وأنت تركلينها بقدميك ببساطة؟! ما فائدة
الدراسة في مجالنا طالما لن يؤدي بك إلى الشاشة؟
جاءت إليك الشاشة فلماذا تعب الدراسة إذن؟ اتركي
نفسك لي.. لا تضارب بين دراستك وعملك، كم من
مخرجين قاموا بالتمثيل مع الإخراج .. وكلاهما يخدم
الآخر ... التمثيل سيجعل منك مخرجة مشهورة.

"كنت أتوقع أن يحدثني عن شوقه لي أو عن افتقاده لي
تلك الفترة الطويلة، لكن في نفس الوقت شعرت
بالامتنان لاهتمامه بمستقبلي الفني".

- انتهيت من التصوير؟

- لا .. ليس بعد.

- سأنتظرك لتتناول الغداء سويا.

"جمحت جماح شوقي ولهفتي عليه .. ورددت على
دعوته بابتسامه وهزرت رأسي بالموافقة ..

ذهبنا إلى مطعم لبناني بعد التصوير مباشرة"
- تعبانة؟

- مجرد إجهاد .. أنا لا أشعر بالتعب أثناء تصوير الإعلانات، فأنا أعشق السينما بكل فروعها والتمثيل بكل أنواعه .. سينما.. مسرح .. إذاعة .. وأميل أكثر لإدارة المشاهد وخلق نوع من الحياة الموازية بعيني - وصفك لفن التمثيل جميل، راق لي أنك لا ترينه ترفيها ولا لهوا كما يراه أغلب المسلمين.

"وضعت يدي أسفل ذقني وتأملتة في رفض".

- لماذا تحيل كل حواراتنا إلى تهكم على الدين؟
- لأنه كان سببا في ردتنا الحضارية وتقهقر الأدب والفن عموما إلى الورااء.. النحت حرام .. السينما حرام، المتعة حرام.

"كان يتحدث ولغة جسده توحى بشئ آخر .. رأيت خلف هذا التهكم وهذا الرفض رغبة في أن يجد من يقنعه بعكس كلامه.. شخصية أخرى تعتنق كل ما يرفضه كلاما"أو ربما أراد أن يتلقى مني الاستحسان والتصديق فلا يكون وحده في حالة الرفض .

- أنت تعيش هنا حرا، لا يعقب أو ينتقد أحد تصرفاتك، تحيا بلا رقابة، فلماذا تجتر ثقافة وموروثات كفرت بها وتخليت عنها، خاصة أنه لا أحد يلومك ولا يحاسبك وتعيش هنا بكامل حواسك؟
- أنا بالفعل أفعل ذلك.

- لا .. أنت لم تنس ثقافتك التي تربيته عليها، أشعر أنك غير سعيد في ظل تلك الحرية التي تمدحها وأن هجومك المستمر ما هو إلا محاولة لأن تلق ممن حولك صك الرضا والتأييد، وما ينغص عليك سلامك أن تجد معارضا أو مؤمنا بما كفرت أنت به. سكت قليلا ثم نظر إليّ وقد تغيرت ملامحه في سرعة غريبة إلى عاشق..

غريب جدا أنا نؤمن بأن الله مُنزه عن كل النواقص، ثم نصوره كجبار ومنتقم ومراقب لكل أفعالنا، صغيرة كانت أم كبيرة .. لا يتزوج النساء ويسمح لنا أن نتزوجهن بل ويراقبنا ليعلم إن أحسننا العلاقة أم اتبعنا خطى الشيطان فولجنا من مكان محرم، لا يقتل ولكنه يدعونا أن نقتل ونتفنن في التمثيل بأجساد خلقها هو .. كنا في زمن ندين القرايين المقدمة للآلهة فإذا بنا نضحى بالإنسان بل والحيوان!!

هل يثيره الدم؟ ترى هل يثيره أنا نمارس الجنس بشرا وحيوانات؟ هل يستلذ برؤيتنا نعذب ونتعذب؟ هل هذه فكرتك عهد عن الإله؟!!

- أرى أنك تفكر في الله عز وجل بشكل مادي، بشري خالص، وعقلنا ما زال محدودا، مقيدا بالزمان والمكان، نحن لسنا مؤهلين لتصور حقيقي عن الله أو عن العالم الآخر، إن هذه الأشياء من الغيبيات التي يجب ألا نعمل عقولنا في تفسيرها.

رأيت في إحدى حلقات العلم والإيمان لمصطفى محمود حلقة عن الميكروبات أو البكتيريا.. أحضر أحد العلماء وسادة من أنظف الوسادات ووضعها تحت المجهر ليرى كمًا من البكتيريا، إن رأيته ستثير بداخلك الرعب ولن تضع وسادة تحت رأسك أبدا.

- هل فهمت مما أقوله شيئاً؟!

- أنتظر أن توضحي لي.

- أقصد أن حولنا بل وفوق أجسادنا كائنات لم يكن الإنسان قبل تقدم العلم يصدق بوجودها لأنه لم يرها بعينه، ونحن أيضا لا نراها بأعيننا لكن هذا لا ينفي وجودها، ومن الناحية النفسية نحتاج أن نصدق في وجود الله، بالنسبة لي أنا وكأي إنسان عادي يحتاج أن يؤمن أن هناك إلها عادلا، إلها رحيمًا .. أنا التي أحتاج إلى الاعتقاد في وجوده بتلك المواصفات وإلا فلا معنى لأي من تصرفاتنا القويمة .. لنقتل ونسرق ونغتصب طالما لا وجود لإله ولا وجود لحساب .. في الدول المتحضرة أول سمة من سماتها أن يكون هناك قانونا ودستورا يلتزم به الجميع ويشتمل على المجرمات فلا وجود لقوانين لا تخلوا من محرمات وممنوعات للحفاظ على تماسك المجتمع من الانهيار والتفسخ .. القانون الذي ينظم العلاقات، ويعاقب من يخالف، ويرقي من يلتزم؛ لذا تشعر بالأمان في تلك الدولة التي تقيم العدل وتشعر على أرضها بالأمان.. دولة تحجم حرية الآخر إن تعدت على حدود حرיתי، دولة تعاقب

من يقتل أو يسرق أو يتهرب من مسؤوليته تجاه أسرته، دولة تأخذ منك الضرائب عن عمل أنت تعبت فيه بمجهودك وسهرك ورغم ذلك لا تستطيع أن تعارض، بل تعتقد أن ذلك صواب وأنه القانون الذي يلتزم به الجميع وتراه تحضراً، هذا في دولة صغيرة مهما كانت مساحتها فما بالك بكون لم يخرج عن القانون ولم يخترق مجال آخر .. هناك قانون كوني له واضح وخالق وعادل .. هذا ما يحضرني الآن في نقاشنا، لكن الأزمة فيما وراء السؤال ..

- سؤال من؟

- سؤالك .. بمعنى لو كان السؤال أو المعارضة ورائها رغبة في أن تصل إلى الحقيقة فلاشك أن الطريق إلى ذلك سيكون بمدى نقاء قلبك .. أو سعيك الحقيقي وراء المعرفة وألا تقف عند حد الرفض والتهكم .. لأن ذلك معناه أنك كاره لفكرة الدين وقلبك موصد تماماً ولا رغبة حقيقية في داخلك للمعرفة بل مبرر لخروجك عن القانون الذي يلزمك به دينك أيا كان هذا الدين ..

- أنا إنسان له عقل وضمير، لست في حاجة إلى دين ليعرفني الصواب من الخطأ.

- طبعاً لأنك إنسان مثقف لك حس راق يكفي أن يجعلك تلتزم بما تضعه الدولة من قانون وستلتزم به لا شك .. لكنك فرد ليس منك الكثير، ولكن أيضاً هناك الإنسان العادي وهناك ملايين البشر كل منهم قد يرى الحق

بشكل يعترض مصلحة الآخر؛ لذا كان من الحكمة أن
 نتفق جميعاً على مرجع يفصل بيننا ونحترم قواعده
 - قلت إن ما قد يراه غيري صواباً قد أراه أنا خطأ فإلى
 أي مرجع سنحتكم ولماذا أفرض ديني؟
 - أنا لم أقل أنني سأفرض ديني فأنا هنا أحترم قوانين
 البلد التي أعيش فيها،
 - ولكن هناك من يؤمن أن الإسلام يجب أن يفرض على
 كل من على الأرض يا عهد.
 - والمسيحي يرى ذلك وكل من يعتقد في دين يراه
 الأمثل.
 - لكن المسلمين عالة على العالم بسبب معتقداتهم التي
 ما زالت تقف عند القرن التاسع عشر، ولا يقبلون أن
 يسايروا العصر.
 - وكيف نسائر العصر؟
 - بالتخلي عن كل العراقيل التي تكبل أقدامنا عن
 مواكبة العلم.
 - وهل أنت مقتنع أن دينك ضد العلم؟ في الوقت الذي
 نسخر فيه من ديننا نرى الغرب يحترمه ويرى أن
 المسلمين الأوائل لهم الفضل في نهضة أوروبا.
 - هذا كان في الماضي لا تتشذقي بتاريخ انتهى.
 - بل أنا أدرس التاريخ حتى أتعلم من أخطاء الآباء
 ونجاحاتهم فأتفادى الخطأ، لا أن أرفض تاريخي لمجرد
 أن بشرنا استغلوا جهل العامة وفسروا الأديان
 لمصلحتهم الخاصة وللتربع على الكرسي ..

أنا أثق في أن أغلب من يطالب بالتخلي عن الدين هم من يرغبون في شيء يجرمه ديننا، وهم لا يريدون أي قيد أو ممنوع، فالتحضر يقاس بمدى الالتزام بالقانون ولا توجد دولة أو أمة نهضت إلا ولها دستور وضعي أو ديني لا يخلو من الممنوعات، وإلا فلا حاجة إليه، ولم أجد السماح إلا في بلاد حكمها الإسلام، فقوانيننا الإسلامية لا نفرضها على أصحاب الديانات الأخرى، في الوقت الذي أعطى ديني الحرية للمسيحي أن يلتزم بمبادئ دينه في الزواج والميراث والطلاق .. أنا هنا يطبق علي قانون فيه اختلافات كثيرة مع مبادئ ديني، حيث تجريم التعدد وتحليل الخمر، رغم ذلك نحن نحترم القانون الإنجليزي ونمدحه ونراهم يحترمون حرية الآخر، ونلقي باتهامات كاذبة على ديننا.

البشر مختلفون في الطباع ومختلفون في تقييم ما هو صواب وما هو خطأ، ولن يحسم هذا الاختلاف إلا اتفاقنا على معايير واحدة تحسم هذا التضارب، وإلا كل إنسان سيضع لنفسه قانونه الخاص الذي يخدم مصلحته ولا يعكر عليه متعته، فتستحيل الحياة إلى غابة.. الأديان تنظم هذه الاختلافات .. وضعت قيما لم يختلف عليها البشر

- هذا غير حقيقي عهد، بل زادت من الخلاف والصراع، لم تحل الأديان مشكلة ولم توقف حربا بل أغلب الحروب سببها الخلاف الديني.

- أبدا عدنان الخلاف لم يكن سببه الأديان، الخلاف سببه الصراع على السلطة والثروات والأطماع التي لم تقرها الأديان..

أنا لا أجد فائدة من إثارة الجدل حول الأديان وأفضل أن نشغل رؤوسنا بالعمل والالتزام بالصواب والبعد عما يسبب أذى نفسيا أو جسديا للبشر.. الوقت تأخر عدنان ..

- افتقدتك .. كنت سأجن لكي أراك حتى أنني طلبت من حسين أن يلح عليك لبدء التصوير حتى أجد حجة لرؤيتك.

"نظرت في عينيه حتى أمسك بالحقيقة لعلي أرى صدق كلماته، لترتفع سخونة جسدي وتحمر وجنتاي"
- شكرا لأنك لم تتح لي فرصة الشعور بالغربة، فالعمل مع فريق أغلبه من العرب يشعروني بالأمان وكأنني في مصر .

- لنكمل كلامنا في السيارة فالوقت تأخر، سنكمل سهرتنا في مكان أثق أنه سيعجبك جدا ..

"نادى على النادل، دفع الفاتورة، وخرجنا ننتظر سيارة أجرة .. ركبنا وأغلق السائق الزجاج الفاصل بين المقعد الخلفي وبينه بعد أن أخبره عدنان باسم الشارع والمبنى الذي أسكن فيه.

- فقط؟

- ماذا تقصد؟

أقصد.. هل سبب سعادتك أنك تعملين مع عرب فقط؟

- أكيد اشتقت إليك
- مانوع الشوق هنا عهد؟
- هل للشوق أنواع؟
- هذا ليس سؤالاً أستفهامياً .. أعتقد أنه طريقة أنثوية عربية بحتة للهروب من الإجابة، يا الله على الشرقيات!
- ثانياً؟ سنتهكم ثانياً علينا؟
- لا لن أتهم، فلا رغبة لي في الجدل فأنا أريد أن أستمع بحضورك حتى الثمالة .. إيزيسي.
- صحبني إلى ملهى به (باند) للرقص .. أمسك بيدي وطلب مني أن أترك له جسدي حتى يحركه مع النغمات بشكل صحيح .. فجأة نسيت فعلاً قدمي وجسدي، وبدأ هو في تحريكى كما عروسة ماريونيت، حلقت معه والأرض سحاب والحضور غياب .. لم أر إلا هو، ولم أسمع إلا صوت الموسيقى .. حذفت من رأسي العالم واكتفيت به ..
- قطع الحلم صوته ويده التي أوقفتني عن الحركة..
- لقد صرت راقصة بارعة.
- أفقت ونظرت حولي أرقب عيون الحضور، فلم أجد من يراقب أو يشاهدنا، كل منشغل في عالمه، فلا عين تتلصص ولا إنسان ينتقد أو ينكر؛ لذا شعرت بالراحة.
- عدنا إلى طاولتنا، جلست أمامه، حاول أن يجلسني جواره، ولكنني خفت من ضعفي فربما يخرج مني تصرفاً يعنفني عليه ضميري، ولكن لم أسلم من سهام نظراته التي كانت تخلع عن جسدي أرويته، فأرأيتني

عارية تماما أمامه .. رفعت ناظري، وجدتھا تقف بجانبه، ألقّت علينا تحية المساء وتفحصتني .. قدمھا لي...

- أقدم لك الفنانة "سهام فخري" المعروفة، فنانة المسرح والتلفزيون.
قدمني إليها...

- الفنانة الصاعدة والمخرجة "عهد سلام".
ردت التحية: أهلا بك .. هل هذا اسم أم ثورة؟
"وأطلقت ضحكتها ذات المدلول الإغرائي".

مددت يدي ورحبت بها، وكان لابد أن أرد على تلك السخرية، فكان ردي: إن أبي كان مثقفا، ذواقا للغة والفن الراقى، ويرى أن للفن رسالة بل رسالات، أبسطها المتعة، وأسمأها الرقي بالذوق والأخلاق وليس استعراضا للجسد العاري وكأنه سوق للرقيق.

كتمت غضبها وانتقلت بنظرها إلى عدنان..
- ألن تدعوني إلى مشروب يا عدنان؟ ما لك صرت بخيلا!

- أبدا .. تفضلي .. (أشار للساقى وسألها عن مشروبها).

- ياربي على الزمن، هل نسيت مشروبي المفضل؟!
تصوري يا عهد، عدنان كان يطلب لي الطعام والشراب دون أن يسألني وكأن كتالوجي معه.. "أطلقت ضحكة مسرحية غلب عليها الادعاء ولكنه لم يبادلها نفس الضحكة".

جلسنا في صمت نستمع لأحاديثها المنفردة وكأنها فنانة تؤدي (مونولوج) على المسرح ويبادلها عدنان بكلمة واحدة، إما نعم أو حقيقي، إلى أن أسهبت في الحديث وكانت تتعمد أن تمرر إلى سمعي تلك المعلومة التي قالتها وكأنها زلفت عن لسانها.

- هل تذكر يا عدنان حين كنا زوجين؟
"أذكر أن أذني لم تسمع ما بعد هذه العبارة من كلمات، وكأن عقلي أغلق استقباله لأي جمل اعتبرها بلا معنى (كانا زوجين؟!)."

أفقت على رنة ضحكاتها التي جذبت انتباه رواد (الكافيه) لجرأتها وسحرها الأنثوي المصطنع ..

- ألن تسأليني عهد لم انفصلنا؟
- لم؟ (خرجت الكلمة فضولا وبلا تفكير مني)
- لأن الفنان كما بطل فيلم الكارتون، شخصية جميلة على الشاشة ولكنها لا وجود لها في الواقع .. ما ترينه على الشاشة محض ابتكار، خيال، حلم تفيقين لتجدي أن في سريرك الهواء وأن ما كنت ترينه ما هو إلا سرايا، كما أن الفنان مؤسسة ومن تتزوج فنانا تكتشف أنها تنام على خشبة المسرح .. الجدار الرابع لا وجود له، فحياتها مراقبة باستمرار والإنسان مهما كان كانا اجتماعيا، فهو أيضا في حاجة للرداء الذي يستر والبيت الذي يحتوي، والحضن الذي يشعره بالأمان، وهذا صعب الحصول عليه في عالمنا، فإما أن نختار أن نعيش عاديين أو أن نعيش في ظل جدران ثلاثة. أعتذر

إن كنت تسببت لكما في إزعاج لكن يبدو أنني أسرفت
في الشراب.

نهضت.. أمسكت وجهه بين يديها.. قبلته والتفتت إلي
ألقت تحيتها وغادرت.

- أريد الانصراف (قلتها واقفة وقد أمسكت بحقيبتني)
- هيا..

دفع الحساب وركبنا سيارة أجرة دون أن ينطق أحدا
بكلمة، قبل أن تهبط علينا تلك الفنانة كنت في أقصى
حالات الضعف، غلبتني الأجواء ورقة عدنان، كان
يحركني بين يديه، كنت أخلق، وبعد إلحاحه شربت
زجاجة بيرة أضعفت مناعتي منه أكثر، لولا حضورها
لكنت معه في شقته وعلى سريريه ولذبت بين ذراعيه.

رنات متتالية، فإذا بها رسائل على الماسينجر من عدنان كنت أتابع قراءة الرسائل دون أن ادخل على صفحة الرسائل حتى لا يعرف أنني قد قرأت الرسائل.

- عهد.. لقد كانت تجربة فاشلة ولم يكن زواجا بالشكل الذي تتصورينه .. مجرد علاقة معاشة وانتهت بلا تفاهم .. انتهت تماما حتى أني نسيتها .. لا تلوميني على علاقاتي قبلك، سنتحدث غدا بعد انتهاء التصوير..

أغلقت الـ (واي فاي) وجلست فوق السرير في محاولة لقراءة السيناريو الجديد، ولكن لا صورتها غابت ولا كلامه اتمسح من مخيلتي.. لماذا يطاردنا الحب ولا يتوانى في سحب أقدامنا لتتزلق في تلك الهاوية؟ وإن لم يطاردنا هو، نلث في التتقيب عنه والتفتيش في تلك الجموع لعنا نتعثر بظله .. هل كان ما بيني وبين عدنان حبا؟!

كنت أعجب لتعلق أختي بحبيبها وتفانيها في منحه كل مواعيدها وسعادتها، بل وتسليمها له كل مفاتيح غرفات أحلامها ربما عاشت قلقا وغيره، ولكنها لاشك استمتعت بكل لحظات الحب.. الفرح والحزن، القرب، والخذلان.. هذه هي الحياة، أما أنا فكنت كما الموظف الذي لا يغير طريقه الى العمل ولا (باص) الصباح وروتين نهاره وليله، فيعيش أيامه عبدا لجدول ثابت وروتين متكرر .. لا يحق له مخالفته، فلا تمتع بالتمرد ولا باكتشاف حارة جديدة وعالم مختلف حتى التقيت بعدنان.. كان متناقضا

مع شخصيتي .. لا يعترف بالجدول ولا الشارع الواحد،
ولا الرصيف الآمن. ألقى بنظراته في بحيرة حياتي
الراكدة فأصابتها أمواج ترتفع أقصى ارتفاع وتسقط في
جمال مغلف في قلق وسهد .. أعيش في لحظة مراهقتي
وفي أخرى أبكي كما طفل ليصيني الخذلان فأتحول إلى
شيخ ينطق بالحكمة..

لن أنسى تلك الليلة حين تملكنتي الوحشة والرغبة في
الارتواء بين أحضانه وأن أغرق في رائحته لعله يخلع
عليّ قميصه، فلا يفارق عطره جسدي ..
انتظرت في (الريسبشن) أسفل العمارة التي أقطن بها
وصحبني إلى إحدى الحانات لموسيقى الروك وغانى
السبعينات، الأجواء كانت طاغية وأشواقى كانت تجرف
حكمتي، ربما تلقى عدنان تلك الرسائل التي تموج بها
عيناى، والتي فضحت ضعفى ورغبتي فيه .. تماوج
معي راقصاً وراغباً، وشربت معه حتى الثمالة وكأني
أسرق مبرراً لخطيئتي، فغياب الوعي أفضل المبررات
للخطأ .. لم أسأله كيف عدنا وماذا خرج من قلبي من
كلمات، لكنني صحت على مرآة في مواجهة السرير
على صفحتها صورة لفتاة نصفها عار والنصف الآخر
تحت الغطاء، لكن بجوارى .. لا أحد كنت نائمة في
فراشه، ولكنه لم يستغل ضعفى، لم يستسلم لَعَوَاية حبي له
.. كان راقياً..

كانت مشاعري ما بين النشوة والندم، لكن لم تتسع لأشعر
بأن امتزاج جسدي بجسده كان خطيئة .. ترى هل نستمد

معايير الخطأ والصواب من البيئة المحيطة فقط وليس من وازع الضمير؟ هل يتشكل ضميرنا من الثقافة المتاحة والعادات المحيطة بنا ويحدد عظم الخطأ وصغره من نوع العيون التي تكشف ذلك الخطأ؟

لاحت أمام عيني صورة أمي وأبي وخجلي منهما، وما ارتكبته من خطيئة أن نمت في فراش رجل لا يحل لي لمجرد غيابهم عني .. هل الضمير لا يقوم بدوره إلا بالتوبيخ والمراقبة الدائمة؟! هل بعدت المسافة بيني وبين ضميري كما بعدت المسافة بيني وبين عائلتي وثقافتني؟

لم أجرو أن أنظر في المرأة، فهناك بداخلي غضب وعدم احترام لنفسي .. كيف سلمت لرغبتني لجام جسدي لأسقط هكذا سريعا دون أدنى مقاومة؟ كيف قبلت صحبته إلى بيته ولم لا يرتفع صوت الضمير إلا بعد الوقوع في الخطأ؟ لماذا غاب حين جرفني تيار عشقي لعدنان إلى الانحدار حتى سقطت في فراشه؟ ربما لم يعاشرني ولكن نمت في سريرته وخلعت عني ملابسني وحيائي ..

تعددت اللقاءات بيننا، إما بسبب العمل أو للسهر، ولكن أبدا لم أذهب معه إلى بيته ثانية، أما عنه فلم يخرج من فمه أي وعد أو التزام بل رغم قربني منه إلا أنني كنت أرى المسافات بيننا تتمدد وتطول، إلى أن فاجأني في هذه الليلة - أثناء تناولنا للعشاء في أحد المطاعم - برغبة السيد حسين في الارتباط بي، قالها هكذا ببساطة وكأن ما كان بيننا مجرد أحلام يقظة عشتها مع نفسي .. أحسست أنني كنت مفروضة على أجندته وأنه أخيرا تملص من

ظلي الثقيل .. متمللا بين أناملي الخشنة .. فها هو وجد
عذرا ليتخلص من صحبتي ..
سألته: وأنت ما رأيك؟

"ليجيبني وعينه راحلة بعيدا عن مساحتي":
- أرى أنها فرصة تتمناها أي امرأة بل أي بنت ..
ستنتقلين إلى عالم الأحلام عهد .. شركاته وأمواله ستكون
تحت تصرفك، ربما تتمكنين من تحقيق حلمك في أن
ينتج لك أفلاما تكونين أنت مخرجتها، بل ربما تكونين
أنت بطلتها .. أنا لا أليق بك عهد!! أنا تائه .. لم أجد
عدنان بعد .. أتخبط وأخشى أن أتسبب لك في أن تحيدي
عن تحقيق حلمك .. لم يحدث بيننا ما يجعلك توينين نفسك
.. ما حدث كان لحظة ضعف، لكنك بخير.

"كان يتحدث وأنا أدور لأجد نقطة لتلتقي عيناى بعينه
لعلني أرى ما يكذب لسانه .. أقترح بوابة عينيه إلى قلبه
وعقله، نسيت أن عدنان لعبته التشخيص والادعاء
وتقمص الأدوار باتقان، نجح في أن يتقمص دور رجل
البورصة..

تجمدت مكاني، كنت كمن سكبوا فوق رأسها دلوا من
الماء البارد في عز الشتاء .. ليت الأرض تنشق وتبتلعني
.. حاولت أن أجد ما تبقى من كرامتي لأتمكن من الفرار
من هذا الموقف المهين، أمسكت حقيبتى وطلبت منه
الانصراف .. استدرت وأخبرته بأنني سأتولى موضوع
السيد حسين بنفسى، فلست صغيرة ليتحدث أي أحد
بلساني.

غبت عن الشركة يومين أحاول أن ألملم من أركان قلبي كل مكان شاغر من عدنان، حتى أجد مساحة كافية تخلو منه، فلم أجد بقعة إلا وبها صورته وصوته حاولت أن أمسح من (رزنامتي) صفحات ضمت مواعيده، فلا أجد إلا اسمه، فكل المواعيد والأماكن كانت معه، لألقي بها في محرقة صغيرة أقمتها في بركة كبريائي.

منعت نفسي عن قهوة أتناولها في مقهى الصباح القريب من مسكني، ونظمت كتابا للمحرمات أدرجت فيه صورته وصوته وأماكن تواجده، والأطعمة التي يفضلها، وشكل قمصانه، والموسيقى التي يحبها، هكذا أقنعت نفسي أنني نفذت خطط نفيه في أقصى أركان الذاكرة، فلا أستحضره يوما.

كان موقف عدنان وتهربه مما حدث بيننا، كمن يحاول أن يتخلص مني فقرر أن يلقي بي على حسين .. شعرت كم أنا قبيحة! كم أنا مملة وثقيلة! حتى أنه أسرع في التخلص من رفقتي .. نجح في أن يفقدني ثقتي في نفسي .. كنت كامرأة استأجرها للمتعة فلم منها ثم ألقى بي ليجد أخرى .. هل هناك أفزع من أن يفقد الإنسان احترامه لنفسه؟!!

تحركت بذبح في قلبي وكرامتي، تعمدت المبالغة في وضع المساحيق لعلّي أخفي تلك الملامح التي مل منها عدنان، قد أصبح فتاة أخرى لا يهم أن تكون جميلة، المهم أن تكون أخرى غيري .. فتشت عن ألوان تضي شيئا من الاحترام والرقى على وجهي .. هناك في بقعة ما صوت عدنان يسب سذاجتي وملامي الرخيصة وإلحاح لدموعي أن تغسل وجهي وخطيئتي، لكن لا دموع، فقط تخشب في عضلات وجهي، انكماش وعبس بين الحاجبين، ارتعاشة في شفاهي وذقني كممثلة فاشلة تستحضر موقفا حزينا لتذرف دموعها، لكن يتساقط فوق الذاكرة صوت الكبرياء والتحدي ..

قررت أن أخرج للتسوق، اشتريت فستانا دفعت فيه كل مدخراتي من عملي طوال شهور في الإعلانات، وما يشمله من حقيرة وحذاء و(البيرفيوم) المناسب ..

عدت إلى مسكني .. ارتديته .. أتقنت زينتي وتوجهت إلى الشركة وأنا أعلم أن اليوم إجازة عدنان.

كانت عينا حسين معلقة بي كما العسس تراقبني وجسدي وشفاهه منفرجة تنم عن رضائه عن اناقتي .. لكن لم ترافقها نظرة الشبق التي تلازم أعجاب أي رجل بامرأة يتمنى أن ينالها زواجا أو علاقة ، ..

انتهيت من الاتفاق على العقد الجديد ودعاني إلى العشاء وصرف جميع العاملين ..

هناك في مقهى من أرقى المقاهي الإنجليزية جلسنا، كلامه كان قليلا ونظراتي كانت تائهة، وصورة عدنان

كما الجني تنتقل بين المقاعد بل وتتقنع أغلب وجوه الحضور، فرأيته في عامل الخدمات والضيوف، لكن فجأة سحبتني يد حسين وقبلته على كفي .. ماذا اليد الأخرى بعلبة من القטיפه المرصعة بالذهب وبدخلها خاتم من الألماس ..

- هل تقبلينني زوجاً؟

- "نعم" قلته، فلقد خرجت من فمي لا قلبي حتى أنها كانت كما السكين جرحت وهي في طريقها للخروج أنسجة صدري، فخرجت "آهه".

عزفت موسيقى خاصة طلبها حسين من الفرقة الموسيقية .. وطنني للرقص .. لا أنكر مالحسين من جاذبية زادت ثقافته وبالطبع ثرائه .. فالثراء يضيف على الإنسان هبة وغموض .. يتحرك في أي مكان لتنهض له احتراماً وتقرباً..

لاحظت بعض النظرات التي تبتسم وجوها تملقا لحسين، لكن.. لم يلتفت هو لها ولم تشغل حتى انتباهه ليلتفت إليهم .. لم ير إلا وجودي ولم يشعر إلا بيدي وقدمي وجسدي يتحركون معه في (هارموني) .. كان يؤدي دوره ببراعة وثقة.

قضيت معه السهرة، وكانت أول ليلة لي في قصة جديدة وما زال قلبي يعرج ألما من خيبة أصابته مع عدنان.

ضغطت على (الإف إم) لتصدح فيروز بأغنية عندي ثقة فيك، أخذتني الأغنية بلحنها الناعم الذي استدعى الدموع، وجدتني ألقى بحذائي لأرقص على الموسيقى (عندي ثقة فيك.. عندي أمل فيك) ..

لكنه يا زياد خان ثقتي وخيب أمني .. وجدتني أتحرك راقصة في هارموني بين حركاتي والموسيقى كطير يدور ذبيحا، لكن مع الذبح والألم شعرت بشكل غريب أنني في طريقي للشفاء، وأن الألم لم يكن إلا من مرارة الدواء، وكأنني كنت أنتظر اليأس حتى ألغي صفحة عدنان من حياتي ففي الصفعة إفاقة .. حين رقصت كنت أنفض عن رأسي ماضٍ قصير مثالي مع فكرة الحب .. كانت صورته تطوف على سطح الذاكرة على استحياء لتتلاشى سريعاً مع كل استدارة راقصة.. كان وهماً عشته أنا وخلقته (ديالوج) عاطفي لا وجود له .. جعلت من عدنان فارسا ملكيا وهو المتمرد على الامتلاك ..

تغني فيروز "حبيبك مثل ما حدا حب .. ولا بيوم راح يحب .. باجرّب شو علقني بس فيك" .. أعرف شو علقني فيه، سذاجتي وخلو حياتي من تجربة حب

سابقة، كل ما اختبرته كان ما سمعت من وعد أختي
عن حبها لعاصم إلى أن انزلق قلبي .. خلقت الأغنية
حالة من الشجن سببه الخذلان، كنت أسمع صوت
الخواء في قلبي الذي لفظ حبي، فلقد أخذت ملامح
عدنان تتشكل في صورة مختلفة .. صار "الفلين" في
روايتي، إنه الشرير الذي ينصب الفخ لتقع فيه البطلة،
المتآمر لنزع الفضيلة ولإحلال مكائده، أو هكذا خلقت
لخطيئتي العذر .. وهأنذا أسعى لارتكاب خطيئة أخرى
في الاختباء في قميص حسين.

بعد أن التقى حسين بأسرتي، والذي كان مفاجأة لهم،
فلقد عدت إلى القاهرة على متن طائرته الخاصة
في زيارة خاطفة تمتد لأيام قليلة، لكن وقعها كان كافياً
ليhez أركان البيت!

بدا حسين في عيونهم رجلاً استثنائياً .. اللباقة،
والأناقة، الهدوء، التواضع والأهم، الهيبة التي لا تصنع
فيها.

راقبته أُمي بإعجاب لم تُخفه، وأبي لم يبد اعتراضاً
كالعادة، بل بدا مرتاحاً لحديثه، وانفتاحه في النقاش،
واهتمامه بي.

أُخي لاحظته يتحدث عن مشاريع وأموال، وطموحات
خارج حدود هذا الوطن الذي سجن أحلامنا، فتعلق به
كأنه مرآة لما لم يستطع تحقيقه.

حسين كان يفرض حضوره بصمت، وكأن وجوده
إعلان غير منطوق:

"أنا أستطيع أن أغير مصير هذه الفتاة، وقال لأُمي :
- ابنتكم مميزة جداً، مثقفة ولبقة، تشبه جيلاً ما عاد يولد
كثيراً .

التفت إلي بنظرة حيية، وقال بصوته الهادئ:
- وأتمنى أن أكون سبباً في نقلها إلى مرحلة جديدة في
حياتها .. تستحقها.

(يفتح حسين تلك الموجات التي تعصف داخل عقل أبي بذكائه).

- لقد أتيت لأتعرّف على البيت الذي تربت فيه تلك النجمة وذلك القمر الذي سطع ليضئ عالمي .. أنا رجل بسيط يعمل في التجارة والفن، ولقد وهبني الله نعمة اكتشاف الكنوز في البشر والمال، ولم يخطئ لي تكهن ولا تنبؤ بحمد الله.

لم يسبق لي الزواج لكثرة سفرياتي ولأن من هم في مثلي لا يجدون وقت الفراغ للبحث عن زوجة تتحمل معي سفرياتي واغترابي، إلى أن رأيتها .. إلى أن منحني الله فرصة اللقاء بها .. رجوت الله أن تكون زوجتي وأميرتي.

"أنصت أبي لكل كلمة، وكان يتفقد ملامحي بين الفينة والأخرى وينظر إلى أمي في نظرة ترجمتها أمي بأنه في حيرة مما يسمع ويشاهد، واكتفت عهد كعادتها بالصمت والمشاهدة، ليعود حسين لمواصلة حديثه الذي أدهش أسرتي..

- سأكون زوجاً وأباً ومدير أعمال لها وسندا لها حتى الموت، وكما تقول السنة إنه لا بد من سؤال العروس، وأنا لم أحضر إلى القاهرة إلا بعد أن تأكدت أنها تقبلني زوجاً، والأهم بالنسبة لي هو مباركتكما وبركة موافقتكم.

- اهلاً بك السيد حسين أو الأمي ر حسين؟

- لا لست أميراً .. أنا عبد من عباد الله أستاذ سلام

- أهلا بك .. وأشكرك على الكلام الجميل الذي مدحت به ابنتي وبيتنا، بالطبع حضرتك ستمكث بمصر لعدة أيام؟

- ثلاثة فقط

- أتيت لتتقدم لخطبة ابنتي في إجازة ثلاثة أيام فقط؟

- لا.. ليست خطبة، بل زواج

- زواج؟ في ثلاثة أيام؟

- نعم .. الشباب يخطبون ثم ينتظرون استكمال الجهاز والبحث عن الشقة والمهر والشبكة، وأنا قد أحضرت معي الشبكة والمهر، أما الشقة فلقد اتصلت بشركة عقارات تابعة لعائلي هنا بالقاهرة لحجز شقة في منطقة تليق بها وتجهيزها، طلبت منهم إيجاد مهندس ديكور مناسب لأستلم الشقة بعد عودتنا من شهر العسل، أما مهر عهد فكل ما تطلبه سأوقع لك شيكاً حالاً به، أما شبكتها فهي الشقة مع ما تطلبه من ذهب أو ألماس.

- العرض مغر جداً سيد حسين، والأمر كله مفاجئ، لكن أكيد ستتلقى منا الرد غداً إن شاء الله .. نحتاج أن نتشاور كأسرة أولاً وربنا يقدم الخير.

- استأذن في الانصراف لكن أُمي صممت على أن يتذوق الكيكة التي صنعتها له خصيصاً ..

"شعر حسين بالألفة مع أسرتي ورأى فيها كما وصفتهم له .. أب وأم مثقفان، عصريان .. يتمتعان بعقل متفتح

متفاهمان .. وأعجبه ذوق أمي في الأثاث وتنسيق البيت .. حتى أنه مدحها:

- ليتك تشرفين بنفسك على ديكورات شقتنا فأنا عاشق لكل ما هو شرقي واللمسات الكلاسيكية التي غارت تحت الديكورات العصرية التي فقدت الروح وصارت بلا شخصية .. العالمية تمحو التفرد ..

مرت الساعات أغلبها كان المتحدث حسين بثقافته وسفرياته المتنوعة ونحن كنا مستمعون .. ليتدخل وجدي بالقليل من الأسئلة التي تتطرق كثيرا نحو علاقاته النسائية والتي لم يغفل حسين عن الرد عليها بشكل حازم بأنه من عائلة لها اسمها وتاريخها وأن عمله ومؤسسته من الكبر وتعدد المشاريع مما يصعب معه توفر وقت فراغ للتسكع أو للمغامرات النسائية، لكن هذا لا يمنع من أن هناك الكثير جدا من عروض الزواج من عائلات كبيرة لها اسمها في وطنه ومن بلاد مختلفة، لكنه كان ينتظر امرأة بمواصفات معينة، كان يثق أنه لو التقى بها لن يتردد في الزواج بها وأنه قد وجدها في أنا ..

غادر حسين برفقة أخي ودخلنا أنا وأختي إلى غرفتنا، وجلس أبي مع أمي يتناقشان في أمر تلك الزيجة السريعة .. قلق ساورهما، فهو ليس مصري ومن بلد - حتى لو كانت عربية - فالثقافة بها الكثير من الاختلاف والعادات.

سهرت مع أختي وصديقتي نتحدث، أقص عليهما ما دار وأنتظر أن تخبرني عن رأيها في حسين. كان ردها رومانسيا حالما كما هي"، الأهم أن يكون ثالثكما الحب، فهي كارثة أن تعيش المرأة مع رجل غريب على قلبها .."

"لمست جملتها قلبي وأرقت ضميري .. كنت أسمعها وروحي في دنيا أخرى .. لقد عانينا كلانا من الحب وخذلان الحبيب ، كيف لها أن تؤمن بالحب بعد كل ما عانتة ؟!

عن أي حب تتكلم وعد؟! الحب سمة تميز الأنثى أما الرجال فلا يشغلهم إلا الرغبة، للحب نصل حاد يصيب القلب في مقتل دون أن نحذر، وأسطورة كيوييد تشهد على ذلك.

قد أرسل القدر حسين لي لينقذني من الغرق في الخرافة ومن الذبح على يد عدنان".

طرقت أُمي باب غرفتنا ولحق بها أبي، فلم يتمكننا من النوم.

قلب الأم وعقل الأب اتفقا على عدم الراحة، فالفارق الاجتماعي والمالي بيننا وبين حسين والفارق الثقافي بين مجتمعينا يقلق .. سألتها لأن في الإجابات ما يسهل التفاهم ويقدم ما يريح ما بداخلهم من مخاوف:

- هل أزعجك ثراءه فقط يا أُمي ؟

لتجيب:

- الثراء مرتبط ببيئة ذات سمات وإغراءات ليس من السهل تجنبها .. عهد أنتِ اقتحمت عالما مخيفا ومجهولا ..

- أمي ، رغم الخطبة ورغم القرابة في زيجات كثيرة، يظل الغموض قائما في شخصية الزوج والزوجة لا يفهم أحدهما الآخر أو يكتشفه إلا بالعشرة، وما عرفته عن حسين يكفيني حتى الآن .. هو رجل كريم سيساعدني في تحقيق أحلامي .. يعمل في نفس المجال الذي أعشقه أما ما تبقى فيحتاج العشرة وهو ما سيظهر بالزواج.
قال أبي:

- قمنا بتربية أولادنا وأرضعناهم القيم وغذينا ضمائرهم، ولن يضلوا أبدا.

- أولادنا ليسوا معصومين، هم بشر يتعرضون للمغريات، وعدم السقوط لا يحتاج إلى الضمير فقط، بل بالبعد عن المجالات التي تؤجج تلك الإغراءات..

- سواء وافقنا أو لم نوافق أرى أن ابنتك أخذت قرارها بقبول تلك الزيجة، وأفضل أن نقبل وأن تتم برضاها حتى تظل تحت حمايتنا وأعيننا.

- صدقت، فالرهان على المشاعر لا ينجح غالبا، ومهما طالت فترة الخطبة أو كان العريس معروفا، بعد الزواج نتعري من كل الأقنعة ويظهر ما تم إخفاؤه .. البشر أكوان يصعب تفسيرها.

هكذا اتخذنا، أبي وأمي قرارهما بقبول زواجي من حسين بسهولة ..

رغم إقناعي لهما بالقبول بحسين زوجا لي، لكن كان نصف عقلي يتمنى أن يرفضاً تلك الزيجة.

تزوجته، كانت أسبابي واضحة لي، كان الدافع في البداية أن أنتقم من نفسي وقلبي الذي انساق وراء عدنان، والذي كنت أرجو من القدر أن يكتبه لي وأنا لا أريد من الدنيا إلا أن أعيش معه في غرفة، فوجودي معه هو الجنة ..

إلى هنا يجب أن يسكت صوت قلبي إلى أجل غير مسمى، وألا أنصت إلا لصوت عقلي، فمعه تقل احتمالات الخطأ، فلا يجب أبدا أن أنسى أن من منحه قلبي وثقتي قد أصاب قلبي في مقتل، أتحرك وأنا كما دجاجة مذبوحة تجري وتتخبط في كل اتجاه بحثا عن نفس يعيدها إلى الحياة، أو قد ينجدها أحدهم من النذف الذي ينزع روحها لكن كنت وحدي، أتألم وحدي .. لم أتحمّل الألم ولا الإهانة وكان ردي أن تزوجت من حسين الذي يكبرني بأكثر من خمسة عشر عاما، حتى أتحرك أمامه وهو يراني منتصرة وأنا التي أخذت القرارات وأرأسه في عمله، لا بد أن أظل أمامه قد أستطيع أن ألملم بعثرات كرامتي وأعيد قلبي إلي سليما.

كتبنا الكتاب في القاهرة، وودعت عائلتي أختي وتوأم روحي، لم تتوقف دموعي أمامهم عن الهطول،

فسروها أنها بسبب انتقالي إلى بيتي الجديد ورحيلي
عن غرفتي الصغيرة في أحضانهم، وأنا كنت أبكي
الأمريين وكم تمنيت أن يمنعني أحد من إكمال تلك
الزيجة، لكن يبدو أنني أتقنت تمثيل دور الفتاة التي
نجحت في تحقيق أهم أحلامها، وهو الزواج من ثري
يساعدها في استكمال باقي الأحلام.
لم أَرْض بزفاف، صممت على أن تكون الصفقة سريعة
بلا زفاف، أو بمعنى أكثر دقة، عزاء، وأن نساغر في
رحلة حول العالم.

لأتعرف على حسين عن قرب، كان رجلا كريما راقيا، له علاقات في بلاد كثيرة، هو نفسه كان عدة مؤسسات، لم يمر يوم أو ليلة إلا وهو في حالة حركة وتنقل وإتمام صفقات وضيوف، وحتى لا أشعر بالملل، وضع تحت إمرتي سيارة بسائقها يتحرك معي في كل الأماكن، والسائق كان على علم بالأماكن التي ستروق لي، وفي المساء كنت أتنقل أغلب الوقت وحدي بين المطاعم و(الكافيهات) .. هكذا كان الوضع عند كل بلد سافرنا إليها إلى أن كانت الليلة التي جمعتنا في غرفة بفندق في فرنسا، علمت إدارة الفندق بأننا حديثي الزواج، فزينوا غرفتنا بالبالونات والورود، وكانت أمام السرير مائدة صغيرة عليها كأسان وزجاجة شمبانيا، وديك رومي ومعه مقرمشات متنوعة ذات رائحة جميلة .. كنت أشعر براحة غريبة في تحركي وحدي وفي انشغاله عني .. تلك الليلة شعرت أن قلبي يكاد ينخلع من صدري، ورغبة في البكاء والصراخ بل هناك صوت يدفعني للهروب .. ظهر على تعبيرات وجهي كلام كثير، وأحسست أن حسين وكأنه سمع حوارا مع نفسي، من مثله عاش وتنقل بين بلدان العالم وأكد ارتباطه ببنات وسيدات من مختلف الثقافات، وأنا ما زلت أحبو بعد في الحياة وهو كان واحدا من تلك الخطوات الأولى ..

أخذ حماما وغير ملابسه، ارتدى بيجامة من الحرير وكانت رائحة عطره تعلن عن ثمنه، (براند) من إحدى الماركات الفرنسية الغالية ولكنها خنفتني .. أمسك بيدي وأجلسني على السرير، أمال رأسي وقبل جبيني وقال لي:

- تصبحين على خير.

"تنفست الصعداء .. ورددت: وأنت بخير سأخرج إلى الفرندا لأقرأ كتابا.

- كما تحبين أميرتي.

كانت المرة الأولى التي تجاوز فيها حسين وقبلني في فمي، شعرت لحظتها أنني ارتكبت خطيئة، قبلة محرمة، شعرت بتقلصات في معدتي وغيثان، قاومته بأقصى ما أستطيع، فجأة برد جسدي وشعرت برعشة شديدة وكأنني خرجت عارية في أجواء ديسمبرية في لندن .. فهم إحساسي أو برره بخجلي .. لا أدري، لكن قدرتي علي المقاومة انهارت وهرعت إلى الحمام، أغلقت بابه، أفرغت ما في جوفي .. جففت فمي وخرجت في محاولة أن أتماسك واعتذرت له ..

- أعتقد أن معدتي لم تتعود على الخمر .. لن أشرب ثانية.

- تعالي عهد اجلسي جوارى .. لا بد أن نتكلم .

"اتجهت نحوه وجلست على مسافة قصيرة منه، لكن تعمدت أن أترك مساحة حتى لا يحتك جسده بجسدي ..

- أنا لا رغبة جنسية لي فيك اطمئني فأنا مرتبط بعلاقة .. أقصد عاطفة ما تجمعني بأحدهم.

"كلماته كانت مهينة لأنوثتي وطعنة في كبريائي، لكن تماسكت وبردت تلك النيران التي أشعلها هو في جسدي غضبا .. استكمل حديثه:

- فقط أريد أن أضع كل الأمور في نصابها وأن نبداً حياتنا بالصدق، فالجميع يعلم بغضبي للكذب والنفاق ، فالكذب كما تربيت لا يجب أن يقترن بالرجولة وأنا يا أميرتي رجل لا يكذب .. أنا لا أرغب في النساء، هكذا خلقتي الله، لنقل كما يتردد في عروبتنا (لواطي) وكما يقولون في الغرب "هوموسيكشوال" ..

أنا لن أهينك ولن أحرمك مما فطرنا الله عليه وأكد لك الحق في أن تعيشي حياتك كما تشتهين، لكن احذري أن أعرف .. هذا هو شرطي.

أمسكت برأسي وتلاحقت أنفاسي، كدت أفقد الوعي .. شعرت بدوار وفجأة ارتفعت حرارتي بعدما كنت كما قالب من الثلج .. كان يلقي بكلماته وكأنه يرجمني بجمرات حارقة في وجهي دون أن يراقب حتى ألمي.

- ماذا تقول؟!!!

"كررتها في ذهول، لم أكن أسمع صوت كلماتي، كنت أسبق لساني حتى ألتقط ما يكذب ما سمعت منه"

- ما الأمر عهد؟ لا تكوني متخلفة، لقد ارتبطت بك لا اعتقادي أنك عصرية، فنانة، فتاة سافرت وحدها إلى بلد أوروبي لدراسة فن الإخراج، لا شك أنها ستفهم

تكوينني الجسدي والنفسي، ولن يكون هناك غضاضة ولا تبرم، أنا لا أخطب فتاة خرجت من خيمة في البادية ولا بنتا تقليدية تختفي تحت الشرشف.

- زيجة حرام .. حرام .. "جملتني خرجت مرتبكة مغلفة بدموع تساقطت رغما عني ..

- وما سبب حرمتها؟ هل تزوجتي من كافر؟ أنا مسلم الحمد لله، وأصلي أحيانا وأحيانا أصوم فما وجه الحرام هنا؟! هل ترغبين أن أحضر لك فتوى بأنني لا أعصي ربي؟!

أنا لا أرتكب حراما، لقد تزوجت على سنة الله ورسوله، ولأنني لن أتمكن من إرضاء رغباتك فلن أظلمك، فالظلم ظلمات أميرتي، لكن هناك جزء كبير يقع على عاتقك امرأتي .. إن نجحت في استمالة رغباتي كما استملت قلبي، فمنذ أول مرة رأيتك فيها في ذلك الحفل وأنا عندي إيمان ويقين بأنك لي، أعتقد أنني سأكون لك، ربما تتجحين يوما في إعادتي إليك، إلى أن تجدي مخرجا سأدعك تعيشين كما يحلو لك، مادمت لا أعرف عنك شيئا، لكن إياك والعلاقة مع القريبين مني، فأنا رجل أعمال له اسمه وسمعته، وسمعته هي رأس ماله.

"عند هذه الجملة رفع سبابته أمام أنفه وكأنه يتوعدني". وإياك أن أعرف .. عندي حقي كزوج أن أعاقبك وعقابي لن يصل خيالك لتصوره أو وضع سيناريو مناسب لما سأفعله بك ..

استأذن في الانصراف، فهو سينام الليلة في الغرفة
الملحقة بغرفتنا.

- تصبحين علي خير ..

"اقترب مني ليقبل جبيني وقفت كما تمثال من الحديد
بلا رد فعل مناسب، وخرج".

سقطت عمدا على سريري، ولطمت وجهي، ولم أحص
كم لكمة ضربت نفسي، وبكيت لألقي بنفسي على
السريـر في شكل كومة وأغيب في نومة كما الغيوبة.

عدنا إلى لندن وغربة أخرى ، خسرت الكثير من وزني، وزادت عدد حقائب التسوق التي اشتراها لي والمصاغ .. تركني أمام باب الفيلا واستأذني في أن يذهب إلى المؤسسة لمتابعة بعض الأعمال الملحة .. قدمي تتحرك بصعوبة حتى اجتزت البوابة وكأني في طريقي إلى مدفني صاحبة، إنه اختياري، اخترته دون أن يحاول أي إنسان إقناعي به، بل أنا التي صممت على الارتباط به .. أيا كان الدافع .. فهو بكامل حريتي لم يجبرني عليه أحد .

نعم كنت أنتقم من عدنان، وهأنذا انتقم من نفسي .. سألتني تلك المربية الفلبينية "مايومي" بإنجليزيتها السخيفة إن كنت سأتناول الغداء.. أجبته بلا وطلبت منها فنجانا من القهوة .

سألتني عن نوع القهوة وكأنها تمد لي " مينيو " بعدة لغات بصوتها .. أسكتها بإشارة من يدي .. فإذا بصوت سيدة عربية تطلب منها أن تنصرف وأنها هي من ستصنع قهوتي بنفسها .. أنها السيدة أمينة .. الأم الروحية لحسين ..

في محاولة لأن أسترد بعضا من لياقتي ووعي قررت أن أتناول القليل من الطعام ..لأبد أن أصمد وأكمل دراستي ومشروعي الفني .. لكن بمجرد ما استرجعت

حديثه المقرز معي وقبلته على فمي عادت الانقباضات
إلى معدتي ..

حتى صارت ملازمة لكل استرجاع لحديثه معي
وصل إلى أذني من المطبخ صوت المذياع وأغنية
لمحمد عبده "الأماكن" .. رقدت على (الفوتي) مددت
قدمي وأسندت رأسي على مسنده، ورحت مع الكلمات
مغمضة العينين أستنجد بالاسترخاء والنسيان .. هدأت
التقلصات .. هبطت السخونة قليلا .. ناديت
على "أمينة"، تلك السيدة العربية المفضلة إلى قلب
حسين والتي تتنقل معه أينما سافر، فهي من يأتونها
في أن تصنع له الأكلات التي يحبها، وطلبت منها أن
ترفع صوت المذياع.

دخل حسين مكتبه، صب لنفسه كأساً من الشمبانيا
 واتصل بمايكل يطلب منه سرعة الحضور .. دخل
 مايكل بصحبة السكرتيرة رزان، التي طلب منها حسين
 أن تصب لهما فنجانين من القهوة التركي .. قدمت
 القهوة، وفي طريقها للخروج طلب منها عدم الإزعاج
 وألا يدخل عليه أحد حتى انصراف د. مايكل..
 سأل مايكل:

- ما الأمر حسين؟
- أنت أكثر صديق عارض تلك الزيجة .. كنت صادقاً.
- ماذا حدث؟
- لم تكف عهد عن البكاء حتى عودتنا وضميري
 يجلدني.
- طلقها
- ماذا تقول؟ لم يمر إلا شهر، هل تريد تحطيم سمعتها
 وتدميرها؟
- احترم إنسانيتك يا حسين .. احترم فيك رقيق .. لكن
 كانت زيجة لا تليق لا بك ولا بها، وكم حاولت إقناعك
 أن تقضي إليها بهويتك وهي تختار.
- خفت أن تضيع من يدي وأن ترفض الزواج بي..
- أرى الشبه الكبير بينها وبين السيدة رفف .. هل هذا
 ما دفعك للارتباط بها؟

"ارتبك حسين وبدا على وجهه الغضب من ذكر الاسم"
هذا كلام فاضٍ، كما تقولون في مصر، لا أساس له من
الصحة.

- إياك أن تكون مريضا بالمازوخية، فهي كارثة أن
تحمل مرضين .. لها الله عهد.

" في ابتسامة مصطنعة أكمل حسين حديثه": أريد منك
أن تفكر معي كيف أشغلها وكيف أبعد عن تفكيرها
موضوع الطلاق، فأنا لن أطلقها.

- أسند إليها عملا يشغلها في المؤسسة وحاول
تعويضها ماديا ومعنويا.

- أحسنت..

اتصال تليفوني من أمي تطمئن على وصولي وعلى أخباري، حاولت أن أتقمص دور العروس التي عادت توا من رحلة لأوروبا وكأنني كنت في صحبة علاء الدين على بساطه السحري، أخبرتها كم أنا محظوظة وأنني رأيت أماكن لم أكن أحلم برؤيتها حتى لو في الأحلام، وبعودتي وجدت عدة عقود لعدة إعلانات وأفلام، وفي نهاية المشهد سألتها عن أبي وعن أحوالهم وإخوتي، طمأنتني وطلبت مني أن أهتم بصحتي وأن أرتدي الثقيل من الملابس، فلندن برد هذه الأيام وألقت على مسامعي خبراً رآته هي سعيداً، أنها تتابع تشطيب شقتي بنفسها وأن حسين يرسل إليها مبالغ كافية وتزيد للانتهاء منها لتليق بي .. لا أفهم هذا الرجل، تجتمع فيه كل المتناقضات، كريم وعطوف، ولكنه صارم وعصبي .. يحارب لأجل النجاح والمال ليلقي به ببساطة لكي يستمتع ويمتع من في كفالاته .. رجل يحمل كل الصفات العربية التي نفخر به، لكنه مصاب بأخلاق غربية يرفضها الدين.

شعرت في أول لقاء مع أمينة بالقلق منها وبالغربة عنها؛ لذا حاولت أن أجهز لنفسي الطعام إلى أن اعتدت وجودها هي ومايومي، وصرنا أسرة، كانت أمينة بخبرتها وروحها الطيبة وعت ذلك وبذلت جهداً حتى تتقرب مني وتشعرني بالأمان وبأنها مثل أمي .

ساعد وجودها فيما بعد في تحسن حالتي وتجاوزي
لشعور الغربة، وتجاوزي كارثة خبر مثلية حسين، ففي
غيابه الطويل كانت الفرصة في البرء من الصدمة
والتعود على البيت وعلى وجوده .. أفقت على
المأثورات التي كانت تخرج عن أمي وأبي أن كثيرا
ما نجد في الابتلاء رحمة .. من أين تحصلوا على كل
تلك المواعظ وهم لم يخرجوا من مدينتهم إلا إلى
مصيف؟ ولم يختبروا الكثير من المصاعب والمغريات
التي أواجهها الآن هنا وحدي، حيث كل شيء يتم
التعامل معه من اليسار إلى اليمين وكأنني اخترقت
المرآة كما "حكاية أليس في بلاد العجائب"، ومطلوب
مني أن أتعامل مع كل المعكوسات بنفس القيم
والمأثورات التي ما من موقف ولا أزمة إلا ولنا فيها
قول وعظة، وكأنهم رفع عنهم الحجب وقرأوا الغيب
بل والتنبؤ به، وهذا ما اكتشفت أنه وهم يعيشونه هم في
دنياههم البسيطة، لكن وبما أنني لا أمتلك مأثورات
غربية مشابهة في التعامل مع يومياتهم فلأجرب ثقافتي
التي حضرت معي، لذا قررت أن أستمتع بما هو
متوفر لي وأن أقبل النقص الذي أعانيه لعله خير، هذه
هي الحياة.

ذهبت إلى المؤسسة لاستكمال تصوير ما تبقى من مشاهد لعدد من الإعلانات لأشغل نفسي أطول وقت في العمل حتى لا أجد فسحة للتفكير، ليفاجئني حسين بأن عرض علي أن أتولى تقديم برنامج سييٲ في إحدى القنوات الخاصة بمؤسسته .. كان ناجحا في إظهار عشقه لي وسعادته معي أمام موظفيه .. كان ممثلا قديرا .. في هذا اليوم أمسك بيدي ونادى على الفريق وكل موظفيه وأعلن أمامهم:

- هذه أميرتي .. وما دامت أميرتي فهي السيدة الأولى لكل الشركات بجميع فروعها، لها الأمر والطاعة. قبل كفي ونظر في عيني ليرى كم أنا ممتنة له .. ابتسمت، لكن لم تمهلني التقلصات أية فرصة لأتقن ما كتبه لي حسين من مشاهد، كان عدنان على مقربة من حسين، يقف إلى يمينه وأنا إلى يساره .. لم أنظر إليه ولكني كنت أشعر بنظراته التي ترسل معنى التعاطف معي وربما الندم أنه شارك في تلك المكيدة التي أوقعني أو أوقعت نفسي في حبالها .. كتمت غثياني بأقصى ما أستطيع، ولوحت له بأنني في حاجة للذهاب إلى (التواليت) لكي أهنم زينتي.. هناك أفرغت ما في معدتي كله، خرجت وعيني تتجول في الشركة بحثا عن مايكل.. علمت أنه مهم في المصنع، بدا الاصفرار على

وجهي وأنني أعاني من تعب ما، لذا آثرت الانصراف،
ملت على حسين لأهمس له برغبتني في الانصراف:
- سأعود إلى البيت، لقد أصبت أكيد بميكروب من
اختلاف المناخ والطعام.
- سأعود معك، لن أتركك لنذهب إلى دكتور صمويل
لأطمئن عليك.
أجرى لي الطبيب عدة تحاليل ليقرر أنني لا أعاني من
أي تلوث ولا هناك أي نوع من البكتيريا، ولكنه طلب
من الممرضة إجراء فحص بالموجات الصوتية ..
كتب لي الطبيب بعض المطهرات والفييتامي نات،
فهناك نسبة أنيميا، وقائمة من المأكولات التي يجب أن
أواظب على تناولها لأستعيد قوتي.
عدنا إلى البيت، لم يتركني حسين، بل أخذ إجازة لكي
يتابع صحتي ويطمئن علي، كان على علم بسبب
معاناتي، يدرك رفض جسدي لتواجدي في عالمه،
ولكنه حاول أن يعالجني كمن يمنح مريضاً مضاداً
ليقبل جسده زراعة عضو جديد، في محاولة ألا يلفظ
ذلك العضو.

قمت من رقتي، فلقد منحني إجازة يومين حتى تعادل نسبة الأنيميا ويهدأ الصداع والغثيان. أخذت حماما دافئا ثم ارتديت شروالا قطنيا وقميصا قصير الكمين، ونزلت إلى الحديقة توسلا للعالم أن يمنحني بعض الهواء النقي العذري، الخالي من أي تركيبات ملوثة، حاولت أن أمشي قليلا في حديقة البيت قد أتمكن من رجرجة الأفكار داخل عقلي فأنسى، لكن لم أستطع فكنت من الضعف أن زادت دقائق قلبي وهاجمني الهبوط .. توقفت واكتفيت بأن أستمتع بالهواء والشمس والطبيعة بعيدا عن الناس، لاحظت حسين واقفا في الشرفة وعلى وجهه ابتسامه تخبرني عن إحساسه بالسعادة أنني بخير، وقف أمامي واضعا يديه في خصره ونادى: "أمي أمي نة" .. أحضري لنا الفطور هنا في الحديقة.

جلسنا معا أمام حوض السباحة أجفف عرقي وأرقب نظراته من حين إلى آخر .. ما زالت تلك الابتسامة حاضرة لم تغادر شفثيه .. لأول مرة ألاحظ كم هو وسيم! لم يترك العمر علامات واضحة تعلن عن عمره الحقيقي، كان كشاب لم يتجاوز الثلاثين، رشيقا ذا ذقن سوداء وشعر طويل أسود يغطي رقبتة وعينين مكتحلتين عسليتين .. وأنف حاد .. شفثاه اختفتا تحت الشارب .. طويل القامة .. جسمه رياضي، لم أره يوما

متلهفا على طعام ولا يشتهي نوعا ما .. يأكل ما يتم
تقديمه له .. لا يرفض أي نوع من الطعام إلا الخنزير
لأنه حرم في القرآن بشكل صريح، أما الخمور ففيها
بعض شك في تحريمها الصريح .. "هكذا برر لي"
- أخبارك طيبة إن شاء الله عهد.

- الحمد لله .. أفضل.

- بالطبع أنت الأفضل أميرتي.

"حاولت أن أنظر في عينيه، لعلني أجد في بريقهما حبا
أو شوقا لي أو لجسدي، لكن رأيت نظرات ذات معنى
مختلف، ربما تكون نظرة حب أخ لأخته أو لأمه ولكنها
لم تحمل أي اشتهاء للأنثى التي هي زوجته".

- لماذا لا تلقين ما في عقلك من أسئلة عهد؟ أنا مخلوق
مستأنس، طيب والله" .. أرسل ضحكته كأنه يسخر من
الكون ويكايد ما بداخلي من قيم".

"أحضرت أُمِّي نة الفطور وألقت تحية الصباح، مالت
لتقبل جبينه، دعت لنا بالسعادة

أمسك حسين يدها قائلا: سمحت لك بتحضير الفطور
رغم أنك متعبة فرجاء أن تستريح وتدعي ما يومي
تقوم هي بباقي الأعمال.

- راحتي في أن أراك مرتاحا، وأعرف أنك لا تأكل إلا
من يدي ..

"استأذنتنا ودخلت غرفتها وتركتنا لننعم بالطعام
والشمس كما قالت".

أمسكت بالخبز ومددت يدي لأصنع لنا شطائر من الجبن، وصببت الشاي وصنعت لي كوبا من الشاي بالحليب.

- سألني في ود: لا يمتزج الشاي باللبن إلا وقد أفسد أحدهما الآخر .. خليط لا يرحب به الجسم لكنني سأشربه مثلك، فما تحببته سأحبه حتى لو كان ضارا.

وطلب مني أن أصنع له كوبا مثلي .. كان ودودا، رقيقا لكن لم أتمكن من منع تقلصات معدتي، حاولت أن أمنع معدتي من العصيان والتمرد بأن وضعت في فمي قطعة جبن رومي، ولكن تدفقت سوائل من فمي لتتسخ المائدة والنجيلة .. اعتذرت له وحاولت النهوض والانصراف، ليمسك بيدي ويصحبني لغرفة المعيشة، ونادي على مايومي أن تقوم بتنظيف المائدة .. أعطاني منديلا ومعه حبة الدواء وربت على كتفي..

- عهد أنا أحبك ولم أندم يوما على الزواج بك وسأتحمل غضبك لأنني أعرف من هي عهد وكيف هي، ولم أتزوج بك إلا لأنني عرفتُك جيدا وانجذبت إلى شخصيتك ونقائك .. أشعر في وجودك بالأمان.

- حسين ..

- نعم، أميرتي.

- أريد الطلاق.

"لم تصفعه كلماتي، بل ظل على هدوئه"

- لا.. لن يحدث .. أنت كما حديقة صغيرة من الزهور الطبيعية التي تطرد ما في حياتي من هواء ملوث وتمنحني النقاء .. كيف ألقى بك؟
- زواجنا فاشل.
- لا أعتقد أنه فاشل .. فقط تخلصي مما علق برأسك من أو هام ومورثات خائبة سترين كم نحن محظوظون.
- أنا عالقة في بيئة يرفضها الله .. ييغضها.
- عزيزتي، هل تعلمين أن العلاقات المثلية كان معترفا بها في مصر القديمة، بل حدثت حالات زواج بين مثليين؟ نعم .. "خنوم حتب" وزوجه "تي خنع خنوم" .. كانا مثليين بل وسبقا عصرنا بالزواج الرسمي المقبول من المعبد .. إنها الطبيعة بتنوعها وتعدد مخلوقاتها .. لا بد أن نقبل اختلافاتنا سواء أكانت عقائدية أو لونية أو جنسية .. أنا أحترم التزامك الإسلامي وأجله، وأنا أيضا مسلم أحترم ديني ولكني مختلف ..
- وحقي في أن أكون أما، فالزواج مؤسسة تقام لأجل بناء أسرة وإنجاب أطفال لاستكمال الحياة .
- لا بأس لن أحرملك من حقك في الأمومة، سوف أحجز عند أشهر الأطباء لعمل تلقيح صناعي وتصيرين أما بعد تسعة أشهر، فأن يكون لي ابن منك لشرف وسعادة لم أكن أحلم بأفضل منها.
- "تلجلجت كلماتي، فكيف أنزع عن لساني الخجل وأسأله عن حقي الجسدي والروحي في أن يضمني زوجي

ويحتويني جسدا ورغبة؟ لكن أبدا لم يجهل حسين ما يدور في عقلي.

كان حصيفا بما يكفي ليقراً عقلي ويجيب عن أسئلة لم أطلقها عليه:

- راق لي وأفنعني جدا قول الشيخ الشعراوي أننا نحصل على حقنا بالعدل، فلكل منا 24 قيراط.. يحصل عليه كاملا ولكن بنسب مختلفة، بمعنى أنه لا بد أن نعيش وقد نقصنا جزءا ما، كلنا حبيبتي يعيش معا ينقصه عضوا أو حقا ما، فالكمال لا وجود له في الدنيا، رغم ذلك لقد سمحت لك وأنا زوجك أن تحققي ما ينقصك لكن تجنبي أن أعرف. ع ندي اقتراح آخر، هناك أجهزة تعويضية لمثل حالتك من المتزوجات تغنيك عن الحاجة إلى رجل .. سأطلبها أنا بنفسك لك.

- التزمت السكوت ومعه ارتفاع في سخونة وجهي وغليان في عقلي وألم في فكي تبع ضغطي المستمر عليهما حتى أمتنع التقلصات والغضب.. ماذا أفعل؟ هل أستغيث بأبي وأمي؟ هل أهرب وأعود إلى مصر؟

الإجابة على كل تلك الأسئلة هي الرفض، لم أترب على الهروب بل ربتني أُمي على مواجهة المشاكل والصمود .. هكذا كانت تنتقي قصص بطلات تحدين ظروفهن وأنقذن بيوتهن من التفكك بل ونجحن في حياتهن .. هأنذا أتعرض لثاني اختبار بعد اختبار اشتغائي لعدنان .. نعم فشلت في الأول ولكن لا بد أن أجتاز اختباري الثاني وبتفوق.

استمر حوارى مع نفسى وأنا ألاحظ تحرك شفاه حسين وهو يتحدث، ولكنه كان بطل فى فيلم من السينما الصامتة.. بلا صوت، لأففق على قوله: "لاشك أننى سأكون عبدا لك إن حافظتى على اسمى وشرفى، وأنا على يقين أنك لن تلوثى اسمك أو اسمى فحين اخترتك دوننا عن النساء اللاتى يحطنننى كنت حكىما وعلىما بمن أتزوج وبمن أمنحها اسمى .. عهد لن أحرملك من أى مادیات تطلبینها، والطائرة تحت أمرک تسافرن بها أينما تريدین، وفیزات بكل العملات تحت أمرک، وسوف اكتب لك شركة من شركاتى بعد أن تمنحینى ولى العهد .. ما رأيک؟

"لم أجد إجابة ترضیه وترضى ضمیرى .. اکتفیت بالهروب، نهضت وصعدت إلى غرفتى، تذکرت کلام أمى لى حین تناقشنا فى أسباب حزنها وإحساسها الدائم بالتقصیر .. قالت لى وهى التى اعتقدت فى حرية المرأة وحققها فى التعلیم والعمل، وأن تسعى جاهدة فى تحقيق ذاتها وإشباع طموحاتها الخاصة، لكن الغربىب أنها لم تنس ما رضعته من أمها من تقديس البیت والأسرة وحق الأبناء .. قالت لى يوما إن الأمانات تزداد كلما نضجنا، ويزداد تعقد العلاقة بین رغباتنا و بین المحرمات، تربت على أن جسدها أمانة لا بد أن تحافظ علیها، فلا يجوز أن تهدر تلك المنحة فىما قد یؤرق ضمیرها وقد یلقى بها فى مصیر یکتبها فى تاریخ آخر لا ترغب أن یذكر اسمها فىه، وأن العلم

أمانة يجب أن نعمل على نقله بيننا وأن العقيدة أمانة بل حيوان الشارع والرصيف أيضا أمانات.

هل كانت تعلم أمي بكم الإغراءات التي أواجهها الآن وكم المعتقدات التي تخالف ما ورثناه هنا؟ هل كانت تعلم أمي أن البشر لهم ضمائر ملونة كما شاشة السينما، فيها الأبيض والرمادي والأحمر الذي يعشق الدم، وهناك الأزرق؟

أنا هنا في حرب مع نفسي ومع من حولي، أقف بلا سلاح سوى موروثات أتيت بها، ترى هل ستصمد أمام جحافل المدنية وتواري الإيمان بالرب؟! هنا كوكب آخر.. في حاجة إلى أن أنفرد بنفسي وترتيب أفكاري واتخاذ القرار الذي يتناسب معي.

من أنا حتى أشبعه وعظا عن الفضيلة والعفة وأنا التي تعرت على فراش ليس لها بسهولة لأول رجل ألقى على أذنها كلمة أحبك؟ كيف أعظه وأنا التي نافقت ضميرها فقالت ولم تفعل؟ من أنا حتى أعارض خطيئته وأنا خاطئة؟!

لم يمر إلا شهران على زواجنا وحسين يرسم لوحة مقدسة لاسمه وصورته وحياته لن يسمح لأحد أن يفسد ألوانها أو أبطالها، وأعلم من خلال الفترة التي تعاملت معه فيها أنه حازم حين العقاب، صارم حين يدير أعماله.

هل أنا على استعداد أن أتخلي عن الحياة المرفهة التي أحيها الآن؟ لقد عانيت وحدي هنا وكنت أتناول بل

أَتَذُوقُ الطَّعَامَ حَتَّى أَوْفِرَ الْمَالَ لِأَكْمَلَ دِرَاسَتِي وَحَتَّى لَا
أَكُونَ عَبْنًا عَلَى أَسْرَتِي، نَعَمْ أَهْلِي لَمْ يَبْخُلُوا عَلَيَّ وَلَكِنْ
مَا كَانُوا يَرْسِلُونَهُ لِي لَا يَكْفِي أُسْبُوعًا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ،
لَقَدْ تَوَفَّرَتْ لِي كُلُّ السَّبِيلِ حَتَّى أَنْهِيَ دِرَاسَتِي وَأَحْقُقَ
جُزْءًا مِنْ أَحْلَامِي ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ جُزْءًا سَأُحْرَمُ
مِنْهُ، وَهُوَ الْحَيَاةُ مَعَ حَبِيبٍ.

حَسِينُ رَجُلٍ نَاجِحٍ .. كَرِيمٍ .. رَاقٍ فِي مَعَامَلَتِهِ مَعِيَ ..
بِإِذْنِ الْعَطَاءِ حِينَ أُطْلَبُ، لِأَعْتَبِرَهُ مَعَاقِفًا كَمَا وَصَفَ
حَيَاتِنَا، وَلِأَوْصَلَ التَّحْدِيَّ وَتَحْمِلَ تِلْكَ الْأَمَانَةَ أَيَا كَانَتْ.

..
وَقَرَارَاتِهِ لَا تَرَاوِجُ فِيهَا، وَكَانَ ثَانِيهَا الْحَمْلُ!!

الغثيان الذي صار كما المرض المزمن في جسدي، هو نوع آخر من الحرب بين جسدي وبينني، وهذا الطفل الذي نبتت نطفته داخلي، الذي لم ينبت في أرض صالحة، فهو قد زرع في رحمي بلا حب، كيف سيكون شكله وعقيدته؟ هل سيرث عن أبيه انحرافه عن الطبيعة؟ ترى هل سيرث ملامحه وأفكاره؟ الوسواس غاصت في قرارة نفسي، فعظمت كما المرض الخبيث الذي لا علاج له إلا الاستئصال.

راودتني الكوابيس بأني ولدت فتاة كانت تحمل ملامحي وعصيان أبيها، رأيتها تعاشر النساء وتؤجر جسدها لمن تشتهي المتعة الحرام، لأنهمض من نومي بضربة من الغثيان فأجري إلى الحمام لأفرغ ما في جوفي من لا شيء، وأتمنى أن يخرج مع اللاشيء ذلك الجنين. لتمر الساعات في أحاديث بيني وبينني، تنتهي بأن أحافظ على ذلك الحمل، فقد يأتي معه الفرج والحل، قد يكون هو كيوبيد الحب الذي سينشر الحب الحلال بين جدران بيتنا، كما أنني أجبن من أتمكن من إقناع نفسي بقتل نفس ما بالك بقطعة مني!

نظرت إلى المرأة أتأمل بطني وما يحتضنه في داخله من نطفة إنسان سيكون ابنة أو ابناً لي .. نعم تم مزج مكوناته في معمل تلقيح، لكنه ينمو ويتغذى من جسدي ويرتوي من دمي.. وبدأت أحاسيس الأمومة تتخلل كل

روحي حين أخبرني الطبيب أن العملية نجحت، وأراني صورة النظفة على الشاشة .. شرعت عيناى في صعود وهبوط في كل جسدي ليلفت نظري قدمي، كانتا تتخذان وجهتين مختلفتين وكأنهما على خصام، مشط قدمي اليمنى ينظر يمينا بميل، وقدمي اليسرى تنظر إلى اليسار في ميل، يحملان جسداً واحداً، ولكن في خلاف فيما يتعلق بالوجهة، كما رأيتني منشقة إلى نصفين، نصف يرفض ويتمرد على حسين وانحرافه المزاجي، ونصف أحبه وشعر معه بالسلام لكنه حب من نوع آخر.

استمرت حالة الغثيان والقيء كلما اقترب منى وزادت حدثها بعد الحمل، حين حاول أن يجاملني كزوج وقبل شفتي، سرت إلى جسدي رعشة الرفض لقربه ونفسه، فكانت قبلته مرفوضة، كيمياء سلاف فمه يطردها فمي في رفض للخطيئة، هكذا كان شعوري وربما ارتاح هو لهذا النفور، فلا رغبة حقيقية لجسده أن يتلامس مع جسدي.

هبطت الدرج أسرع في الخروج إلى حديقة الفيلا لأستنشق الهواء الذي يمنحه الله للناس نقياً، لأسمع صوت أمينة ترحب برجل ما .. أوصل الهبوط لألمح عدنان.

رحبت به ومددت يدي إليه بالسلام .. أمسك بها ولم يتركها وكأنه يحتضن جزءاً منى يفقده .. سحبت يدي برفق حتى لا تلاحظ أمينة ..

أشرت بيدي إلى الحديقة ليرافقني إليها، وقالت أمينة أنها ستبعث مايومي بالشاي ومعه بعض الكعك.
ساد الصمت دقائق تجول فيها عدنان بنظراته في كل أنحاء وجهي وجسدي كمن يستعيد من ذاكرته ملامحي ويضاهيها بما تغير في، ثم يخزن في ذاكرته ملامحي.

- أهلا عدنان.

- أهلا إيزيس.

"ابتسامتي تمددت على وجهي بلا مدلول، يحدها حزن وبكاء في عزاء كبير لا يحضره إلا أنا وطفلي ..

- أراك حزينة .. لم عهد؟!

- الحرية حظ عظيم .. يصاب صاحبها بالهم، هل تعرف ماهو الهم .. عدنان؟

- أعرفه وأعيشه عهد منذ تخليت عنك، لقد تعودت على وجودك في حياتي، أرى في عينيك عدم الاحترام لي، ولك كل الحق، لكن أريدك أن تعرفي من هو عدنان، ربما أظهر أمامك رجلا مستهترا بلا قيم ولكنك ستعرفين مع الوقت أنني كنت خير سند لك وخير صديق.

- صديق؟! هل هناك صداقة بعد الخذلان عدنان؟!

- لم يكن حبا عهد .. ربما كان انبهارا أو رغبة أو تجربة حب من فتاة لم تخرج بعد من مشاعر المراهقة.

- هل رأيت في فتاة مراهقة؟

- لا أقصد الإهانة بل قصدت أنك لا خبرة لك بعد وأناي كنت أول رجل في حياتك؛ لذا كان من الطبيعي الانجذاب لي لكنه لم يكن حبا.

- ربما، فلقد عهدتك تقرأ عيون النساء بل ورغباتهن؟..

- لا يستطيع رجل مثلي أن يحيا بلا امرأة .. أنه كافتراض أن يحيا الإنسان بلا أكسجين ..

أحيانا أشك أنني مريض بالنساء .. لكن أيضا لا أريد أن يظلمني الناس ويتهمونني بالحيوانية فأنا أحببت ومازلت أحب .. وأنت جئت في وقت غير مناسب لبيتك ظهرت منذ عدة سنوات ربما نجحت قصة حبا.

- لماذا تأخرت صراحتك .. ولم تبج بها لي من قبل؟

- أحس أنه حان موعد المصارحة والمكاشفة لأنني لا أريد أن أخسر ك فلك مكانة لم يسبق إليها أي من النساء اللاتي تعرفت إليهن.

"كلما هممت أن أسبه أو أصب غضبي عليه، عقد الكبرياء لساني موحيا لي ألا تلفظي بجملة قد يرى فيها ضعفك،" فسكت وآثرت الإنصات في هدوء، وفي برود خرجت الأسئلة وكان الأمر لم يعد يعنيني:

- هل أنت مرتبط بامرأة يا عدنان؟

- نعم .. هي ابتلائي .. أرى أنها لا تستحق حبي ولكن الأمر خارج عن اختياري، فنحن لا نحب بعد قرار .. الحب كما الموت .. هو من يختارنا.

- لماذا لم تحدثني عنها ونحن كنا الأقرب في البوح والمسافة؟

- اعتقدت أنني حين أكف عن الحديث عنها، فسيمر الوقت وأنجح في نسيانها والتغافل عن الذكريات معها، وتمنيت - لأكون صادقاً معك - أن تتجح علاقتي بك في أن تداويني من إيمانها ولكن كعادة الإنسان لا يشتهي إلا كل ما هو ضار .. أدمنت حزني الذي تسببت هي فيه واعتدت أن أتجرع سم ذكرياتنا معاً؛ لذا رأفت بك وأردت أن أحررك من أي ارتباط بي، وأن أعوضك عما سببته لك من أوجاع وها أنت ذا متزوجة من رجل من أثرياء لندن.. وكما نردد عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً

- بالفعل أشكرك .. لقد وهبتي حياة لم أكن أحلم بها .. وها أنا ذا أحمل ابنه..

- بالفعل؟ ألف مبروك ..

أتمنى لك السعادة عهد .. وآسف لو كنت تسببت لك في أي ألم .. نحن نسعى ونأخذ قرارات قد تصيب وقد تخيب، لكن أبدا لا أتعمد الألم لأحد.

وأعرف ما تعانيه لكن حاولي تستفيدي من تلك الزيجة، فهناك الكثيرات اللاتي يتمنين مكانك وعلى استعداد أن يدفعن من عمرهن سنوات لكي يأخذن مكانك .. لكل شئ ثمن .. هذه الزيجة اختصرت أزمانا ومجهودا كبيراً وستوفر لك الفرص للتألق والنجاح .. ولنكن أصدقاء، جئت لكي أعرض عليك ما يعوض عليك وحدتك.

- وكيف ذلك .. كيف ستعوضني؟

- أعرض عليك نوعا آخر من الحب، أن أكون لك صديقا فكل العلاقات تنتهي إلى نقيضها إلا الصداقة فعمرها أبدي. أريد أن أعوضك عن خذلاني لك، سأكون كما مدير أعمالك أساعدك لتحقيق أحلامك الفنية، فالمادية تحققت باقترانك بحسين.

أحضرت مايومي الشاي .."وأخبرتني بأن حسين نهض من النوم وسيكون في مكتبه بعد ربع ساعة.
- اشرب الشاي عدنان واذهب لتكمل ما جئت له .. حسين ينتظرك بمكتبه.

انصرفت وأنا أحمل بداخلي طفلي وخيبتين، زوجي، ورجل أحببته يوما وخذلني.

لم أخمن أن أمينة كانت جيش حسين في بيته، وبكلمة منها يخرج من حياته ناس ويستمر آخرون، ربما لا تتلصص ولا تنقل الحوار، لكنها تكتفي بجملتها التي كنت أستغربها .." دعه يبقى فدوره لم ينته"، وهو المصدق في نصيحتها، الملبى لطلباتها، المطيع لأوامرها، ورغم نقيصته لم يتخل عن عروبتة وغيرته، وما ألقاه علي من نصائح بحقي في التمتع، ماهو إلا قياس لمدى إخلاصي له.

بعد انتهاء اجتماعه مع عدنان، صعد إلى غرفتي مخفيا وراء ظهره يده ممسكة بشئ ما، كنت في سريري أقرأ كتابا، مال ليطلع قبلة على جبیني ومد يده بهدية وفي عينيه امتنان واحترام لي، شكرته على هديته وانصعت لقدري ..

- حسين؟
- نعم أميرتي.
- خبراتي في الحياة ضحلة إن قارنتها بخبراتك، لكن الفارق أنني أؤمن أن لنا إرادة وتلك الإرادة هي ما جعلت الإنسان يقود العالم والعلم لنصل إلى هذا الكم الهائل من التفوق العلمي والاختراعات التي لا يصدق أجدادنا أننا تملكناها ووصلنا إليها.
- نعم .. عندك حق .. لكن ماذا تقصدين؟
"كان يتحدث وهو على (اللابتوب) يقوم ببعض الصفقات بجواري على السرير"
هل سمعت عن قصة امرأة اسمها جيني بورتون؟
- لا .. سأسمعها منك الآن.
"أغلق اللاب توب ووضعها على (الكومود)، وأدار وجهه لي وأنصت في اهتمام واحترام"
- ملخص حكايتها أنها خرجت في بيئة مفككة، لأب وأم مدمنين، لتدمن هي أيضا المخدرات لأكثر من عشرين عاما، ثم تسترد وعيها وتقرر أن تغير من نفسها وتنقذها من الضياع، ونجحت يا حسين، تعافت من الإدمان ودرست العلوم السياسية وتخرجت بتقدير مع مرتبة الشرف .. رفضت أن تسقط أو أن تستسلم لظروفها، آمنت بإرادتها وبأنها قادرة على أن تنتشل نفسها ومستقبلها من كل ما يسحبها للضياع "كان يتأملني بنظرات تحمل الكثير من العطف أكثر من

الحب .. برق في قلبي شعاع أمل .. وأعتقد أنه سيزيد
ليصير - في يوم ما - شمساً" ..
لن أخذلك عهد .. سنحاول معا ..
ليقطع حديثنا مكالمة من مكتبه، نهض من الفراش
وطلب مني أن أنام وسيكمل المحادثة في الغرفة
المجاورة .

ما دار بيني وبين عدنان، كان علاجاً لي من تعلقي به،
 وشفائي من هوسي المريض بشخص لا يستحق إلا أن
 يكون تابعا لسيد، وبدأ وعيي بحسين، ورغبة طاغية في
 داخلي تخبرني بحرب لاسترداده من نفسه وإعادته إلى
 حضني ..

لم يكن سهلاً تحولي من امرأة ينافسها ذكر على
 زوجها، الذي تنفر من أنفاسه، إلى زوجة تشتهي
 زوجها المسافر روحاً، الحاضر جسداً. يبدو أن خيبتني
 في حبي الأول منحتني طاقة دفعتني إلى التفكير فيمن
 أرادني وتمسك بي، ورغبة حقيقية أن أحول زواجي
 الصوري إلى بيت .. هل أصابني الهوس؟ هل ما
 يدور بداخلي من تناقضات هو نوع آخر من الانحراف
 عن الطبيعة؟

لكن في العالم الذي أقحمني فيه قدرتي ودعائي إليه
 حسين، ما شغل عقلي وجدد من طموحاتي وغير من
 بوصلة أحلامي ، فوجدتني أنحي مشاعري وأشرع في
 ارتداء (التايورات) التي تناسب مهمتي التي منحها لي
 زوجي، وهي إدارة شركاته، ونجحت في التعافي من
 تجربة الخذلان وبدأت لا أرى إلا ما بين يدي من منح،
 وأتغاضى عن النواقص التي ألمسها من حين إلى آخر،
 ولكي أنزع عن جسدي ذلك الجلد الذي يخنقني، احتجت
 أن أبوح لآخر مرة بخطاياي لأتلقى الغفران، لا من

بشر بل من ضميري، فاتصلت بمايكل ملاكي الحارس
والذي ساعدني كثيرا في التغيير.

التقيت به بعد أيام من محاولات الالتقاء به لأعترف له
بما في داخلي من صراع، وما بين جسدي من شجار
لعله يحمل في مكتبة عقله إجابة قرأها في أحد الكتب
السماوية الشرقية.

هكذا تعودت منه، أن يلقي لي بحبل النجاة كلما أصاب
حياتي لوثة من اقتحام أحد البشر عالمي، لكنه أخذ مني
موقفا رافضا حين قبلت الزواج من حسين .. كان
رحيما بي، لم يعنفني أو يلمني، ولم يتخل عني بحجة
أنه اختياري، وضعت مايكل على منصة قس
الاعتراف رغبة مني أن أتخلص من خطاياي واعتقادا
في أنه قد يمنحني الغفران .. صكا كان أو تبريرا.
قصصت عليه ما كان مني:

-لقد جعل عدنان مني امرأة مهزوزة، مسلوقة القرار
والكبرياء .. استسلمت لمشاعري التي كانت يقودها
الاشتهاء، الجوع إلى من يشبع رغباته. كان الجزء
الحيواني البشري جدا مسيطرا على قراراتي، كنت
عاشقة له، راغبة فيه، وكان زاهدا فيّ، تسلقني كما
يدوس الإنسان السلم ليصعد، فيطول القمة، والقمة عنده
هي قصيدة أو حبكة درامية لفيلم جديد أو لإعلان آخر
.. أفقت على أني تمثال قي يد بيجماليون، لا حرية لي،
صنوعة يده وإبداعه، إلى أن تمردت على الأسر
وكسرت قيد هوى قلبي واستغثت بالسما، أنا في حاجة

لأن أنساه، أن أنتقم من قلبي وأسلمه القرار .. هكذا
هربت من قلبي وجسدي لأنجو.

لا تُلمني مايكل، أريد منك أن تدلني، أن تنصحي ..
متعبة ومهزومة أمام نفسي، أعرف أنك حذرتني طويلا
منه، لكن حبه أعمانني وضللني حتى أفقت على وجه
زوج نظريّ لي .. زوج على الورق، لكن يعلم الله أنني
مخلصة لحسين وأن عدنان صار ذنبا استغفرت ربي
عنه ونسيتّه، فرغم أن حسين منحني الحرية في أن
أمارس حقي الجسدي، ورغم أنني في بلد لا يجرم
العلاقات الجسدية خارج الزواج إلا أن هناك في داخل
ضميري كانت تدور معارك، فطالما وبخني ذلك القابع
بداخل الروح بأني كفتاة حرة لا تقبل أن تغرق في
الرديلة حتى لو كانت غير محرمة في مجتمعي الجديد،
إلا أنني لا أقبل أن تستعبدني الشهوة، حتى الآن أنا في
أمان من قلبي وجسدي والرجال، واخترت أن أكون
أميرة لا تمس، وأمّا، أما عن حسين فهو ناضج وبالغ
بما يكفي ليتحمل اختياراته وانحرافاته، فقط ليبتعد
بجسده عن جسدي، ليراني كما يريد، أمه، أو أخته أو
حتى أخيه، لنعيش في سلام.

- لا حق لي أن أوبخك ولا حتى أن أحكم على
تصرفاتك ولكنك منحتني مكانة يجب أن أقدرها وأن
أمثلها بشكل يرضي ضميري.. تعرفين شيئا عن الديانة
الطاوية .. عهد؟

- لا..

- أكيد رأيت رمزها أو مر أمام عينيك، ولكن لم تتأمل في معناه، هو عبارة عن دائرة بداخلها شكلان يقتربان من شكل الحوت، أحدهما أبيض والآخر أسود وفي قلب الأبيض بقعة سوداء وفي قلب الأسود بقعة بيضاء. يقال إن الأبيض هو "اليانج" والأسود هو "اليين"، وهما طاقتان متضادتان وهما أساس حدوث كل شيء في الحياة، هما ليسا أبيض وأسود تماما مثلهم مثل أي شيء آخر في الحياة ويحتاج كل منهما إلى الآخر فهو مكمل له ولا يتواجد أي منهما دون الآخر، بينما اليين هو الظلام، السكون، الأسفل البارد، الانكماش والضعف فإن اليانج هو النور، النشاط، الأعلى، الساخن، التمدد والقوة..

أعتقد اننا نحمل بداخلنا القوتان وكلما ارتفع الصراع بين الطاقتين وغلبت إحداها الأخرى، تشكلت شخصيتنا ومصائرنا .. كل منا بداخله الخير والشر .. ليس منا من هو شر خالص أو خير خالص وإلا ما كان الله في حاجة لأن يخلقنا، فهناك الملائكة والشيطان نحن مخلوقات بين بين ..وسطية

عدنان إنسان، وأنت وأنا وقبلنا حسين، الذي ننظر إليه على أنه انحراف للطبيعة ولعنة لم يحاول أي منا أن يفهم ما الذي جرفه ليسقط في تلك الهاوية، والمفاجأة أن تلتقي أنت به أو يضعك القدر في طريقه ..

لقد نجحت في التخلص من ضعفك، وهو عدنان، ويجب بالفعل أن تغلقي تلك الصفحة، لقد منحك القدر

فرصة طيبة للشفاء ولكي تكسبي ثوابا من انتشال
حسين من ذلك المستنقع، ربما لأن هناك نقطة بيضاء
في قلبه فلقد ارسلك الله له، وربما كانت غلطتك سببا
في رهافة قلبك،

**فالملائكة لا يشعرون بضعف البشر يا عهد ..
المذنبون والتائبون فقط من يمنحهم الرب قلوبا رقيقة
كأفئدة الطير .. يشعرون بضعفنا ويلتمسون الأعذار
للخطاه/ لا ينصبون لهم الجحيم.**

ارتيميت في حضن مايكل وبكيت على كتفه، شكرته،
شعرت لحظتها بحبه وتعاطفه معي بل وبألمه.
رن جرس من مكتبه ليدخل الساعي، طلب لي كأسا من
الليمون وطلب لنفسه فنجانا من القهوة، هكذا كانت
اعترافاتي لمايكل .. كنت أرجو الغفران والبراءة من
الإثم .. انتظرت منه أن يقضي ببراءتي وأني إنسان له
الحق في الخطأ والتوبة، وبالفعل أنصت لي جيدا
وتحمل جرأتي.

- لا بأس عهد .. ما حدث قد حدث وهو الآن زوجك
وللأمانة لاحظت تغيرا في سلوكيات حسين منذ دخلت
حياته، هناك في قلب حسين حب لك من نوع ما، ربما
يكون حبا بدعه حسين لكنه موجود وبارادتك وبقدرتك
التي تتصف بالنقاء، ستتمكنين من أن تحولي هذا الحب
إلى عشق زوج لزوجته هذا هو التحدي الجديد أمامك،
أما عدنان فهو مسكين يتخبط، ليس شريرا بقدر ما هو
تائه، أشك أيضا بنسبة كبيره أن موضوع النساء هو

يتظاهر به ليخفي صراعا نشب في قلبه وعقله، ولكي يتجنب أن يفتك به هذا الصراع يختبئ في النساء، ودليل ذلك أنه مخلص حتى الآن لحبيبة لم ينل منها إلا الألم وتعرضه لابتلاء رحيل أحبة فاق قدراته، فأثر الهروب بالنسيان والخمر.

صدمته في مقتل حبيبته أم ابنه في حادثة، وقد تركت له طفلا لم يتجاوز الرابعة، هو الرجل المدلل الذي لم يتحمل مسؤولية لترك وحيدة لأمه تتولى تربيته، فهو لا يثق في قدرته على تولي تربية طفل وحده .. عدنان يهرب من القيود والمسؤوليات وما حدث بينكما أكد لي شخصيته .. يعاني عدنان نوعا من الفوبيا فلقد خاف من اجتياحك لدنيته فأثر الهروب، رأى أنه لن يسعدك كما تتوقعين؛ لذا تملص من مشاعره معك ليدفع بك إلى أحلام لا حدود لها، وما حدث بينكما لم يكن نذالة أو استغلال منه لك لأنه بالفعل أحبك .. هذا ما اعترف به لي .. أرفض التفسيرات المتعصبة أحادية النظرة فكم من أحكام أطلقناها وكنا متيقنين منها لنكتشف أنها كانت خاطئة وظالمة وكان التعصب هو الذي يحركنا.. المفروض ألا أقول لك ذلك خاصة أن عدنان كان غريمي في قلبك، فأنا أيضا أحببتك يا عهد وما حجمني هو حبك لعدنان وتسرعك في اختيار حسين، ورغم ذلك أبارك اختيارك وأسألك إلى الأبد".

"لم أتفاجأ باعتراف مايكل، ولكن أؤمن دفاعه عن عدنان وتبريره لأفعاله من زاوية بشرية محضة."

- هل أثرت دهشتك؟ أخشى أن تفهمي اعترافي بشكل خاطئ أنني أستغل اعترافاتك مثلاً .. عهد أنا تكلمت بتلقائية لأننا اقتربنا والتحمنا معا وكأننا أسرة تكونت بفعل قدرتي بحت، فأنا أعي جيداً أنني أتعامل مع امرأة ذات كرامة وعزة نفس وكبرياء لن يسمحوا لها بالانزلاق في خطأ آخر، فمن هي مثلك يكفيها خطأ واحد، وعلاقة، ثقافتنا تراها تجربة خاطئة، ونحن لن نتعلم إلا من تلك التجارب التي تثقل وعينا.

"لم يكن عندي رد مناسب؛ لذا لم أختَر السكوت بل فرضه الموقف، استمعت إليه حتى النهاية .. فلا رد حاضر في ذهني أو مناسب لجرحي مشاعر مايكل، فالحب من طرف واحد مرض عضال .. عشته وأحسست بما في داخله.. "

اكتفى مايكل بأن قال جملته: "أرجو ألا يكون زواجك من حسين، طمعاً في ثروته كما أغلب المنتفعين حوله، أو انتقاماً من نفسك لحبك لعدنان، لا تجعلني حياتك تتحول إلى ردود أفعال لما يفعله الآخرون في حقك، كوني سيدة قرارك.. ما يطمئنني أنك ما زلت في أول الطريق، والجميل أنك تتعلمين سريعاً .. عهد، كوني بارة به، ليس فقط لأجله، بل لأجلك أنت أيضاً، (فوجع الضمائر من أقسى أنواع الانتقام الإلهي).

سامحي نفسك، لا تدعي تجربتك مع عدنان تفقدك ثقتك في نفسك أو في الناس، اعتبريها تجربة اكتسبت منها

مناعة وخبرة ف خبراتنا تتشكل من التجارب الفاشلة والناجحة والخذلان.

إنه موتٌ عزيزتي لو فقدتِ ثقتك في نفسك، فأنت حلم لأي رجل، وأمنية يتمناها الكثيرون، ولن تتحقق.
"شعرت بالامتنان وأنني بالفعل أصبت حين لجأت إليه .. كنت في حاجة لأحدهم ليريني أنه ما زال هناك"
"احترام الآخر لي".

انتهزت الفرصة لأعرف بعض المعلومات عن أنشطة المؤسسة..

- مايكل، هناك الكثير لا أعرفه عن المؤسسات، وأنا الآن صرت مسؤولة مع حسين، فلقد كلفني بالكثير وأريد أن أفهم .. وعدني حسين بعد أن أبرأ من الولادة ورعاية ابننا أنه سوف ينتج لي فيلماً من إخراجي أو بطولتي إن أردت .. شكرته وطلبت منه أن أختار نصاً أخرجه أنا، فلا رغبة لي في التمثيل، أجدني وراء الكاميرا وإدارة الحياة أمام الكاميرا .. خلق الجمال له متعة خاصة لا يشعر بها إلا الفنانون ..

- ما أخبار ابننا الذي ينعم بجسدك عهد؟
- هل أنت سعيد حقا به؟
- بالطبع .. هل تشكين في ذلك؟ جميعنا بداخلنا نطفة إلهية تسعى باستماتة إلى الخلود؛ لذا فرحتنا بطفل يحمل جيناتنا وملامحنا نراها انتصارا في عمق الوعي أننا أخيرا نجحنا في أن ننعم بالخلود في شكل طفل يحمل اسمنا، ويكمل الغد معنا أو بدوننا، لنظل بعد موتنا في قطعة منا تستمر في الوجود وتكمل، نتحایل على الفناء والموت ليكون ابني هو أنا في شكل جديد يحمل مقومات عصره ليتكيف مع تحديات مختلفة، ثقافة مختلفة، وعالم ودنيا مختلفين .. هو نحن .. نحن الذين سنعيش في الغد بعد أن نفارق بأجسادنا القديمة التي بلّيت بفعل عوامل التعرية والزمن، سأتركني في الغد وسيتترك ابني جزءا آخر مني في غده، وهكذا نحن سنخلد ما دامت نطفتنا ما زالت تنتج أطفالا.
- لم إذن تريد أنت ومن يعتقد في حرية ممارسة الجنس "الفسنوعي" "هوموسيکشوال" أن تقضي على سلالتك وأن تحرم العالم من الخلود، فالعلاقة المثلية لا تنتج أطفالا بل هي إشباع جنسي فيه خلل وانحراف يضر لا يفيد.
- لقد أوجد العلم طرقا للحفاظ على النوع والخلود عن طريق التلقيح الصناعي.. (وأطلق ضحكة المنتصر

لفكرته)، كما أن الجنس المثلي جزء من الطبيعة التي خلقها الله، فهناك نباتات بل وحيوانات تمارس هذا النوع من الجنس ونحن جزء من تلك الطبيعة فكيف أكون انحرافا عنها؟!

- ستجد بين الأسد والنمر والقط تشابها تشريحيًا بيولوجيًا، ولكن ما زالت بينهما فروق واضحة لا تجعلنا نضعهم في نفس الفصيل وإلا لحدث تزواج بينهم ومعايشة، كما أن القردة تشبهنا في الملامح، لكنها ليست نحن، فالإنسان مخلوق آخر قد يتشابه تشريحيًا مع فصيل آخر ولكن له كينونة متفردة، لقد نهى الله أن نصنف مع تلك المخلوقات، وعلمنا أننا كائنات أرقى، لأننا باختصار نمتلك ما لا تمتلكه تلك المخلوقات، نمتلك الوعي .. العقل .. حرية الإرادة، بل والحياء؛ لذا نحن خارج هذا التصنيف. وهناك أديان نظمت وشكلت وعينا ووضعت قوانين صارمة حتى لا تختلط الأنواع فندمر الطبيعة. نحن لسنا نباتات تلقح ذاتها ولسنا حيوانات تقبل فيه الأنثى تعدد العشير كما القط والكلاب، والرجل ليس ثورا يأتي للتلقيح، نحن كائنات أرقى تفضل أن تعيش بين جدران بيت يسترها، لأنها تقتني سمة "الحياء"، تلك الصفة التي لا تتحلّى بها أغلب الحيوانات، فهي ليست حرية أن أخلع ملابسني وأسير عارية أو أمارس الجنس على الطرقات تحت أعين الناس كما كلب ألحت عليه غريزته ليقفز فوق أي

كلية تسير أمامه، لقد أكرمنا الله لنحكم العالم، ومنحنا عقلا وروحا وضميرا، وائتمنا على الكون.

- الكلب أفضل منا، يتسم بالوفاء والإخلاص، لا ينافق.. لا يغدر.

- أنا لا أتحدث عن صفات، قصدت الجنس يا حسين لا تهرب إلى خطب أعلمها جيدا، أنا هنا أناقش حرية الجنس أو الأفضل أن أسميها باسمها، فوضى الجنس، فهناك الجنس المثلي والجنس مع الحيوان والجنس مع روبوت، هي فوضى وإفساد.

- وما الضرر؟

- أنت تعلم أنه كله ضرر وأمراض، أحصي لي عدد الأمراض المعدية القاتلة التي نتجت من زواج طبيعي بين ذكر وأنثى بالشكل الذي لا تحرمه الأديان، واذكر لي حالات ممارسة الجنس المثلي والتي لم يُصب أصحابها بأمراض مميتة، أغلب العاملين في السينما ممن أعلنوا المثلية ماتوا بأمراض معدية، أنا أحترم من يعترف بخطئه ولا يتكبر ويحلل الحرام أو يحاول أن يصبغ انحرافه بصبغة قانونية أو شرعية.

- للحرية ثمن عهد، لكن هذا لا يعيبها، فهي ما زالت حرة.

- وأنا أستعين بمقولتك إننا نسيئ استخدام تلك الحرية، فتجاوزنا حدودنا وتمردنا على القانون الإلهي، والشرط المقترن بتلك الحرية وهو ألا نسيئ استخدامها لكسر القيم أو القتل أو الجور على الطبيعة وقتل الحيوان.

- من أوهمك بذلك، نحن كالنملة بالنسبة للمجرة، ما بالك بالكون يا زوجتي الغالية! نحن أنفه من أن نتحكم في هذا الكون وأن يختارنا الله لنكون خلفاء له، لا بد أن هناك من هم أهم منا ليحكموا الكون، هل تصدقين سخافة أننا خلفاء الرب في الأرض؟!!

نحن نقتل بعضنا البعض، ونلتهم كل ما نشتهي من لحم ونبات وأسماك، ولوثنا الكون بمخلفاتنا وأفكارنا، مسلما كان أو مسيحيا أو حتى هندوسيا، لم تحل الأديان مشكلة القتل، لم تجد حلا لطمع الإنسان وعنصريته، أنا مثلا نتاج أم وأب انصرفا عني وتركاني لأقع فريسة لأحد الأجراء في بيتنا، والذي هددني بالموت حين كنت لا أعني معنى الحياة إلا منه، إلى أن أدمنت تلك العلاقة وصارت عادة كما التدخين أو كمن يدمنون ممارسة الجنس أمام المشاهد الإباحية التي تعرض في (السوشيال ميديا)، وهؤلاء كثيرون، فأنا لست النوع الوحيد للانحراف عن الطبيعة، والتي لا أدري حتى الآن ماهو ذلك "الطبيعي"؟ ما الطبيعي وما ملامحه طالما وجدت تلك العلاقات؟ فأنا أعتقد أنها من الطبيعة وليست ضدها، بل هو التنوع وهي أهم صفات الطبيعة.

- الطبيعي أو العلاقات الصحيحة هي التي لا تؤدي إلى خلل في التوازن الطبيعي والبيئي، ولا تسبب أمراضا، هي ما تجد قبولا من المجتمع ولا يرفضها الضمير أو الدين.

- أي مجتمع؟ هل تعلمين أن ما تمارسينه من علاقات في المجتمع الإسلامي قد يكون مُحرمًا في مجتمعات أخرى؟ الصحيح والمقبول يختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الجنسيات.

- الصحيح والمقبول هو ما يتفق مع معتقدك، لست ملزمة بمعتقدات الآخرين ولا بصدقها أو كذبها، لا تنس أن لنا عقلا يعي وقلبا يرتاح أو ينقبض حين لا يقبل ما يقوم به الجسد من تصرف، أنا مع المعتقد الذي لا يقر قتلًا ولا خيانة ولا وظلما ولا عنصرية، معتقد يقبله عقلي ويقر في قلبي، مع المعتقد الذي لا يضر بجسدي ولا بروحي..

"تأملني حسين بنظرة رأيتها كثيرا من أمي حين نجاح أو تفوق أو تصرف مني يعلن أنني أحمل ذكاء وموهبة متفردة .. كان يتأملني بنظرات تحمل الكثير من الحب والاحترام، بل والفخر أنه أحسن الاختيار.

انتهى النقاش مؤقتا بيني وبين حسين، فلقد قررت أن أتعامل معه كما المريض، وأنا أنأوله الدواء على جرعات.

وقف عدنان مع عدد من المساعدين لاختيار فتيات سيكون وجوها جديدة لعدد من الإعلانات .. وقف يتأمل تلك الفتيات اللاتي خلعن عن أجسادهن الملابس ووقفن بملابسهن الداخلية، لم تعترض أي منهن أو تتأفف ولم تخجل .. هاج في تفكير عدنان سؤال: كيف استسهلن التعري دون أي مسحة حياء أو حمرة خجل؟

كيف تخلى الجميع عن مفهوم الشرف و العفة وصارت كل خروقات القيم حرية حتى صرنا مجبرين أن نتقبل انحرافات الآخر دون حتى رفض داخلي.

تعلقت عيناه بفتاة لم تتعد السابعة عشر .. فائقة الجمال .. لم تتجاوز بعد عتبة التجربة الجسدية أو الجنسية مع أحدهم، كانت جريئة ترفع رأسها وكأنها فوق خشبة مسرح، تستعرض فستانا ما وهي لم تضع فوق جسدها إلا قطعتين لم تسترا إلا القليل جدا، تستمتع بنظرات الإعجاب والاشتهاء في عيون كل الرجال الذين يختبرونها بل والنساء أيضا .. أدركت أهمية وضع عدنان فتعلقت عيناها به حتى تقرأ فيهما القبول، وعدنان كان ينظر في عالم آخر.

تذكر عهد وقد اشتعل خذاها سخونة حين قبلها لأول مرة ويدها التي أبعدته عنها .. تذكر زوجته أم ابنه التي ظلت تتملص من بين يديه خجلا عند كل كلمة حب يلقي بها على أذنيها، كيف تسبب في ألم عهد؟! كم كان

وضيعا حين استغلها لينسى بها ماسة، خذلها هي التي لم تسلم جسدها له إلا في غيابٍ لوعيتها .. أضاع قلبا أحبه ويهرول خلف امرأة خانت وفاءه أكثر من مرة .
ما خفف من وجع ضميره أنه لم يستغل غيابها عن الوعي، بل تركها في فراشه نائمة وخرج إلى الصلاة لينام فوق (الشزلونج)، ومع أول شعاع نور غادر هروبا من مواجهتها.

"أحببتها ولكن لم تسنح الفرصة لكي ينضج هذا الحب، فأنا أرض جفاف لا تطرح حياة، قلبي يعاني إعاقة .. أحببتها بنصف قلب، فهناك في كل ذرة مني عشق ما زال حيا.. يتغذى على عمري .. يكبر كما النخيل، جذوره تمتد في الأعماق فيصعب خلعه، لكن نجحت عهد ببراءتها وعذريتها أن تجد لنفسها مكانا، أوجعني رحيلها، تعودنا أن المصائب تنسي بعضها بعضا لكن أنا كنت هذا الاستثناء .. تتكاثر الأوجاع وتتجاوز جنبا إلى جنب في داخلي حتى أني أعاني من تخمة الأوجاع، لم أنس حب عمري ماسة، وقبلها أم ابني "أيهم"، ولم أنس عهد، ولكل منهما وجع مختلف، فماسة هي التي طرحتني أرضا وألقت بي في ركن الصداقة وأنا ألقيت بعهد وأوجعتها .. كلانا ضحية للآخر..

اتهمت ماسة بأنها مادية تسعى للشهرة والمال والسلطة لترحل بعيدا وتعود إلي بخذلانها الخاص، لكنه كان خذلانا أجبره عليها القدر حرما من حبها، سلبه منها

إلى الأبد لتعود أيضا بإعاقتها الخاصة، لكنه ترك لها قطعة منه نجت بها من الموت، كان القدر بها رحيمًا، أما أنا فلقد تسرب من بين يدي العمر وأعيش وحيدًا بلا حب، حتى ابني لم أستمع معه بطفولته وأبوتي، كم أنا فاقد القيمة أناني .. لم أجرب البيت بعد رحيل زوجتي، ولم أجرب معنى الاستقرار الفكري .. أعيش أوجاعًا لا تنتهي، يُلطف من جلدها لي عملي وإبداعِي، إلا أن آثار حبهن ما زالت باقية برائحتها وكامل حضورها .. هنا ما زالت عهد وهنا تتحرك ماسة حولي لتصفعني بحبها الذي لم يمت، وفي عمق الذاكرة تنام أم ابني.

صوت أحد المساعدين يسأل عدنان عن تقييمه للعارضات، ليجيبه بأننا سوف نكتب عقودًا لهن جميعًا فكلهن لهن أدوارهن التي تليق بكل واحدة في سلسلة إعلانات وأعمال فنية وأعمال متنوعة تخص المؤسسة

..

صرف عدنان الجميع كلٌّ إلى مكتبه، وطلب من المحامي ن تحضير عقود للفنانيات.

- اطلب من كل فتاة أن تقرأ البنود جيدًا حتى لا تسبب أي منهن مشكلة، ومن تناقش في أي بند اصرفها ونتعاقد مع غيرها فالشرط الأساسي هو الخضوع التام لكل طلبات المخرج .

الصراع في داخلي لا يهدأ، وضميري له صوت عالٍ وتوبيخاته أصابتني بالحزن والانطواء، ولأنني ذات عزيمة وشخصية مقاتلة، حاولت ألا أستسلم ..

أفنت نفسي بقدرتي على استرداد زوجي والحفاظ علي بيتي من الانهيار أو الاحتلال .. الأمر لم يكن سهلاً ولكن الإصرار مني كان ذا قوة ..

لجأت إلى المؤلفات التي تحلل وتناقش تلك الانحرافات، وهل هناك أية فرصة لشفاء أصحابها وما هي الأرضية التي تمهد وتساعد على هذا النبت الشيطاني، وكيفية اقتلعه ..

تلبست شخصية المرأة المسترجلة .. قصصت شعري وارتديت الزي الرجولي، لعلني أستميله إلي، وبدأت بمشاهدة أفلام تستهوي تلك النوعية من الرجال .. وجدت صعوبة وإجهاداً لنفسي وقلبي، ولكن هناك حرب دائرة وأنا صرت أحد أطرافها، ولكل حرب سلاح يناسبها وأساليب يجب اتباعها للوصول إلى الانتصار، لكنني لم أعمل حساباً لنفسي التي رفضت محاولاتي وأعيت جسدي بالقيء المستمر والوهن حتى أنني أصبحت نزيلة مستمرة بالمستشفى.

كان حسين يتألمني بنظرات تحمل من الامتنان والاحترام ما جعلني أشعر باحتياجه لي ومساندتي له .. "أمسك بيدي مقبلاً لها ودموعه بللتها"

- أشكرك يا غالية.
"الكلمات خرجت من فمي واهنة كما جسدي .."
- آسفة أنني أتعبتك ..
- أنا كلي ملكك .. لن أنسى ما تبذلينه من مجهود
لإسعادي .. أنا رجل له خبرته وعلاقاته ولقد رأيت منك
ما لم أره من أي إنسان اقترب مني من صلة دم أو
رحم أو صداقة .. ممتن للقدر أن أرسلك لي هدية
ومنة.
كلماته وصلت لأذني كما ترنيمة لأم تهدد به وليدها ..
نمت.
"أفقت من نومي لأجده نائما على (شيزلونج) بجوار
سريري .. لم يبرح المستشفى حتى أنه أحضر معه
(اللاب توب) ليستكمل أعماله من غرفتي .. ناديت:
- حسين .. لم عذبت نفسك لماذا لم تذهب إلى البيت؟
أنا بخير .. لتذهب إلي البيت لترتاح قليلا.
- قلقت عليك جدا .. لا بد أن أشتري لك ساعة تراقب
صحتك وأسجل عليها رقمي لأصل إليك بأسرع ما
يمكن .. هذا ما سيجعلني مطمئنا ولو قليلا.

زرت طبيبي النفسي، الذي رشحه مايكل لي، د. جي .
 البير، الذي نصحني إما بالانفصال عن حسين ما دمت
 لن أتحمّل التناقض بين حياته وحياتي، أو أن أتكيف مع
 عالمي الجديد واتصالح مع حرية الآخر وميوله وأن
 من حقي أن أحب وأعيش.

مما أفقدني للحظات الأمل، هو أنه قال لي إن نسبة
 عودة حسين للعلاقة الطبيعية صعبة جداً لأنه لا ميل له
 ولا يعترف بأنه غير طبيعي، وأحد أهم الشروط لمن
 هم في مثل حالته، أن يكون رافضاً لفعلته حتى يستعد
 للعلاج النفسي، كما أنه لا بد أن يغير من البيئة التي
 توجع بداخله الرغبة المثلية، وفي حالة حسين، هنا
 حياته وعمله، لقد كانت نصائح طبيبي تتناسب مع
 دراسته وبيئته ولكنها لا تتناسب مع ديني، ربما طرح
 اقتراح الطلاق وهو أسلم النصائح، ولكن اقتناعي أنني
 إنسان قد تحدى به الله الملائكة والجن بأنه مخلوق قادر
 بلا حدود، كانت الوازع والمساند لي أن أقاوم
 لاستردادته.

خرجت من جلستي وقد وجدت الحل، والذي ألهمني
 إياه دكتور البير، وهو نقيض ما نصحني به، فلم أفقد
 الأمل ولم يتمكن اليأس من قلبي، واجبي كزوجة
 ومحبة لهذا الرجل وممتنة له، والذي يحمل سمات
 الكرم والعطاء والطيبة، هو التعامل مع حسين الزوج

على أنه يعاني من إعاقة ما مثل من فقد ناظره أو سمعه أو ساقه، ويجب أن أتعامل معه على هذا النحو ربما يمنحني القدر فرصة للتكفير عن خطيئتي في حق نفسي.

دخلت على فيديوهات لأطباء معروفين، وقرأت عدة مؤلفات عن مثل هذه الحالات، كدت أستسلم أنه لا أمل، حتى قرأت بعضا من مقولات البروفيسور "روبرت وينستون" يؤكد فيها أن الهوية البيولوجية محفورة في الجينات والخلايا وأن حتى أعظم تقنيات العصر الحديث تعجز عن تعديل الشيفرة الوراثية لجسم الإنسان .. كان حديث "وينستون" يخص قضية "عابري الجنس"، إلا أن كلماته أعادت إلى قلبي اليقين أن كل ما يخالف طبيعة المخلوق هو انحراف مرضي قابل للشفاء والعودة إلى الفطرة.

قلت نوبات الغثيان والتقلصات، وانبهر طبيبي من تحسن حالتي؛ لذا ألغى جرعات المهدئات وعدد الجلسات، وأخبرته بما قررته، فشجعني ووعد بأنه سيساندني في كل خطواتي ولا بد أن أعلمه بما سأصل إليه من نتائج مع حسين.

كنت جالسة في غرفة نومي أمسك بالقرآن، أبحث بين آياته لعلمي أجد المنقذ لي ولطفلي الذي ينمو بداخلي، وبعد عدة أشهر سيخرج إلى الحياة ولن أقبل أن يجد أبوه "مثلياً" .. بكييت مع كل آية وكل سورة، كان الملاذ لي، والبستان الذي أشم بين صفحاته رائحة طيبة تملأ

من الانحطاط .. استغثت بربي أن يلهمني ويقويني ..
تركزت المصحف مفتوحا ورحت في النوم.
استيقظت ولم أجد الكتاب، هناك من نقله من يدي
ووضعه على (الكومود) وتحتة منديل ورقي وكأن من
حملة لم يكن طاهرا.

ظل مايكل رابضاً في الظل كما الملاك الحارس، يظهر حين أكون في خطر، حب مايكل كان أبويا أكثر منه حب رجل وامرأة، أو ربما هو من قنن علاقته بي هكذا حتى يشعر بالراحة ولا يفقدني، وحبّي له كان مميزاً أيضاً، كنت في حاجة إلى شخص من عالم الرجال يفهم لغتهم ونفسيّتهم ليكون مستشاري حين التعامل معهم، هكذا ظل مايكل معي، علمت من حسين أن مايكل لا يطلب بحقه في الإجازات وهو شعلة من النشاط له ضمير حي، مخلص لأصدقائه، لكنه يختفي عدة أسابيع كل عام ولا يخبر أحداً بوجهته إلا بعد عودته.

كان حسين محباً له ويجد عشرات الحجج ليحافظ على تواجدّه في المؤسسة، وهذا لا يمنعه من عتابه وتوبيخه أحياناً لتخليه عن مسؤوليته في الإدارة، ليفاجئه مايكل بأنه كان يباشر عمله.

حتى وهو بعيد عن مكان المؤسسة، كان حسين يتحدث عن مايكل بحب وتعاطف وأحياناً يضحك حين يتذكر بعض المواقف معه، فمايكّل يتمتع بالشفافية، لكن تغل روحه جسده .. دائم الحديث مع السماء .. يبحث عن الرب ولكن بطريقة إيجابية تختلف عن طريقة عدنان، فعدينان كما بعض نقاد السينما التي لا ترى أعينهم إلا النقص والعيب.

كل يوم يمر أكتشف صفة طيبة جديدة في حسين، كان رجلا واعيا، مثقفا، قارئاً جيداً في الاقتصاد والأدب والفلسفة، كما أنه يتحدث عدة لغات، فلقد تربى في لندن ودرس بجامعة الاقتصاد.. صديق يُعتمد عليه، ولكن في نفس الوقت يتمتع بالحزم والصرامة في إدارة المؤسسة

- حكى لي مايكل أنكم ثلاثة أصدقاء، لكن لم ألتق بـثالثكم.

- نعم .. رغم أن كل واحد فينا من بلد مختلف إلا أننا التقينا هنا واقتربنا وصرنا أصدقاء، رغم أن العلاقة حديثة إلا أننا اقتربنا وتفاهمنا، واستوعب كل واحد فينا عيب الآخر وتقبله، أي أننا تصادقنا بالعيوب قبل المميزات، لا بد أن أعرفك على أجملنا، د. فادي، سأعرفك عليه قريباً.

نظراً لأنني افتقدت الحب فإن وجدته لا أفرط فيه ولا أبيعه بمال الأرض عهد، فأنا أكثركم حاجة لهذا الحب.

جلس حسين في مكتبه الذي يحيطه الزجاج الأزرق من الجهات الثلاث، فكان كمن يسكن السماء، أدار كرسيه ليوواجه السماء، شعر وكأنه يمتطي سحابة تمنى أن تأخذه إلى الرب .. أن يجالسه .. يحادثه بلا خوف أو كذب .. وهل يحتاج الرب إلى الكلام ليفهم ما يدور داخلنا؟! هل يحتاج منا أن نجتاز المسافات إليه؟

هل تسمعي يا الله؟ هل ترى غضبي وتكشف عن حديث نفسي كما تراني عاريا من أية سترات؟ هل خاب مسعاي كما اتهمتني عهد؟ أضلني المال والحرية حتى فقدت بوصلة الطريق إليك؟

ردد في صوت يستجدي الحب من ربه:

**أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بداخلنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته
أبصرتنا**

لم أفقد إيماني أبدا، لم أنف وجودك، أبدا لم تتخل عني، أنت حاضر في قلبي كيف لا أشعر بك وروحك في جسدي نفختها لأكون، لكن إيماني لا عنصري وحيي عالمي، أحب كل المخلوقات، أحبك في موجوداتك، كيف أهرب من حبك، أحب عهد وأحب أزيد رغم أنني أشك في حبه لي؟ أعرف أنه يستغلني ويستفيد من جسده فلا تمييز له لو ظل رجلا عاديا، وجد في اختلافه فرصة للتمييز والتفرد حتى لو ادعى ما ليس فيه.

رفع سماعة الهاتف وطلب من رزان السكرتيرة أن تستدعي مايكل .. بعد دقائق دخل مايكل، جلس أمام المكتب، لينتقل حسين ويجلس أمامه في المقعد المواجه له..

- لقد انتصرت عهد علي في جدالنا الأخير، أشعرتني أنني أهين نفسي وأهبط بمستواها، عندها حق، فالكلاب لا تعرف الخجل حين تمارس الجنس الجماعي في الشارع، لكن نحن لسنا كلابًا، إلا أن البعض يستمتع بمازوخيته لينزل من رقيه ليتساوى بالكلاب.

الحيوانات لا تحتاج للملابس ولا تعي معنى الستر، وحين نتعري نهبط لننلن ونصير حيوانات، ليؤيد مايكل ما يقوله له حسين قائلاً :

الجنس المٌغاير يا حسين، أنت تعلم جيدًا أنه نوع من البيزنس ولسيطرة الرأسمالية التي لا تؤمن إلا بالمكسب حتى لو كان بالدعارة أو بالسلاح تربي أجيالا عبدت المال فصار هو كعبته، لتجد الكثير يسعون للمكسب الكبير، فيلوذ بتغيير جنسه من رجل إلى امرأة ليعمل كموديل أو في الدعارة، فسوق الدعارة له طلباته فبضاعته هي الشهوة ويجب الحفاظ على زبون الدعارة بتأجيح شهوته بتقديم كل ما هو مثير وجديد فلا يصاب الزبون بالملل؛ لذا يبحثون عن بضاعة مختلفة تتسم بقدرتها على إثارة الزبائن والسيطرة عليهم، فلا مانع من تقديم الشواذ؛ لذا يفضل بعض الشباب، طلبًا للشهرة والمتعة المنحرفة أو حتى المكسب، أن يغير من جنسه،

وأحيانا يكون الانحراف سببه إدمان المخدرات أو الخمر التي توهمه بمتعة الجنس المثلي، الحياة لم تعد سهلة حسيين، وكسب المال له طريقان أحدهما مشروع وهو التعب والاجتهاد أو الطريق غير المشروع، والأخير مكاسبه كبيرة وسريعة، والتي نعرفها جميعا، الرقص، المخدرات، السرقة، التمثيل، الغناء، أو الدعارة. - أعرف كل ذلك يا مايكل، فنحن نستفيد من هؤلاء أيضا بحثًا عن التميز والتفرد والتعاطف، وأيضا لنكسب علامة مميزة واسمًا يذكر على كل لسان فنقتحم البيوت والأذواق، ثم تزداد المبيعات ونسبة المشاهدة، إنها كالقمار، وكثير من الناس تمل من العادة ويبحثون عن الاختلاف والجديد، والتاجر الشاطر هو من يوفر للعميل ما يشتهي وما يريد ويقدمه له بسعر مناسب وفي الوقت المناسب، والسلع في عصرنا تجاوزت الطعام والشراب إلى التجارة في سلع تنثير الوهم في الإنسان واللذة أغلبها ضارة به ومدمرة، لكن قدرتنا على الدعاية وإقناع العميل هي التي تحافظ على مكاسبنا، تخطينا الأهداف النبيلة من الطعام والشراب والجنس، وهو الحفاظ على حياة الإنسان إلى تطعيم كل المنتجات بنسبة من المخدرات حتى لا يستطيع الإنسان أن يستغنى عنها، فالصراع عظيم بين الشركات، والبقاء لمن لا يمتلك ضميرا، حتى السجائر خلطناها بالكيماويات حتى لا يقاطعها راغب في العلاج من إدمانها فصارت اللذة هدفا مع الأكل والجنس، وتجنبنا لأن يعتاد العميل أو يمل من منتجاتنا، تفننا في سبل

الدعاية ولم يعد هناك رادع لنا ولا دين في استغلال النساء بل والرجال والأطفال لإثارة العملاء لكي يدمنوا شراء منتجاتنا، صرنا نتعامل مع الأديان كأنها عائق لسعادتنا، ورغم أننا ابتعدنا فراسخ عنها، لم نجد السعادة بل ضللنا الطريق إليها وتهنا، بل وحللنا كل المحرمات التي أحصتها الأديان لنغري بها الزبائن وجملناها وأقنعناهم بأن السعادة في تجربة تلك المحرمات، بل هي أقصى درجات المتعة، وأن أي رافض لها ما هو إلا متخلف، كاره للحياة، متنمر، والحدود التي تقرها الأديان هي انتهاك لحق الإنسان في أن يعيش حريته .. لم نعد نناقش الفرق بين الحرية والفوضى، بل هي الحرية بكامل أشكالها وأنواعها، فلا حد ولا قيد، وكان لا بد من احترام هذه الدساتير المعاصرة ونبذ كل ما يخالفها وتوفير ما يحقق الإشباع لكل الشهوات، فصارت المتعة من متطلبات السوق وإحدى قيم الليبرالية والنظام الرأسمالي الذي لا يهدف إلا إلى المكسب وفرض سلطته على العالم، فكل شئ له ثمن ويعرض في سوق ما، ولهذا السوق جعلت من كل شئ سلعة باعتة وزبائنه، ورغم ذلك ترتفع نسبة الانتحار والإدمان وأمراض الاكتئاب ..

هكذا تشربت قيم العالم القوي وتبنيتها واعتقدت فيها وضعت أيضا في أرضها، لكن من يعمل بالنار لا بد أن يمسها لسعتها، وأنا اكنوتيت منها.

يا الله! أنا لم أختَر أن أخلق، وإن اخترت خلقي فلم اختر خلقي، فأنا نتاج جينات مُخلقة من أم وأب، بل يمتد إرثي

حتى الأجداد، فأنا نتاج خليط من ذائقة الآباء وميولهم
وقليل هو ما اخترته ..

- لكنك اخترت عهد.

- نعم أعترف أنني رأيت فيها ملامح أمي التي ظلت
تطاردني في أحلامي، وإذا بربي يرسلها إلى هنا في لندن
وهي ابنة مصر ..

الحقيقة أنني لم أختَر عهد أيضاً، بل فرضها القدر علي
وفرضني عليها، ففي استدارة الكرة الأرضية التقينا
وسنكمل السيناريو المكتوب مُسبقاً، ساسمح لك بكأس
رغم أننا في نهار العمل في صحتك مايكل. تجرع كأسه
وأمسك به فارغاً واتجه إلى النافذة فاردًا ذراعيه، رافعا
رأسه وكأنه التقى به ..

"هل أنت سعيد بنا يا رب؟! هل تسير خططك كما
وضعتها؟ هل أديت دوري كما يجب؟! هل أنا بالفعل حر
حتى أخرج عن النص؟! هل بالغت في ردة فعلي؟!
ترى هل سأظل الشيطان الذي يبيع وسائل اللذة إلى
النهاية أم ستفاجئني بنهاية لا يقدر عقلي على التنبؤ بها؟!
أنا بين يديك .. أحقق لك ما تكتبه، فترفق بي".

- سلمت يا عهد.

- ماذا تقول مايكل؟

- أرى أن عهد تنتصر يا حسين.

حضر حسين في تلك الظهيرة وقد حمل لي مفاجأة، فلم يعد يدخل غرفتي إلا وحاملاً بهجة مختلفة، ربما أراد أن يكمل النقص الذي يخلفه غيابه عن بيتي، واعتقاله لي في بيته وانتفاص حقي في الاستمتاع به كزوج .. قدم لي تذكرة سفر إلى لبنان نزهة وعملا له، فلم يعد يفضل أن يبتعد عني وابنه .. سعدت لا شك بتلك المفاجأة، فأنا في حاجة إلى تغيير أجواء ذلك البيت ورائحته، ربما أستعيد بعضاً من رونقي .. نزل ليسأل أمينة إن كانت ترغب في السفر معنا، لكنها فضلت أن تترك لنا فرصة للاستمتاع بشهر عسل جديد، وانتهازها فرصة واتصلت أنا بمايكل أسأله رأيه، شجعتني على السفر والالتحام بحسين وعدم الابتعاد عنه لاستكمال رحلة العلاج التي بدأنا فيها معا والمتابعة الطبية، وعلمت أنه يستعد لجولته السنوية إلى الهند وعزلة يُحيي فيها روحه .. يعرف حسين لبنان جيداً، فهو وطن والدته الذي غادرته ولم يكن قد شب عن حبوه بعد، تركته للخدم والمعاونين لها في البيت لتهرب بعد ذلك إلى باريس لتعمل كعارضة أزياء وموديل، ثارت على الرتبة والمسؤولية لتعيش هناك حياتها كما أرادتها، حين قبلت الزواج من والد حسين كانت تعتقد أنه سيحقق لها أحلامها في النجومية، لكنه كرجل شرقي، كان يسعى لأن يجعل منها زوجة وأمّاً وهذا ما رفضته

وانقلبت عليه.. حين أسأله عن أخبارها وأين هي الآن،
يتهرب دائماً من الرد.

حسين عاشق للبنان وشوارعه، وكأن نصفه الآخر الذي
ورثه عن أمه يشعر بالحنين إليه، وصف لي أهلها
وعاداتهم، كان يتغنى بجمال البلد وطبيعته الخلابة، فهو
بلد يتمتع بكل التناقضات التي تعيش معا بلا تنافر،
هناك بعض المحافظات التي ما زالت تحافظ على
ثقافتها المتحفة كـ (صيدا)، وهناك بلدان مفتوحة،
يتمتع لبنان بأجواء أوروبية، حيث قبول الآخر واحترام
حريته، وعشق الفن، وخاصة الغناء والرقص. رأيت
يتجول بعينه في شوارع لبنان وكأنه يفتش عنها، فقد
يصادفها تسير على أحد الأرصفة أو تتسوق واقفة أمام
نوافذ العرض، كان كمن يحاول أن يشتم رائحتها في
كل ركن وزاوية في لبنان، ولبنان في حركة لا يهدأ
كما شاب لا يتوقف عن الحلم، ملئ بالتطلع والحياة..
شعرت تجاهه بالشفقة وتمنيت لو تمكنت من أن
أتواصل معها وأعيد لها إليه.

قضينا يومين وكأننا في شهر العسل، حاول خلالها أن
يقترب مني، وبالفعل نلت من حسين الجانب الذي
لطالما تمنيت، وكانت التجربة الأولى، ورغم أنها كانت
مجاملة منه إلا أنني حسبتها الخطوة الأولى في طريقي
لاكتشاف زوجي .. ادعيت أنني قضيت ليلة من أسعد
أيام حياتي، ولم أترك حضنه، وقضينا النهار كله معا،
فطرنا معا وتناولنا الغداء ودعاني إلى سهرة في أحد

المطاعم المميزة هنا.. وافقت، فقط أنا وهو حتى أخرج منه الرجل.

توقف اضطراب معدتي تماما، كنت في نهاية الأسبوع السادس عشر من حملي وعلمت أن الجنين ولد، فرح حسين جدا حتى دمعت عيناه، رأيت في تلك الدموع قلبا وإنسانا يتشبث بإنسانيته، وكنت فرحة لفرحته.. استأذن مني لإنجاز بعض أعماله ووعدني بعدم التأخير فهو يريد أن يستمتع بابنه وأمه.

طالت غيبة حسين وبدأ الخوف والقلق يتناوشان على قلبي، فهكذا هي السعادة تزورنا وفي ظهرها الحزن، حاولت الاتصال به، لكنّ المحمول مغلق، توقفت عن محاولة الاتصال حتى أتيح له فرصة الاتصال بي، مرت الثانية عشر، ولا مكالمة، اتصلت برقم السائق فلم أجد مجيبا، فجأة رنات متواصلة على تليفون غرفتي، أمسكت السماعة لأسمع خبر أنه بأحد مستشفيات بيروت، فلقد حدث تصادم بين سيارته وسيارة نقل.. قفزت درجات سلم الفندق وأسرعت إلى السيارة صارخة في خليل السائق وتوجهت إلى المستشفى، حيث كان حسين في غرفة العمليات، استمرت الجراحة عدة ساعات فقدت خلالها القدرة على التماسك، شعرت بدوار، وبرودة تجتاح جسدي، وتحولت الصور أمامي إلى ضباب أبيض، وسقطت مغشيا علي. أفقت لأجد نفسي على فراش في غرفة مجاورة لغرفة حسين،

ويمسك بيدي أحد الأطباء ليقيس النبض والضغط ..
سمعت صوته يتحدث .. أدت وجهي ناحية الصوت ..
- كيف حالك اليوم مدام عهد؟
- بخير .. أين حسين؟
- زوجك بخير، لكنه تحت الملاحظة، أرجو أن تهتم
بنفسك وبتغذيتك فأنت تعانين من الضعف العام وهذا
خطر عليك وعلى الجنين، والضغط كان أقل من
المعدل الطبيعي نتيجة طبيعية للإجهاد والاستهتار
بالتغذية مما يعرضك للخطر وكذلك الطفل .
تأملت ملامحه .. دخلت الممرضة منادية:
- دكتور فادي .. الإدارة تطلبك
"أين سمعت هذا الاسم من قبل؟"
استأذن في الانصراف .. التفت إلي وقال إنه سيعود
ليتابع حالتي ..
سألته عن حسين .. طمأنني أنه انتقل إلى الرعاية
المركزة لأنهم استأصلوا الطحال وأجروا له عملية
تركيب شرايح في ظهره، وأنه سيظل تحت الرعاية،
والأمور حتى الآن مستقرة.
لم تكن الظروف تسمح أن أسأله إن كان هو الصديق
الثالث لحسين أم لا.

طالت غيبوبة حسين، وضعف جسدي نتيجة لإهمالي التغذية والإجهاد الشديد، لأصدم بوفاة ابني في بطني وتجري لي جراحة لانتزاع الأمل، البريق الذي أضاء للحظات لينطفئ ويتركني أتلاطم مع تلك الموجات التي تقلب حياتي عمقا لسطحا ليغيب عن قدراتي الفهم.

هأنذا أخسر حبا آخر، ويزداد رصيد الراحلين بملاكي الصغير، فهو لم يكن مجرد جنين تكون في المعمل، بل كان ملاكا رأيت فيه المنقذ لي ولحسين من براثن الضياع، لكنه أبى أن يكتمل في بيئة غير صالحة .. كان كما رسالة قرأناها وانتهى دورها، بكيت كما لم أبك .. كنت أبكيه وأبكي وحدثي، كنت في حاجة إلى حضن أمي، فلقد كنت كمن دُفع به في ساحة حرب وحده بلا سلاح إلا الإيمان .. الإيمان بالله والإيمان بقدره مخلوقه الذي هو آدم وحواءه.

كنت منذ أيام قليلة فتاة جامعية تصيغ مستقبلها وتخطو أولى خطواتها تجاه تحقيق حلمها .. كم كانت أحلاما وأمالا ساذجة!

.....

حضر إلى لبنان كل من مايكل وعدنان وعدد من كبار موظفي شركات حسين للاطمئنان أنه وأنا نتلقى الرعاية المناسبة ..خرجت من المركز الطبي للجامعة الأمريكية .AUBMC ، عدت إلى الفندق لأبدل ملابسني تاركة خلفي حسين وجنيني منه.

كيف سأواجه حسين؟ ماذا سأقول له؟ كان طفلنا أملا تشبث به حسين وفرحة حقيقية قرأتها في عينيه ودموعه، لكن لم أتمكن من الحفاظ على طفله.

مرت الأسابيع ثقيلة ومقبضة، فسعادتي ببيتي لم تدم إلا لحظات .. عدت سريعا إلى المستشفى لأتابع حالة حسين .. لم تتوقف الزيارات ورنات الموبايل من عدد من رجال الأعمال والفنانين العرب والإنجليز مما جعلنا ننقل حسين إلى غرفة في المستشفى ولكن في مكان لا يصل إليه أي زوار ونشرنا على (السوشيال ميديا) خبرا يطمئن الجميع على صحة حسين وتحسن حالته، وتوصية الأطباء بمنع الزيارة حتى يتاح لهم الفرصة لمتابعته والاهتمام به.

أفاق حسين، ولكن لشدة الآلام التي كان يشعر بها كثفوا المسكنات والمهدئات، فكان أغلب الأوقات نائما.

تمر الأيام ثقيلة حتى انسَلَّ شعاع نور بخبر تحسن حالة حسين، ترسل لنا الأقدار مع المصائب لطفًا وصحبة تأخذ بأيدينا للنسيان ..

صحوت على اتصال على الموبايل كان د. فادي يطمئن على صحتي وحالتي النفسية ويدعوني لحضور فعالية أدبية في حب فلسطين سيكون هو من ينظمها مع عدد من الشعراء والأدباء والمطربين العرب، كانت محاولة منه أن يخرجني من أجواء الحادثتين ومناخ المشفى ..

ارتديت ملابس بسيطة، تاييرا أسود بجيب قصير أسفل الركبتين، وبلوزة من اللون الأصفر الباهت وفوقها جاكيت قصير، وأخذت البالطو معي، فالجو بارد جدا في المساء.

هبطت في المصعد، وجدت السيارة أمام باب الفندق وطلبت من السائق أن يتجه إلى المركز الثقافي الفلسطيني ..

وجدت أمام باب المركز د. فادي في انتظاري، فلقد اتصل بي على الموبايل وأخبرته بقربي من المركز، كانت أول مرة ألتقت إلى ملامحه ..

فادي رجل متوسط الطول، رشيق، ذو شعر بني ناعم، تناقصت أطرافه الأمامية في طريقه إلى الصلع الخفيف .. له شارب جميل ولحية تحيط بذقنه رمادية اللون ذو صوت له نغمة محببة وكأنه شاعر، لماذا وكأنه؟ فهو بالفعل شاعر.

كانت فقرات الحفل بسيطة وغلب عليها الطابع السياسي وقليل من الأغاني والقصائد الرمانسية، ألقى فادي عدة

قصائد عن فلسطين وقصيدة عن حبيبة أحسست بكلماتها ونظراته كأنها لي ..

في نظرات فادي أشعار ورسائل طويلة تحتاج إلى قلب خال وحياة هادئة حتى أسرد ما يرسل به من حوارات صامتة، قضيت ليلة جميلة أخذتني بعيدا عن الانقلابات التي أحدثتها الأقدار في حياتي .. سهرنا وتناولنا معا العشاء لتنتهي السهرة بحضور مايكل، الذي كان مفاجأة لي، قدمه لي فادي ضاحكا: أقدم لك د. مايكل صديقي الجورو العظيم .

- بالطبع حدثني عنك مايكل لكن لم أكن متأكدة أنه أنت فادي الذي حدثني عنه حسين ومايكل،

كيف تعرفت إلى د. فادي يا مايكل؟

- هو الطبيب الخاص للمؤسسة والعاملين بها هنا بلبنان وأحيانا نلتقي هناك في لندن .

- هزرت رأسي اندهاشا ..

- هناك رابط آخر بيننا مايكل ألا وهو الفن .. هل تعلمين أن مايكل عازف عود رائع؟

- يبدو أن الليلة تحمل الكثير من المفاجآت الجميلة.

- الفن قادر أن يجمع بين المختلفين دون شجار ..

"ضحكات صادقة من مايكل وفادي" .. وقد جمعنا الفن والغربة، وحسين من أجمل الرجال وأكثرنا أناقة

وذكاء.

نظرت في تليفوني المحمول لأدرك أن الوقت تأخر؛ لذا استأذنت في الانصراف ليعتذر فادي عن عدم قدرته

على الانصراف معنا؛ لذا عهد إلى مايكل مسؤولية
إعادتي إلى الفندق.

- شعرت بشئ من الراحة حين رأيتك هنا عهد.

- ألم تسافر كما أخبرتني؟

- استعددت للسفر وقدمت طلبا للمؤسسة لكن حادثة

حسين أجلت كل خططي، بعد أن أطمئن عليكما
سأسافر.

- د. فادي أراد -مشكورا - أن يخرجني من الضغط
الذي عشته.

- فادي رجل راقٍ مثقف مهوم بقضية بلاده، عاش

مغتربا كتب عليه ومن معه من أهاليها أن يعيشوا بلا
وطن.

هل ستخبرين حسين عن ابنه عهد؟

- كنت مترددة لكن أرى أن الألم ظاهره شر لكن في

باطنه خير وعلاج فهو يعالج الكثير من الغرور،

أعتقد أن في إخباره صدمة ربما تعيده إلى السواء.

- أو قد تزيد من تمرده وتباعد بيننا وبين علاجه.

- عندي يقين في الله يا مايكل.

- ونعم بالله.

وصلنا .. انتبهي لصحتك عهد فالمهام والواجبات تزداد

ثقلا.

- تصبحين على خير.

قاومت رفضا يخرّبش في قلبي خوفا، واعتلت شفتي
 ابتسامة ودقات لطيفة كانت تعزف بين حنايا جانبي
 الأيسر، سعدت بها وأوشكت أن أرفض حضور الحفل
 خوفا مما سيأتي بعد اللقاء الأول، فأنا عطشى إلى
 الحب وإلى الحياة الطبيعية ذات المشاعر البكر التي
 تخلو من كل عبث بالفطرة .. أحتاج إلى لمسة حبيب
 ورائحة حضنه التي لم أعشها حتى الآن، كل ما أعيشه
 هو واجبات ومهام، فلا حقوق لي ..
 ضغطت على رقم مايكل ثم أغلقت ..

"فادي" سري الأول عنه وعن العالم، فهي حدوتة من
 إبداع لم تكتب سطورها بعد، ولكنها تكتمل في قلبي
 وعقلي وكأنها حدثت، تخيلت أنه الحبيب الذي رجوته
 من الأقدار وها هو ذا يخطو الخطوة الأولى لرفقتي ..
 بكيت وأفرغت ما في قلبي وروحي من بكاء، بكاء
 الوحدة والرغبة المكبلة، والضمير الذي يراقب بلاغلة
 أو حتى قيلولة، بكيت لأنني سمعت صوت نبضات قلبي
 التي خفت حتى لقد اعتقدت أنه مات .. سعيدة أنني
 أجرب حزن الحنين ودقة الحب وكأنها أول تفتح لعين
 مولود جديد .. بكائي كان رجائي أن يتلطف بي القدر
 فيما يضعني فيه من مواقف.

ترى من هو فادي؟ وهل سيكون لي معه قصة؟ هل
سأكون البطلة الثانية في حياته كما كنت في حياة عدنان
وحسين ومايكل؟
لماذا كتب علي أن أكون البطلة الثانية في حياة من
أحبهم ولا أكون القصة الأولى والحب الأول؟
أدري الـ (إف أم)، فلقد كانت الساعة الحادية عشر ..
صوت أم كلثوم ..
ألقيت برأسي على الوسادة، أطفأت النور، وطلبت
الهدوء والصمت وسكوت التفكير إلا من اختطاف
لحظة وهم وسعادة مع حلم خلقتة في يقظتي لأنعم قليلا
بالحب مع صوتها.

وصلت إلى معلومات أنه تم عمل اجتماع طارئ في الشركة لاختيار مسئول يقوم بإدارة الشركة حتى شفاء حسين، لأتفاجأ بمكالمة من محامي زوجي والمؤسسة يخبرني بأن حسين قام بعمل توكيل عام لي في حالة إن أصابه أي مكروه ويطلب مني سرعة الحضور إلى مقر الشركة في لندن.

ذهبت إلى المستشفى لأطمئن على حالة حسين، وهناك وجدت أمي أمينة تجلس على كرسي بجوار سريره ممسكة بالمصحف تقرأ سورة يس، وصوتها عالٍ أجش يتخلله بكاء الضعف والرجاء من الله أن يشفي ابنها حسين، فلقد حضرت مع د. صفوت من المطار إلى المستشفى مباشرة لم تتحمل أن تترك ابنها طريح الفراش وهي بعيدة. كانت تبكي كما أي أم في مثل هذا الموقف .. أخذتها في حضني وطمأنتها أنه في تحسن وأنه سيكون بخير .. سألتني عن الجنين وصحتي، أخبرتها بما حدث وسألتها أن تدعو لحسين أن يشفى وأن يعوضه الله .. رجيتي أن أهتم بصحتي وبحسين وألا أتخلى عنه، وكأنها شعرت بشئ ما.

عرضت عليها أن تعود معي إلى الفندق لتستريح وأن تعود إليه بعد العصر، ولكنها رفضت وأصرّت أن تبقى معه .. أقنعتها أن المستشفى هنا لا مكان للمرافقين وأنني

سأحضرها إليه يوميا وأن السائق سيصحبها في أي وقت .. اقتنعت وخرجت معي ..

طلبت منها أن تنتظرنني في السيارة وذهبت إلى غرفة د. فادي لأطمئن على حالة حسين، ولكنه لم يكن موجودا، انتابتنني خيبة أمل وحزن، فبداخلي لهفة لرؤيته قبل أن أغادر، لحقت بأمي أمينة وتوجهت إلى الفندق، هناك تناولنا الغداء وأخبرتها بضرورة سفري إلى لندن لذا سأغادر غدا لإدارة بعض الأمور وسأترك حسين في رعاية الله ورعايتها. حتى أفي بوعدني معها تناولنا وجبة خفيفة وتوجهنا معا إلى المستشفى، كان حسين نائما لذا تركتها معه وخرجت للحديث مع زواره ..

في استراحة المستشفى التقيت بعدد من العاملين بالمؤسسة وكان منهم د. صفوت نائب رئيس مجلس الإدارة الذي حضر خصيصا للاطمئنان على حسين ومرافقتي إلى لندن "سألته عن أسماء المسؤولين عن إدارة شركات وما هي المجالات التي تعمل فيها تلك الشركات، وجاء ذكر د.مايكل وأنه الذي يتولى إدارة مصنع الأدوية ومستحضرات التجميل وأنه واحد من أهم مستشاري الشركات، أما عن عدنان ومعه عدد من الأسماء التي كان أغلبها أسماء إنجليزية: "كارل وديفيد وويليام مارتن، مورجان توماس"، فهو ومعه تلك الأسماء مسؤولون عن شركة الدعاية والإعلان.

عدنا في طائرة حسين الخاصة وكان برفقتي د.صفوت ود. مايكل.

بدأ الاجتماع، كان عدنان حاضرا، مراقبا لكل تعبيرات وجهي وإيماءات تخرج مني يصيخ السمع لهمسي مع النائب في فضول من يريد أن يعرف فيما أفكر.

انتهى الاجتماع وتم تحديد موعد آخر بعد يومين لمواصلة خطة العمل السنوية والتي تم وضعها بمعرفة حسين ومجلس الإدارة ..

دخلت مكتب حسين الذي كان يتسم بالعصرية مع لمسات عربية ورائحة معطر الجو المفضل له، والذي يصنع تركيبة خاصة تساعد على الاسترخاء .. جلست على كرسيه وتحسست مكتبه وأدراجه وكأنني أتواصل مع روحه عن طريق الطاقة التي خلفها في المكان .. طرقات على باب المكتب .. دخل شاب طويل، شفتاه بحمرة الفراولة، مكتحل العينين .. ناعم البشرة .. لا ذقن ولا شعر خفيف ينم عن ذكورته .. يرتدي بنطالا بمبي اللون ضيق، وحذاء لامعا وبدلة زيتية اللون بلون عينييه .. مال على أذني ليخبرني أمرا ما .. فجأة .. غبت عن المكان، رحت مع رائحته ولم أسمع كلمة منه، فقط علق بأنفي رائحة عطره التي كانت تتطابق مع رائحة جسد حسين ..

أبعدته عن رقبتني وطلبت منه أن يجلس أمامي .. طرقات على الباب .. يدخل بعدها مايكل .. جلس

مايكل في الكرسي الموازي لكرسي المدعو "أزيد" .. نظرت إلى مايكل لعله يرسل لي إشارة تخبرني أن ظنوني ما هي إلا حقيقة وأن هذا المدعو أزيد، السكرتير الخاص بحسين، هو فتاه المفضل، لكن مايكل كان أكثر حنكة وتحكما في أعصابه .. ظل مراقبا الموقف دون أي تلميحات قد تشكك أزيد فيما يدور في عقلي.

- "دكتور مايكل .. أنت تعلم أن هناك ضرورة لتواجدي في بيروت وسأتابع الإدارة من هناك حتى نطمئن على حالة حسين، وبمجرد أن تستقر حالته سيتم نقله بالطائرة لاستكمال العلاج في لندن، وطلبت من مجلس الإدارة استدعاءك لتتابع الأعمال هنا بدلا من أزيد .. و"أزيد" سيتم منحه التعويض المناسب وشهادة خبرة تؤهله للعمل في أفضل الشركات ..

يقف المدعو "أزيد" وقد غطاه العرق واحمرت وجنتاه فازداد جمالا، كان مزيجا من غسل وملح، فهو الذكر المتنكر في ثياب الأنثى، يحمل نعومتها ودلالها في جسد رجل مكتمل الرجولة، هو كائن مخلق يستدعي القرف، إنها أنثى وقعت في جسد رجل .. هو أو هي غريمي .. ضررتي.

عدت إلى بيتي أنشد قليلا من الهدوء والراحة، حتى أستعيد نشاطي وعقلي، حتى أستوعب ما أنا فيه من مهام وأحمال لم أتصورها يوما، فأنا أقل خبرة ومهارة من أن أدير هذا العالم الذي ألقى به حسين على كاهلي .. أحتاج قليلا من الوقت حتى ألملم نفسي. دقات على باب غرفتي، لتخبرني مايومي بوجود أزيد ورغبته في مقابلتي.

- دعيه ينتظرني حتى أغير ملابسي.
"ماذا يريد هذا الكائن أو هذه؟ لا رغبة لي في الحديث مع من هم مثله، لكن رغبة الفنان وفضوله بداخلي دفعاني لقبول التمازج معه وتخزين هذه الشخصية في أعماقي.

بان على وجهي عدم ترحيبي بقدومه، فكانت ابتسامتي باردة .. سألته عن مشروبه وسألت مالايا أن تحضر له العصير.

- تفضل .. ما الأمر الملح الذي أتعبك لتحضر إلى بيتي؟

جلس أمامي بينطاله الضيق، يثني ساقيه كفتاه تعلمت أصول (التيكيت)، واضعا حقيبة يد نسائية فوق ركبته .. مشدود الظهر .. متوجها بوجهه ناحيتي .. خرجت الجمل من فمه مرتعشة حزينة، وكأنه يقاوم دموعه، بعربية مختلطة بإنجليزية، خرجت جملة

مضحكة وأحيانا بلكنة غير مفهومة، لكن طبعاً خمنت ما يريد قوله لي.

- ماذا فعلت عهد هانم لإقصائي من منصبي؟ فأنا أخلص العاملين للسيد حسين .. كنت وما زلت أقرب رفقاءه له، لم أخنه يوماً ولم أتاخر عن وظيفتي، بل إنني الوحيد الذي يعمل ساعات إضافية وكثيراً ما أتنازل عن إجازاتي.

"تكلم كثيراً عن نفسه، وأنا في رحلة تأمل ملامحه أحاول قراءة أعماقه .. أصور كل لفظة وحركة من أصابعه ورقبته، وهناك أفلام تدور أمام عيني لعلاقته بحسين .. ساعات إضافية ... أتنازل عن إجازاتي .. أقرب الرفقاء ..

أوشكت بدافع من فضول الزوجة الغيورة أن أسأله عما يقدمه ليجذب إليه حسين ويرغبه عن النساء، ما نوع السحر الذي ألقى به عليه ليجعله يزهد الجميلات .. كظمت غيظي وابتلعت كل فضولي وقلصت أسئلتي .. أفقت على صوته الذي يطلب مني تفسيراً ورجائه ألا أبعده عن مكتبه ولا عن رفقته لحسين.

- سيد أزيد .. حسين سيغيب لفترة وهو لن يحتاج لصحبتك حالياً وعندنا مقولة عربية تقول: "أحبب من شئت فإنك مفارق"، وكذلك الحياة هنا أكيد علمتك أن (البيزنس) غير مضمون، وأثق أن لك مواهب ومهارات ستوفر لك مكاناً أفضل وربما راتباً أعلى ..

أعتذر لك فلا بد أن أستعد لأن عندي ضيوفا بعد قليل
.. أتمنى لك التوفيق.

نهض من مقعده وقد غابت عنه الرقة ونعومة الأنثى
التي يتقن تشخيصها، وفجأة ظهر الرجل الخشن
ليتحول صوته فجأة:

- عهد هانم .. سأعود مع عودة حسين صدقيني
وسيكون ذلك قريبا.. أؤكد لك.

رمقني بنظرة كيد وحمل حقيبتة النسائية واستدار
منصرفا، ولم يتخل عن تقصعه ومشية (الكات ووك)
مشية القطة، التي تحسنها فتيات الموديل.
نظرت في مرآة المدفئة وحاولت أن أقلد مشيته ولكني
فشلت وبمهارة أيضا.

بعد عدة اجتماعات تم فيها التوقيع واستكمال جدول الأعمال، استعددت للسفر إلى بيروت لمتابعة حالة حسين والوصول إلى قرار بالإتيان به لاستكمال علاجه هنا بلندن، طلبت من د. مايكل أن يتابع الأعمال ومساعدة د. صفوت، وقبل الانصراف طلب مني د. صفوت الحديث على انفراد ليفاتحني في قرار الاستغناء عن أزيد وأنها خطوة غير حكيمة في الوقت الحالي، فهو يهودي إنجليزي، ويحمل الجنسيتين "وتعمد أن يؤكد على يهوديته بنبرة تحمل تهديداً"، ليعقب بقوله: يتهم الشركة ويتهم حضرتك شخصياً بمعاداة السامية... وتردد في ذكر الوصف الدقيق لأزيد ..

سألته: ماذا أيضاً غير معاداة السامية؟

ليكمل التندر عليه لأنه مثلي: إن وصل للإعلام أو الصحف سيُسئ إلى أعمالنا وربما نتعرض لخسائر ستضر إن لم تعطل التزاماتنا ومشاريعنا في الوقت الحالي.

د. صفوت، أنا سألت المستشار القانوني وطلبت منه أن يصيغ إقالته بشكل لا يضر بالشركة، وقد ألغيت المُسمى الوظيفي الذي يقوم به ولن يكون موجوداً بعد ذلك، كما أننا منحناه تعويضاً مقبولاً وتوصية جيدة له

..

- أزيد لن يغادر شركتنا بسهولة ولن نستطيع التخلي عنه، فهو المنسق لتعاملاتنا مع أكبر شركات الإنتاج السينمائي والدعاية في أوروبا كلها.

- د. صفوت، أنا لن أعود عن قراري حتى لو كلفني ذلك أكبر تعويض.

- سيدتي، نحن هنا في بلد يحكمه قوانينه الخاصة ودورنا أن نطيع تلك القوانين ولا نعبث فيها، فنحن عرب والتركيز علينا وعلى أعمالنا نصب الأعين، وأي تصرف يصدر عنا تتصيده وسائل الإعلام ونتهم بالرجعية وأننا نسعى لهدم حضارتهم، فلا يحق لنا أن نتمرد على قوانينهم وحياتهم، ورأس المال جبان سيدتي يهرب حين يشم الخسارة؛ لذا كما أن هناك سلبيات نرفضها فهناك عشرات الإيجابيات التي نقدرها ومنها الحرية واحترام القانون.

- وهل خالفت القانون؟

- مادامت ليست هناك مخالفة - من أزيد أو أي موظف عندنا _ تضر بالشركة فلا يحق لنا محاسبته على حياته الخاصة، وبالفعل أزيد نشيط ونجح في أن يضمن لنا عقودا مع شركات وقنوات كثيرة بمجهوده، فهو بالفعل مخلص ومتقن في عمله في الشركة و له أهمية.

- د. صفوت أنا لم أخالف القانون وأنا أرى أن وجوده يضر بالشركة، فيجب أن تكون نظرتنا سابقة والحكمة تقتضي التخلص ممن هم مثله، فمكسب قريب لا يغر .. أنا أرى الخسارة التي ستأتي منه قريباً.

- لنؤجل إذن الاستغناء عنه حاليا .. حتى يعود السيد حسين.

- لا .. لن أسحب قراري د. صفوت، وبالتوكيل الذي صاغه حسين يحق لي أن أتخذ القرارات التي أرى أنها لصالح المؤسسة.

"كان قلبي حازما وشعر هو بذلك، فاكتفى بهز رأسه"
- والآن من فضلك لا بد أن أنصرف فلا بد أن أستعد للسفر إلى بيروت، أذكرك د. صفوت أن وظيفة حضرتك هنا مع مستشاري المؤسسة القانونيين أن تجدوا الغطاء القانوني اللائق بالقرارات التي تفيد المؤسسة ولا تضر بمصالحها، ولكن أيضا أن توفر لموظفيها العمل في بيئة صحية.
"اكتفى صفوت بأخر كلامي وطلب المغادرة ووعدني بأنه سيجد حلا.

عدت إلى بيروت لمتابعة حالة حسين ..
 زف لي الطبيب المسئول خبرا طيبا عن تحسن حالة
 حسين، وأنه أفاق وخرج إلى غرفة بالدور الأول،
 أسرعت بالنزول لأراه، كان ممدا على سريره، رأسه
 محاط بالشاش وظهره محاط بالجبس، وعلقت قدمه
 اليمنى في مشد لأعلى..
 قبلته من رأسه وطمأنته أنه في تحسن، لكنه في حاجة
 إلى وقت حتى تلتئم الكسور التي أحدثتها الحادثة في
 ظهره وساقيه..
 رمش بعيني، فلم يكن ليستطيع أن يحرك رقبته التي
 وضعت داخل اسطوانة..
 طرقات على الباب، لتدخل سيدة أنيقة تجاوزت الستين،
 ولكنها ما زالت تهتم بجسمها، ترتدي ملابس أنيقة كأنها
 موديل يتحرك على المسرح .. أمسكت بمدنيل تمسح
 به دموعا لم أرها وكان بصحبتها مدير أعمالها وشاب
 يحمل كاميرا مميّزة ليلتقط لها عدة صور مع ابنها
 المريض.. بلهجة شامية رقيقة دعت له أن ينهض
 سالما وسألته إن كان في حاجة إلى أي شيء..
 رغم الألم الذي يعانيه حسين، لكنه لم يفقد ابتسامته
 أيضا المصطنعة ..

رحب بها بإشارة من إصبعه الذي يستطيع أن يحركه
وشكرها بتحريك عينيه، سألتها عن شخصيتها لتخبرني
أمينة أنها السيدة رهف أم حسين ..

سمح لنا أن نجلس معه لربع ساعة ثم طُلب منا
الانصراف لكي يكملوا جلسات العلاج ولكي يستريح ..
خرجنا في الممر وعرضت على السيدة رهف أن
تصحبني إلى الفندق، لكنها تعلت بأنها مشغولة
بالتصوير في عدة أماكن ساحرة في لندن .. تنتبه أنها
لم تعرف من أنا لتسألني:

هل أنت موظفة عند ابني؟

صححت لها المعلومة .. لتلفظ بعدها بكلمة: أها .. هلا
.. (ثم استأذنت في الانصراف) .

رفضت أمي نة أن تنصرف لتتظر في الممر.
عدت إلى الفندق، كنت وحدي، طرأ على فكري أن
أكمل دراسة شخصية حسين وزوجي والرجل الذي
منحني الكثير من الأحلام لأكمل دراستي عن الحالات
المشابهة لحالته.

أغلقت على نفسي باب غرفتي وطلبت عدم الإزعاج،
ففتحت اللاب توب و بدأت مواصلة قراءتي عن حالته
.. قلبت كل الفيديوهات لأطباء نفسيين وبحثت عن
أضرار ممارسة الجنس في حالات المثلية وكان منها:
أمراض منقولة جنسيا مثل:

خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة " HI V/

AIDS

خطر لانتقال أمراض مثل: الزهري .. السيلان ..
الكلامي ديا .. التآليل التناسلية .. التهاب الكبد ومشاكل
في القناة الشرجية .. تمزقات في بطانة المستقيم
وأضرار جلدية، الذي يتحول بنسبة كبيرة إلى أورام
سرطانية مثل مرض HPV والتهاب أو نزيف بواسير
أو ضعف عضلات التحكم في الإخراج، هناك أيضا
احتمالات أعلى للإصابة ببعض أنواع السرطان..
طبعت كل تلك الأبحاث وتواصلت بطبيبي عبر "زوم"
وعرضتها عليه، وناقشته فيما توصلت إليه .. ففي
العلاقات الجنسية السوية مثل علاقة الزواج المبنية
على الاحترام والنظافة والممارسات التي حللتها
الأديان، تكون العلاقة صحية بل وذات فوائد جسدية
ونفسية منها:

تعزيز جهاز المناعة .. تقليل التوتر، وتعزيز الترابط
العاطفي خاصة مع إفراز هرمونات الأوكسيتوسين.
لم يتخل عن ابتسامته وكان منصتا جيدا لكل كلمة قلتها
.. حياني على المجهود الذي أبذله لاسترداد زوجي،
لكنه قال جملة ربما كانت لتقضي على حماسي: "لا بد
أن تقترضي أنه لن يقبل ولن يتخلى عن تلك العادة أو
الرديلة كما تسميها .. عهد، فمع التقدم العلمي والتوعية
الصحية، الغالبية يستخدمون وسائل حماية لتجنب تلك
الأمراض، فالعلم يوجد حلولاً لكل مرض وتطعيماً لكل
فيروس لا يستسلم للتحريمات العقائدية .

"رغم الأدلة العلمية والعقلية التي حدثني عنها ألبير، والذي أصابني للحظات بشئ من الإحباط إلا أنها لم تستمر طويلا ولم أفقد حماسي ولم يتملكني اليأس .. أنا أخوض حربا فرضت علي ولا بد أن أخرج منها منتصرة أو على الأقل لا تفقدني إيماني.

تابعت حالات شبيهة وقرأت كثيرا عن المثلية وأنواعها وعدد الحالات التي شفيت والحالات التي فشل فيها العلاج النفسي والأسباب التي أدت إلى هذا الفشل

...
لا توصيات جازمة باستحالة علاج الانحرافات الجنسية، هذا وحده كفيل أن يخبرني أنني أسير في الطريق الصحيح .

"حسين .. حمد الله على سلامتك .. إن شاء الله ستعود معافى".

- هل تعتقدن أنني سأعود كما كنت عهد؟
 - طبعاً عندي يقين، لنعتبرها استراحة لكنها إجبارية حتى تستعيد عافيتك وسواءك النفسي والجسدي، ربما أراد لك الله أن تتأمل وتعيد التفكير في حياتك.
 "في ابتسامته واهنة سألني: هل دعوت علي عهد؟ يبدو أن بينك وبين الله صلة من نوع خاص.
 ضحكت لأول مرة منذ الحادثة ورددت في شفقة: احذرنى حسين!

- طبعاً مولانا السيد عهد .. (قالها ولم تغادره الابتسامة).
 - حسين .. الآن جسدك في حالة خمول والرغبات معطلة .. فرصة أن تحاور روحك ونفسك حتى تستدل عليها وتعود إليك وكأننا في مصحة للاستشفاء النفسي.. فرصة لعلاج إدمان أضرنا جميعاً .. استغل فترة العلاج في استخراج الكنوز الطيبة التي دفنها جسد حسين .. أريد أن يعود إلي زوجي ..
 - أخبار ابني؟

"راحت مني اللباقة والجرأة وآثرت السكوت لعله يلتقط الخبر بداهة دون كلمة مني.
 - ماذا .. هل اكتشفت أنه ابنة وليس ولدا؟ لا مشكلة، فالبنات حبيبة أبيها.

- لقد مررت بإجهاد جسدي ونفسي كبير مما استحال معه استمرار الحمل .. آسفة حسين لم أتمكن من الحفاظ على ابننا .. سامحني.

رأيت حسين ينتفض في فراشه، وفجأة غاب عني .. دقت أجراس الإنذار وحضر طاقم الأطباء، ارتفع الضغط بشكل مخيف عرض حياته للخطر.

طلب مني الجميع الانتظار في الاستراحة وقاموا بإسعافه .. كانت ساعات عصيبة لم ننم أنا وأميئة وظللنا بالاستراحة حتى إفاقته وتحسن حالته .. خرج د. فادي ليطلب مني الانصراف والعودة صباحا فلا ضرورة لبقائي فهو نائم وحالته أفضل.

أمسكت بيد أمينه لتتصرف معي، إلا أنها رفضت قائلة: لن أغادر سألقي هنا حتى الصباح .. سأنام هنا .. رجاء سيدتي أن تتركيني معه سأموت إن تركته.

أقنعت د. فادي أن يسمح لها بأن تنبت في غرفته على (الشزلونج)، قبل بذلك وغادرت على أن أعود صباحا.

انصرفت إلى الفندق، نمت بملابسي من الإجهاد وقد ألقيت حقيبتني على الأرض لعلني أقتنص بضع ساعات لأواصل ما تم حمله على ظهري من مهام .

في اليوم الثاني توجهت إلى المستشفى بعد أن قمت بعمل عدة اتصالات بالمؤسسة لأطمئن على العمل هناك.

طرقت الباب ودخلت، لأجد حسين يتناول الفطور مع أمينة وقد استرد بعضاً من اتزانة النفسي بعد خبر إجهاضي.

استأذنتنا أمينة في أنها ستخرج لصلاة الضحى في الاستراحة.

سألته عن صحته وعما يشعر به من ألم، ليرد بأن ألمه النفسي أقوى بعد أن خسر ابنه.

- قم بالسلامة وسيعوضك الله بغيره .. لعله خير.

- ترددتين دوماً "لعله خير" .. لم؟ ما الخير في موت ابني؟

- لن تدرك الحكمة في ذلك إلا بعد أن تستعيد نفسك.

لن أنجب منك طفلاً إلا بالحب .. لن يخلق بداخلي جنين إلا بالطريقة التي فطرنا عليها .. لا بد أن يخرج مكتملاً مني ومنك ولن أقبل طفلاً مصنوعاً.

لقد دفع ثمن جهلي وجهلك وكأنه رفض أن يكتمل في بيئة مسمومة، سننجب طفلاً أنا وأنت، لكنه لن يكون طفلاً مخلقاً، بل طفلاً ينشأ في قلبي وقلبك قبل أن يتشكل في رحمي .. لا تتحسر على شيء لم يكتبه لنا القدر .. هكذا علمتني.

- إنه يلعبنا أو بوصف أكثر دقة يلعب بنا .. نحن نلهو، ما ذنب ذلك البرئ أن يتذوق الموت قبل أن يشتم الهواء؟ ما ذنبه أن يخلق ثم يقتل؟!
- السؤال مقلوب حسين .. نحن لا ندرك ما وراء المنحة أو المحنة، رؤيتنا قاصرة كمن يقص صورة فلن يرى الحقيقة كاملة، سنتضح لنا بعد وقت حين ننضج بما يكفي.
- وهل نضجت عهد حتى تفهمي الحكمة مما نحن فيه؟ - أحاول.
- أدركت الآن أن الوعي آفة يتعذب بها صاحبها.
- أثق أن ما أنت فيه خير .. أثق في قدره .. وأن فكرة الأبوة التي لمعت في ذهنك لم تكن اكتملت كإحساس بعد لكنك تشعر بقيمتها ومدى أهميتها الآن، وهذا في حد ذاته خير، لكن الطريقة يجب أن تتفق مع ما خطه القدر .. أنتظرك ولن أمل الانتظار .. سأتركك الآن حتى تستريح وأعود أنا لكل تلك الهموم والمسؤوليات التي ألقيت بها فوق كتفي.
- "أرسل لي ابتسامة متردة .. متعبة، ولكن كان وراء صدى رونقها أنني سأفكر فيما قلته"

ادخلي البيت بينك .. فلتحلقي بأرجائه، فلا زوجة تنغص علي حريتي ولا أبناء يكبلون خطواتي، على يمينك غرفة النوم وبداخلها الحمام وعلى اليسار المطبخ .. لاحاجة لنا به فأنت الليلة وجبتي الشهية .. وفي الصالة مشروبات الجنة .. لا، بل أعني مشروبات أعدّها لنا الشيطان.

"ضحكة تجلجل بالأنوثة من امرأة لا تظهر لها ملامح، فلقد غطتها طبقات من المساحيق وعمليات التجميل التي خلقت نسخا متكررة من نساء شهيرات .. كانت من الجراءة أن خلعت ملابسها قطعة قطعة وألقت بها على الأرض وهي تتجه إلى غرفة النوم، ثم الحمام لتأخذ حماما، هكذا هي بروتوكولات مهنتها.

عادت وكأنها شخص آخر بلا مساحيق، ولكن ما زال جسدها ينضح بالإغراء .. قد يكون إغراء أضفته الخمر الذي يتجرعه عدنان

وقف في حالة من عدم التوازن .. قابضا على كأس وصب به المزيد من الخمر له وللسيدة التي ترافقه مد يده إليها بالكأس قائلا:

"قليلًا من السم بين الحين والآخر يجعل الأحلام لذيذة، يدير ظهره للمرأة متأملا رف زجاجات الخمر أمامه خافضا صوته "وكثيرا من السم في النهاية من أجل موت لذيذ" هكذا قال زرادشت ..

وأطلق ضحكة مهتزة كما جسده ليمسك بالمرأة من
خصرها متجها بها إلى الفراش..
- ما أجمل الحياة في حضن امرأة .. نحن لا نستطيع
أن نحيا دونكن.

نهض من نومه، لم يجد الفتاة التي صحبتته ليلة أمس
ولكن وجد حافظة النقود مفتوحة، فلقد أخذت الفتاة
أجرتها وانصرفت ..

قام ممسكا برأسه من الصداع، أخذ حماما دافئا وارتدى
ملابسه، صنع لنفسه قهوة أمريكية سوداء حتى يفيق..
كل إشباع لرغبة جسدية يعقبها ألم، حتى الطعام، إن
أسرفت في إشباع جوعك عانيت من أمراض السمنة
ومن منا يقدر أن يعيش في توازن .. في وعي دائم؟!
كيف يخلق فينا الأعضاء الجنسية والرغبة ويطلب منا
تحجيمها؟ يخلق لنا معدة ويطلب منا زهد الطعام؟ يخلق
لنا العنب والبلح والبصل ويطلب منا ألا نقرب الخمر؟
إنها المهزلة .. هل سيعيش كل منا ممسكا في يده
بميزان حتى يحافظ على الاعتدال في كل شهوة؟!

لاحظ عدنان ألما رهيبا وهو يقضي حاجته .. يقرر أن
يتجه لمستشفى المؤسسة لعمل تحليلات ربما يعاني من
صديد سببه تلوث أو أملاح.

أخبره الطبيب بأنه مصاب بفيروس كبدي (ب)، كتب له
روشتة وطلب منه أن يتبع احتياطات شديدة وتكرار
التحاليل بعد الانتهاء من (كورس) العلاج ..

تعب عدنان واشتد عليه المرض، فلم يجد بجواره أحد يرعاه ليتغيب عن المؤسسة والمعهد، اتصل به مايكل ليعلم بمرضه، يزوره في بيته، يعد له عدة وجبات تكفيه عدة أيام ويعدة بأن يجد له جليسة ترعاه فترة علاجه، ونصحه مايكل بأن يكف عن ممارسة الجنس مع فتيات الشارع وأن يحافظ على صحته واسمه، وأن مرضه هذا خطير وإن لم يحافظ على صحته فقد يصاب بما هو أخطر.

ليرد عدنان:

- لا تكن قاسيا أنت أيضا علي ياماكيل.
- سأنصرف الآن وسأتابعك .. اهتم بنفسك.
- "بكي عدنان كما طفل صغير، لم يكن يبكي من الألم فقط، ولكنه كان يبكي إحساسه بالوحدة والضياع".
- عدنان تماسك .. ستتحسن لا تقلق ولكنه تمرد الجسد علينا إن لن نحترمه.
- هل أنا سئ لهذا الحد يا مايكل؟
- أنت سيء فيما يخص اختياراتك للمرأة .. دائما ما يميل قلبك لمن تعذبه .. أحسن الاختيار وأعتقد أنت في حاجة لاتخاذ قرار بالاستقرار والزواج ..
- كن بخير .. سلام مؤقتا .

تم السماح لنا بنقل حسين إلى لندن لاستكمال علاجه بأحد المستشفيات الكبرى هناك، وقمت مع عدد من مستشاري الشركة بتجهيز طائرة لمثل حالته، وكنت برفقته.

كانت نظرات حسين لا تغيب عن وجهي، وبسمة لا تفارق وجهه، والشعور بالأمان في وجودي بجانبه، وجملة تتردد دائما في عقله وقلبه "لقد أحسنت الاختيار".

أرسلت إليه بابتسامة تطمئنه بأنني لن أتخلي عنه رغم أن الإرهاق والتعب تركا هالات سوداء تحت عيني. ودعت د. فادي، وشكرته لمساندته لي طوال فترة مرض حسين ورعايته له .. رأيت في عينيه ما كنت أرجو الله أن أجده، كانت تنطق تلك العينان بالحب وأيضا الحزن لرحيلي، وبادلته نفس الحديث الصامت. - حسين صديق وأخ، وسنلتقي أكيد في لندن عما قريب لأتابع حالته وأطمئن عليكما.

قضيت اليوم بأكمله مع حسين في المستشفى الجديد حتى أطمئن على أنه يتلقى الرعاية المناسبة، وكالعادة رفضت أمينة أن تغادر معي وبكت حتى أجبرت إدارة المستشفى أن توفر لها غرفة بجواره لتتابع حالته. لم تأت رهف، الأم البيولوجية، مرة ثانية، لزيارة حسين وحتى لم تتصل به .. كنت ألاحظ أن السؤال

عنها على طرف لسان حسين، ولكن كبريائه منعه من أن يسأل.

غادرت المستشفى وأنا في قمة الإعياء والتعب، كنت أتلهف إلى السرير لألقي بجسدي عليه وأنام.

في الصباح طلبت من "مايومي" أن تجهز لي إفطارا بسيطا إلى أن أصبح قليلا في حوض السباحة، ألقيت بجسدي في حوض السباحة، أنزلت رأسي عدة مرات لأغمرها بالماء .. كنت أضرب سطح الماء بكفي وأغرق رأسي، أحمم دماغي في محاولة لغسلها من أفكارها عنه، قد أغسل رأسي فتمحو صورته التي تتساقط كما شلالات مياه، لا تكف عن ملاحقة عيني..

لماذا فادي؟ وماذا أريد منه؟ كيف ستنتهي تلك العلاقة؟ ظلت صورة لي معه وأنا بين ذراعيه، أغوص في صدره .. لا بد أن أهرب من علاقات اختارتني في لحظات ضعف واحتياج.

ظللت أوارى رأسي في صدره مغمضة عيني لعلي لا أرى إلا صورته .. أشم بأنفي رائحة عطره، ربما تعلق بها فتختفي كل روائح الأجساد التي تحيط بي.

كلما طاردتني الرغبة في التفكير فيه أسرع في الغطس والعموم .. قد تغيب تلك الرغبة وقد تذوب تلك الصور من ذاكرتي.

نادت عليّ مايومي عدة مرات لأخرج من الحمام، ولكني كنت أغيب في الخيال حتى صعب علي أن

أسمعها، ثم رأيت شبحها يتحرك مهتزا في الماء، رفعت رأسي فإذا بها تخبرني بأن الإفطار جاهز .. فوجئت بوجود أمي نة عادت لتأخذ حماما وتحضر لها بعض الاحتياجات الشخصية.

كنت في الحديقة أتناول الإفطار وأنتظر فنجان القهوة حتى أستعد للذهاب إلى المؤسسة، حين وجدت أمي نة تقف أمامي ..

- أرغب في التحدث معك .. في الخصوصية .. أرجوك.
طلبت من مايومي فنجانين من القهوة وأن تحضرهما إلى مكتب حسين، حيث صورته المعلقة خلف مكتبه وكتبه وأفلامه المفضلة. وقفت الأم أمي نة أمام المكتبة، أخرجت كتابا وضع له حسين غلافا يخفي أنه القرآن .. سألتها:

- ما هذا؟

- إنه القرآن ابنتي لم يفارق حسين يوما ... لقد عانى ابني طويلا.. نعم إنه ابني

ربما لم أحمله في بطني ولكنه ابني الذي وهبه لي الله .. لقد عانى طويلا .. لا يغرك مركزه ولا سلطته، أنا وأنا فقط التي تعرف معدنه وعشت معاناته، لقد تعرض للإهمال والرفض من أمه التي لفظته واعتبرته عثرة في تحقيق أحلامها، ألقته به وكأنه إجهاض بلا ملامح .. تركته ليتسول الحزن .. ليسأل الناس الحنان .. كان أبوه شيخا كبيرا لم يتزوج إلا بعد أن تخطى الستين بكثير .. الأسرة لم تكن غنية ولم يرث الأب ثروته بل

تعب وعانى حتى صارت له إمبراطوريته، نسي خلال رحلته الحب والزواج وحين تزوج اختار فتاة أصغر منه بأكثر من ثلاثين عاما وكان يعلم أنها تزوجته لتحقيق أحلامها في الشهرة، ولكنه أراد منها الحب والشباب الذي تخطى عنه أثناء رحلة الثراء وأنجبت منه حسين، والذي حاولت إجهاضه ولكن كانت إرادة الله أن يكتمل، وعلم والده بمحاولاتها لحرمانه من وريث له، فكرهها وأهملها وحرمها من ثروته، وحين أدركت أن صفقتها خاسرة، طلبت الطلاق وقايضته على ابنها .. منحها المبلغ الذي ثمنت به أمومتها ورحلت لتقتش عن أحلامها وتركت ابنها بين الكثير من الرجال وامرأة وحيدة هي أنا .. الوحيدة التي كانت تتولى مسؤولية الأب والابن .. أتى بمربية من كوريا تتقن الإنجليزية حتى تمنح حسين اللغة والإتيكيت .. بالفعل تمكنت من أن تجعل من الإنجليزية لغته الأولى، وكذلك علمته ثقافة مخالفة لثقافتنا .. شب ليعيش مراهقته وتتفتح عيناه على الجنس بطريقة منحرفة لأكتشف ذلك بالمصادفة .. حاولت كثيرا أن أقوم سلوكه .. كتمت السر عن أبيه وتوجهت إلى المتخصصين ربما أنقذه .. كان يحاول إرضائي وحاول بالفعل أن يستقيم ليموت أبوه ويتركه لي أنا التي تخطيت الخمسين وصرت لا أقوى على مجابهة (المصلحية) والكارهين له، والذين يدبرون المكائد للإيقاع به والتخلص منه والاستئثار بثروته ..

حين أخبرني عن رغبته في الزواج منك، للأمانة شككت في نواياك، وخفت عليه منك واعتقدت أنك كنت تعلمين بمشكلاته الجنسية وأنك تخططين لمصلحة ما كما فعلت رهف، ولكن حين شاهدت موقفا بينك وبينه وحكاه لي بالتفصيل وصدقك وطلبك الطلاق، تأكدت أنك تعرضت للخداع ولكنه ابني، أحبه وأشعر بمدى وحدته وربما رغبته في أن يصير أبا، وربما يحاول أن يجد من ينتشله من عالمه الذي تقبل الانحراف وجعله حرية وأنه سلوك تقبله الطبيعة.

عهد ابنتي .. لقد زادت غلاوتك عندي بعد وقوفك معه وعدم تخليك عنه ومساندتك له رغم ما تعانينه وأسأل الله أن يقويك لتكملي رسالتك معه .. لن أتخلي عنك وسأكون داعمة لك طالما سيكون أي قرار لك فيه علاج وإصلاح لحسين .. لا يهمني ثروته ولا شركاته ولكن أدعو الله أن يسترد صحته وسواءه النفسي والجسدي ..

حسين معدنه طيب يا ابنتي ويرفض سلوكه ولم يتوقف عن محاولاته للاهتداء، ولكن عيشته هنا في لندن بالإضافة إلى ثرائه، سهلا عليه الغلط، أضفت على انحرافه الشرعية والأجواء هنا ورفقاء الشهوة سهلوا له إيمانه وخدرت ضميره، فالضمير أيضا يحتاج إلى أرض طيبة ليظل يقظا، وإحساسي يخبرني وهو لم يكذبني أبدا أنه اختارك أنت خاصة لأنه ينشد من يعيد إليه ضميره ويأخذ بيده إلى الطريق الحق لكن كبرياؤه

ما زال يناطحه كما وأنك تحملين الكثير من ملامح
السيدة رهف .. غير أنك بلا أنانيتيها وشغفها بالدنيا
والشهرة .. أدركت مدى حب حسين لأمه حين لاحظت
الشبه بينكما .. مازال المسكين يحبها ويحتاج إليها.
أوقن أن الله قبل دعوتي في أن يأخذه للهداية
والإشارات واضحة أمامي ..

هأنذا تظهرين في حياته والحادثة رغم ما أصابته من
كسور ومعاناة إلا أنها لا شك ستساعد في إعادته لنا .
أطلت عليك .. أعذريني.

"أنصتت لها بحب وعيني تراقب دموعها الصامتة
وخوفها وغيرتها على حسين، وهناك بداخلي صراع
بين ما أحبه وما يجب علي فعله .. ما بين لحظات
تخيلتها مع فادي وقصة حبكت أحداثها بسذاجة وأنا في
حوض السباحة، وبين حديثي مع أمينة
صفعة أحدثها القدر لأفيق وأشعر بالأمانة المعلقة في
رقبتي، فلن أكون أنا المرأة الثانية التي تتخلى عن
حسين ..

نعم لقد تخللني فادي وتمكن من إعادتي إلى الحياة ..
أحيا بداخلي مشاعر مت حنيناً إليها ولكن حسين ما زال
في حاجة إلي"

أخشى من نفسي ربما أكون قد وقعت في بئر الغرور
وأني ألعب لعبة لست مؤهلة لها، فأنا بشر، له جسد
كما له روح، له رغباته، كما له ضميره .. أشتهي

وأضعف .. أحب وأكره .. لست من المعصومين
حملتني أمينة عبئاً أحنى كل رغباتي أمام الواجب.
خرجت من صمتي، لم أجد كلمات تطمئننها لكن أثق في
الحاسة السادسة التي تتمتع بها كل أم لأقول:
- القهوة بردت أُمي أمينة ..
"اكتفيت بتلك الجملة والتي أرفقتها بابتسامة تطمئننها
أنني لن أتخلى عنها ولا عن زوجي".

بعد حسين عني- غير المتعمد- بسبب مرضه، وقلقي من صفوت الذي لم تكن بيننا كيمياء توافق، جعلني أشعر بالوحدة وحاجتي إلى ناس ثقات للمشورة وإعانتني في أعمال المؤسسة التي فاقت قدراتي .. رغم وجود عدنان ومايكل ما زلت أحتاج لأمناء، فكرت في أخي وجد وكذلك في أختي وعد، فلكل منهما مكان في المؤسسة وبالتدريب سينجحان في أن يكونا ذراعي بل ومستشارين ثقات لحسين، فكان لابد من مناقشة حسين في استفادتهما، ذهبت لزيارة حسين، كنت محملة بالكثير من الأفكار والقرارات غير المنظمة والكثير من الأعباء والإغيا، بدا ذلك على وجهي، وسرحاني ونسيان بعض الكلمات التي تسقط مع كل فاصل، أبذل الجهد الكبير لأعصر عقلي لأسترجع تلك الكلمات التي تمنح من أحدثه فهما لما أريد.

أحس بي حسين لأفريق على كلماته:

- أسف عهد لما سببته لك من إزعاج وضغوط وحزن، لو كنت في مكانك ما ترددت لحظة في الاتصال من كل ذلك والفرار بنفسي، ولكنك أكثر مني شجاعة وإقداما بل وتحملا للمسؤولية .. حين اخترت الزواج منك كنت أرى فيك نموذجا لقيم افتقدتها، لكن لن أواصل أنايتي فكفى ظلما لك .. لك الحق أن تطلبي الطلاق وسألبي

طلبك، بل ولن أحرملك من حقوقك المادية وسأكون كريما مثلك وأعطيك ماهو أكثر.

"كنت في حاجة أن أسمع ذلك منه .. كنت في حاجة أن اشعر أنني حرة حتى لو افترضيا .. كنت أحتاج أن أحس بأنني أنا من اختارت تلك الحياة وهذه الحرب"

- حسين .. لن أتخلى عنك وسنجتاز تلك الأزمات التي أرى فيها تحولا للأجمل .. ستشفى وتعود أفضل وسأكمل حلمي معك .. أنه اختياري كما كان اختيارك ... وسأتحمل عواقبه كما استمتعت بثماره ..

" هل كانت كلماتي تعبر عما أشعر به حقاً؟! وماذا عن شعوري الوليد والذي أحيا في قلبي النبض؟ وماذا عن فادي ذلك الإنسان الذي تجسدت به كل أحلامي، هل هذه المشاعر تتوافق معاً، هل هو أمر طبيعي أن أحب فادي وحسين في آن واحد؟

لا أدري، لكن ما أثق أنه حق أنني لن أتخلى عن حسين"

أفقت سريعا وكاشفته برغبتني في استحضار إخوتي لمساعدتي في إدارة الشركات أيد اقتراحي.

حسين رجل أعمال له عقل أخطبوطي بثمان أدمغة .. بارع في فتح أسواق ليكون منافسا لذاته .. كنت بعيدة عن أعماله إلا في مجال الإعلانات واهتمام بسيط في اقتحام شركاته للإنتاج السينمائي .. شعرت بالغرق وأنا في حاجة ليد أثق بها لتتقذني من هذا المحيط الممتد شرقا وغربا بلا سواحل أرسو إليها .. حسين لم

يكن له إخوة بل أبناء عمومة بعيدين هناك في بلده الأم، يعملون في التجارة والتصدير في مجالات بعيدة عن اهتمامات حسين.

تعرضت لبعض المضايقات حين كان هناك شك في حالة حسين الصحية وانكشفت تلك المضايقات حين أفاق حسين وبدأ في متابعة أعماله وكنت يده وكثيرا لسانه .. غادر أبناء أعمامه إلى الوطن وقرروا متابعة أخباره من بعض الموظفين في شركاته .. لأكتشف لعبة أزيد وخبت أطماعه التي امتدت لكي يشارك بمعلوماته وأسرار حسين مع أبناء عمومته وبعض الشركات المنافسة .. ليس فقط بل تعدى الأمر إلى تهديده لي بفيديوهات قد سجلها له في غرفة نومه، أما عنه فهو يرى أن تلك الفيديوهات قد تقيده في الترويج لاسمه، لكن ألهمني الله أن أهده أن تلك الفيديوهات لو خرجت للإعلام فستكون سببا في منعه من دخول شركات لها اسمها سيعتبرونه موظفا عديم الأمانة واستغلاله للجنس للسيطرة على بعض رجال الأعمال ولن يرضوا بتعاونهم معهم، ليس فقط بل ربما قد يتعرض للقتل من أحد أفراد عائلة حسين الذين يهتمهم اسم العائلة بصرف النظر عن أهمية حسين عندهم ..

تأكد أزيد أنني لست ساذجة وأنه لن يسهل تهديدي فغادر بغير رجعة يفتش له عن صيد جديد.. تمكنت من تجاوز أول أزمة حقيقية بعد أزمة عائلة حسين وأزيد..

الآن أنا في حاجة لترتيب المهام ومتابعة أعمال عدة شركات ..

لا بد من سفري إلى القاهرة لزيارة أسرتي ومحاولة لإقناع وعد و جد للإتيان معي إلى لندن، لكن بعد أن أطمئن على استقرار حالة حسين .

نقلت الى حسين ما فعله أزيد .. ظل لفترة متجهما .. حزينا .. طلب مني أن أتركه وحده ربما استرجع حسين الحادثة ومعجزة عودته إلى الحياة وخسرانه لابنه الذي ارتجى السماء أن تهديه إياه، وها هو يكتشف حقارة أزيد وتلمس بنفسه تفاهة الحياة وتقلباتها، أو ربما ما آلمه أنه ظهر منكسرا أمامي فما كان يربطه بأزيد هو الجنس، فقط الجنس أو الشهوة التي جعلت منه عبدا، فلم يتسيد جسده.

عدت إلي بيتي وكانت هناك أمينة مستلقية في غرفتها، وهي نادرا ما تترك حسين، لكنها كانت في غرفتها نائمة.

طرقت الباب، كان صوتها بعيدا جدا واهنا .. ترقد على الفراش ليست كما تعودت .. سألتها:

- ماذا بك؟

أجابتني:

- إرهاب فقط .. تعرفين السن.

- لا هي ليست عادتك .. أمي أمينة أنا وحسين في حاجة إليك، يشيخ الرجل بغياب أمه .. أنت من تعدلين منه، أنت سنده وضميره.

خرجت مسرعة واتصلت بالإسعاف، التي وصلت سريعا .. تابعتها بسيارتي. تم حجزها لعمل بعض الأشعات والفحوصات، لتتسع حلقة المصائب التي

تحيط بزوجي ويا لها من كارثة! مرض أمينة بسرطان الكبد والأمعاء وما تبقى لها من شهور لا تتعدى الستة. كيف أخفت عني هذا الألم؟ كيف تحملت وحدها وجعها دون أن نتشاركه معها؟ كم هي عظيمة! أخذت الأشعة والتحاليل وتوجهت لاستشاري في أمراض الكبد ربما أجد لديه علاجاً يردها إلينا، لينصحنى بعدم المغامرة بأية جراحة أو أن أقبل من أي طبيب اقترح زرع كبد لأنها جراحه غير موفقة في حالتها وستكون مجرد تجارة للربح ليس أكثر، فالمرض متمكن من أمعائها وانتشر حتى وصل إلى البنكرياس والكبد.

خرجت من العيادة وقد أصابني الحزن على سيدة تحمل في قلبها كل هذا الجمال، عاشت لكي تعطي ولم تأخذ من الحياة لا ابناً ولا بيتاً خاصاً .. ولا امتداداً كما قال حسين .. ربما امتدادها في أنها تركت في الحياة بذرة خير سوف تنمو لكي تذكرها بالدعاء دائماً، فلا ضرورة أبداً أن يكون خلودنا في شكل طفل. عدت إلى البيت ودخلت لأطمئن على أمينة التي وجدتتها تقف في المطبخ لتتابع إعداد الوجبات وكأنها لا تشتكي من أي مرض، لاحظت وجودي وسألتني عن حسين، أخبرتها أنني سأذهب إليه بعد الغداء .. نظرت لما في يدي من ظرف تعلم جيداً أنه يحمل أشعتها وتحاليل تخصصها .. - ما الأمر؟ هل استجد شيء في حالتي يا ابنتي؟

- خير أُمي .. لقد ذهبت لأستشير متخصصا في حالتك، وطمأنني أنك مع تناول الفيتامينات والمتابعة ستتحسن الحالة إن شاء الله.

أمسكت بذراعي وخرجنا معا إلى الصلاة، وأجلستني وجلست بجواري .. وجدتها تهمس في أذني:

- عهد .. أعرف أنني سأموت .. الموت جزء من الحياة وهو حق وقد حان موعدي معه، لكن أرجو منك ألا تخبري حسين شيئا عن حالتي، أخشى أن ينتكس ويفقد الثقة في ربه، كوني معه ثبتيه ولا تكفي عن الحديث معه عن الله .. لا تصدقي لسانه حين يرفض أو يدعي القوة أمام الله .. هو يشاكس فقط لكن ما زال في قلبه حب وخوف من الله، يحتاج من يأخذ بيده، أما أنا فلقد انتهى دوري أو على وشك الانتهاء .. هاتي الظرف لا بد أن أخفيه عن الموظفين هنا، حتى لا يقع في يد حسين ..

أنصت في حب وشفقة عليها، وتركت لها الظرف، وحضنتها وبكيت .. بكيت قصر عمر الأشياء الجميلة في حياتنا ..

نقلت للعاملين في البيت أكذوبة اتفقنا عليها أنا وأمي نة، أنها تعاني من القولون العصبي وتحتاج إلى نظام غذائي صارم ..

في اجتماع مغلق مع عدد من العاملين في المونتاج
ومنفذي الإنتاج وبحضور عدنان، كان صوت صفوت
وجمله الحازمة التي تخرج في نظام:

- تقدمت عدة شركات بعروض أرى أنها مجزية، أريد
منك دكتور عدنان أن تجعل أبطال الفيلم الجديد
يستخدمون هذا الكوب في بعض اللقطات وتركز
الكاميرات عليه وكذلك هذا المشروب .. ليتك تجعله في
حوار بين بعض الأبطال .. بالطبع أنا لن أتدخل في
عملك ولكن أريد أن تظهر هذه المنتجات مدة ثلاث دقائق
موزعة بطريقة ينتبه إليها المتفرج.. لننتقل إلى آخر
السيناريوهات التي سيتم مناقشتها ..
عدنان:

- لماذا لا نعيد صورة المرأة الأنثى الناعمة في الإعلان
الجديد، فأنا لأرى أنه إبداع أن نظهرها بأنها (سوبر
وومن) تضرب الرجال وتحمل أثقالا وتقتل، فنحن مجرد
مقلدين للصورة التي يفرضها علينا الغرب.
ليرد أحد منفذي الإنتاج:

- نحن ملتزمون بقيم المساواة بين الجنسين وصورة
أحبها المشاهد.

فتاة مغربية ترتدي حجابا اسمها جميلة تحت التدريب في
الإخراج:

- المساواة يتم فهمهما بشكل خاطئ، لو طبقناها بالفهم الذي نتحدث عنه فهي مرادف للفوضى .. نحن في حاجة إلى التكامل لا المساواة التي يدعيها المثقفون ودعاة حقوق الإنسان، المساواة تكون في الحب والاهتمام وتطبيق القانون، لا في أن نلغي جنس المرأة ويتحول الكون كله إلى رجال وأشباه رجال، نحن نهتم بذلك الطبيعية ونفقد التوازن، لا أرى أية فائدة ستعود على النساء أو المجتمع من المساواة بمفهومها الدعائي الخاطئ وهو أن تتشبه المرأة بالرجل وتقلده في الملبس والعنف، فهي تضرب وتقتل وتشرب وتعدد العلاقات، أفضل أن أسمى هذا النوع من المساواة بأنه ضعف وشعور بالدونية كونها خلقت امرأة.. يجب أن تظهر إعلاناتنا أن الجمال هو المرأة والقوة، وأن المرأة هي البيت بل هي الوطن وأن تفخر أية فتاة بأنها خلقت امرأة وأنه من العيب أن تتخلع عن جلدها للنتشبه بالرجل.

ينظر إليها الجميع نظرة حب واستحسان .. ليسألها عدنان:

- راق لي فكرك، لكن كيف نحول ذلك إلى صورة جميلة على الشاشة؟

أيها السادة لنحول فكرة جميلة إلى صورة تجذب إلينا احترام المشاهد قبل أمواله، وأنا أنتظر منك يا جميلة أفكاراً مبدعة ..

روبرت، أحضر لي الفيلم الذي وثق هذا الاجتماع لعرضه على السيدة عهد.

"تكدست المشاغل والمسؤوليات، فلم يكن سهلاً أن أسافر وخاصة بعد تعب أمي نة"
 اكتفيت بإرسال تذكرة سفر لكل من وعد، ووجد أخي، وطلبت منهما ضرورة الحضور وأنني سأعود معهما لرؤية أمي وأبي، لكن بعد أن أنهى بعض الأمور العالقة هنا ..

قرر الأطباء السماح بخروج حسين وسيتم متابعته .. كنت رافضة لفكرة خروجه، ولكن كان هناك إصرار منه، فلقد ملّ الرقود على الفراش بل ملّ سريريه والمستشفى، أما أنا فكنت أرى أن بقاءه في المستشفى أفضل له ولي، فهو تحت رعاية واهتمام، كما أنني لن أكون مضطرة أن أخبره بحالة أمي نة، فأخشى أن تسوء حالته إن علم بما ينتظره من أخبار.
 لم يكف حسين عن السؤال عن أمينة واستنفدت كل الحجب، وشعر هو أنّ في الأمر وجعا جديدا ..
 قررت أن أخبره بطريقتي...

- أمينة تعبانة ومرهقة وسنّها لا يسمح بكل ما تتحمله من مهام؛ لذا فلقد طلبت منها عدم مغادرة البيت إلا للضرورة ونصحتها بأن تقوم بعمل بعض الفحوصات، فهي تهمل صحتها ولا بد في مثل سنّها بعمل فحص دوري حتى نطمئن عليها.

- عهد.. أرجو ألا تكوني تدارين عني أمرا خطيرا
وتكذبين بحجة أنك تخافين على صحتي، لا أحب تلك
التصرفات الساذجة .. أفضل أن أعرف كل ما يحدث
فالمداواة لا تعالج بل تضر، ما هي حالة أمي؟ من فضلك
لا أحب الكذب .. أنت تعرفين ذلك.

- هي فقط فحوصات لأنها تعاني من ألم في معدتها.
مال على التليفون واتصل بمدير المستشفى الذي طلب
حضوره ..

- لماذا اتصلت به؟

- هل تتوقعين مني أن أصدق هذا الكلام عهد؟ وهل هذه
فكرتك عن زوجك، أنني سأتخلّى عن أمي وأتركها؟
طرقات على الباب .. دخل مدير المستشفى وطلب منه
أن يوفر حجرة للسيدة أمي نة لعمل الفحوصات اللازمة
واتخاذ اللازم مهما كانت تكلفته..

وجه مدير المستشفى سيارة إسعاف إلى بيتنا لإحضار
أمي نة ..

اعتدل في سريره ممسكا برأسه بين كفيه .. سمعت شهقته
التي حاول كتمانها .. رفعت رأسه وقبلت جبينه وهدأته.

- عهد، أعرف أن الموت حق، وأعرف أنه في يوم ما
ستغادرني أمي ولكن لم أتصور أن هذا اليوم يقترب،
فهي أبدا لم تشك ولم تبتعد عني .. احتوتني وتحملتني ...
قبلتني كما أنا .. هي الوحيدة التي ساندتني ولم تمل من
رفضني وعندي، حينما أحبطها بأنه لا فائدة، كان ردها

دائماً، لا مستحيل أمام مشيئة الله فهو إن أراد شيئاً قال له
"كن" فيكون .. لم تمل من تعبئة ضميري وتوبيخي.
- لا تقلق إن شاء الله تطمئنا الفحوصات.

طلبت من السكرتارية البحث عن مايكل وإعلامي
بمكانه أو أن يأتي ضروري لملاقاتي لأمر مهم ..
اتجهت إلى الشركة .. جلست خلف مكثبي.. طلبت
فنجان قهوة وفتحت اللاب توب أتابع ما وصلني من
رسائل، لأجد رسالة مختصرة من مايكل .. "بعد أن
اطمأننت عليكم، حان موعد نقاهتي الروحية، سأبدأ
جولتي. عهد .. أحتاج أن أجد نفسي حتى أعود".
دخلت السكرتيرة لتخبرني عن موعد مسبق للقاء كاتبة
شابة مصرية ..

- أدخلها.

هي سيدة في أول الأربعين، طويلة مشوقة القوام، ذات
شعر أحمر ناري، عيناها ضيقتان ولكنها أتقنت
تجميلهما فكانت كما عيني نمر، شفثاها ممثلتان بجمال
.. ترتدي بنطالا (كارجو) وفوقه صديري بلا أكمام،
من تحته قميص، فتحت أزرار القميص لتظهر لون
بشرتها البرنزي ..

هي أنثى إن أردت اختصار وصفها .. فاح منها عطر
تتجذب إليه الأنوف ينم عن ذوق امرأة لها مهارة جذب
الرجال، دعوتها للجلوس وسألتها عن مشروبها ..
طلبت لها النسكافيه ورحبت بها وانتظرت أن تعرفني
بنفسها وما معها من سيناريو..

- أنا "ماسة" .. مصرية .. أعشق الفن بكل أنواعه وأتقنه، لكن فضلت أن أركز في الأدب فأنا أكتب الرواية والنصوص النثرية منذ سنوات .. عرضت ما أكتب على عدنان، الذي اقترح علي أن ألتقي بك لأعرض عليك ما كتبت قد تروق لك إحدي قصصي لتتحول إلى فيلم سينمائي.
- أين درست كتابة السيناريو؟
- درسته عن طريق اليوتيوب وأتقنته لأن لدي الموهبة .. هذا ما أقترضه.
- تعرفين عدنان من فترة؟
- نعم.
- لكنه لم يحدثني عنك من قبل فهو يعمل معنا منذ سنوات.
- عدنان صديق قديم، كنت قد غادرت إلى أمريكا لأجل العمل وعدت منذ شهر والتقيته.
- "هل لاحظت تلك الـ (ماسة) شرارات الغيرة التي قذفتها عيوني عند ذكر علاقتها بعدنان؟ ولماذا الغيرة وقد بهنت علاقتي به وانكششت إلى حدود موظف في شركة زوجي؟! لعلها لم تلاحظ، فللنساء حدس حساس يلتقط غيرتهن.
- متزوجة .. يا ماسة؟
- كنت.
- هل عندك أطفال؟
- نعم .. ابنة .. (سلوانا)

- جديد هذا الاسم وله معنى قريب إلى القلب .. ربنا
يبارك .. هل تستطيعين أن تلخصي لي روايتك فيما لا
يزيد على خمس دقائق؟
- قصّتها عليّ بصوتها الجذاب، وكانت تؤدي بعض
المشاهد بمهارة ممثلة، وبالفعل جذبني غموض بطلتها
التي رأيتها فيها، كنت أثق انها قصة حياتها.
حييتها وطلبت منها أن تترك لي السيناريو مع
السكرتارية ورقم الهاتف للتواصل ..
حينما انطلقت من الباب منصرفه، أدركت أن وراء
ماسة قصة ليست بسيطة!!

مجئ وعد ووجد أخي خفف من ضغط الشغل الذي تكس فوق ظهري، فرضخت تعباً وصرت عصبية، احتجت أن أبتعد ولو لفترة قصيرة أسترد فيها أنفاسي التي كانت تلهث وراء حسين وأمي أمي نة، والشركات، ورحيل مايكل.

كنت قد وزعت المهام التي سيتكلف بها كل من وعد ووجد، وجد تولى مع عدنان شركة الإعلام والإنتاج السينمائي، وكلفته أيضاً بمتابعة دكتور صفوت في الإدارة والقناة التابعة لها، ووعد تحملت مع مايكل "حتى عودته" مهام شركات "الكوزماتيك والأدوية" .. طلب وجد مني أن يحضر زوجته، لكنني تحججت بأن العمل هنا في حاجة إلى تفرغ كامل وأنني سامنحه إجازة شهرية لزيارة أسرته ووالدي، أما عن وعد فقد وجدت في العمل حياة تأخذها من ماضيها وحبيبها. حجزت شقة في منطقة قريبة من بيتي ليعيش فيها وجد ووعد، فلقد رفضا أن يعيشا معي في فيلانتا ..

اتصل بي وجدي يوماً وطلب مني لقاءً عاجلاً لمناقشة أمور تخص القناة، كنت وقتها بالمستشفى؛ لذا طلبت منه الحضور إلى المستشفى لعرض اقتراحاته أمام حسين، الذي بدأ في التحسن وأبدى رغبته في متابعة أعمال المؤسسة، وربما أراد أن يطمئن إلى قدرات وجدي.

عرض اقتراحه عن التغطية الإعلامية لمظاهرات المثاليين علينا، وأنها ستكون لقطات قصيرة لكنها ستمنحنا فقرات إعلانية ستدر ربحاً طائلاً على القناة، لكنني رفضت وبشدة حتى ولو غطيناها بموضوعية، فمجرد الإشارة لتلك المظاهرات، هو في حد ذاته جريمة، رفضت ذلك وكان حسين يستمع في هدوء وصمت، لم يعلق لا بالرفض ولا القبول .. توجه وجدي بنظره إلى حسين ليسمع رأيه ولكن الأخير اكتفى بهز رأسه تأييداً لقراري .. وافق وجدي وانصرف لمتابعة مهامه ونظرت في عيون زوجي رأيت فيها اللامبالاة والانسحاب وكأنه وجد الملاذ أخيراً في الانعزال، لكن صمته أدهشني ..

سألني: أخبار أمي ؟

- لا علم لي حسين.

- كيف .. ألا تتابعين حالتها؟

- أعتذر.. اعتقدت أنك تسألني عن السيدة رنف؟

- لا .. بل أمي أمي نة .. حين أنطق اسم الأم ياعهد تأكدي أنني لا أقصد به إلا أمي أمي نة.

- هي بالطابق الأرضي .. منذ أحضرتها أدعو لها بالشفاء.

- لماذا لم تعرض علي حالتها؟ ماذا تخبئون؟

- لا شيء .. لكن المستشفى لم يهمل ولم يتخل عنها وقاموا بكل الفحوصات والإجراءات اللازمة لحالتها وبدأت الإشعاع.

- إشعاع؟ هل هو السرطان إذن؟
- نعم .. هم يبذلون أقصى ما في وسعهم لتحجيم الورم.
- هل تعتقدين أنها النهاية عهد؟
"الشعوري بالضعف وقلة الحيلة أمام القدر، تفرقت الدموع في عيني فلم أتمكن من أن أتحكم في رغبتني في البكاء .. هل كنت أبكي على مرض أمي نة واقتراب فراقها، أم كنت أبكي نفسي؟
ربما بكيت شعوري بالهموم وبأنني أخوض تحديات فاقت قدراتي"
حاولت أن أستجمع قوتي وأن أوقف دموعي وأن أسكت بكائي، فكممت فمي لأسمع نداء حسين..
- تعالي يا عهد اقتربي مني.
"جلست بجواره .. احتضنني وربت على كتفي وقبل جبيني".
صرح الأطباء بخروج حسين واستكمال علاجه في البيت، ورافقته إلى المصعد إلا أنه أصر على زيارتها قبل مغادرته المستشفى، وفشلت محاولاتي في منعه..
حين رآها تزاхمت الدموع في عينيه فلم يتمكن من منعها .. قبل يديها واستحلفها أن تقاوم وتعود إليه ..
كان طفلا يشعر بالضياح بعيدا عن حضن أمه، فجأة رأيت حسين الذي تجاوز الأربعين صبيا ضعيفا وحيدا لا حول له ولا قوة.
غادرنا المستشفى وعدنا الي بيتنا الذي جهزته تحت رعاية عدد من الأطباء لكي يكون مؤهلا لحالته،

اشترينا أجهزة للعلاج الطبيعي، وسريرا خاصا،
وكرسيا لتقلاته وغرفة ملحقة للتمريض، وتليفونات
للتواصل مع الاطباء بالمستشفى.

الضغوط والمهام التي أنهض بها كانت أعلى من
خبراتي واتخاذ القرارات لم يكن سهلا، فهناك قوانين
تتحكم في مصير الأموال ليست أغلبها تحترم القيم
والمعتقدات .. لم أكن متدنية ولكن لا أدرج نفسي مع
الشخصيات المطاطة التي تتشكل وفقا للمصلحة ..
أمنت أن ضرر البشر يجب أن يظل معتقلا في
"صندوق بندورا" ولا يسمح له أحد بالانطلاق، فاليوم
يكون الضرر واقعا على الآخر وبعد لحظات سيجرفنا
معه، لا شيء اسمه أننا في مأمن مادامت بين أيدينا
السلطة والمال، فلم يأمن أحد من الكيد البشري فما بالك
بالكيد الإلهي العظيم، حتى لو تم اتهامي بالسذاجة
لإيماني بالأمثال الشعبية أو بأقوال في الغيب يستحيل
إثباتها ولكن أمامي الأمثال ..

أين ذهب أغلب الزعماء والعظماء في الأدب والفن بل
والسياسة والكثيرين ممن انبهرنا بسلطتهم، واذا بالنهاية
تدعو للشفقة وبجبروت الإله .. هل منا من صدق أن
يظهر مبارك ضعيفا خائفا نائما على فراش ينتظر
قاضيا من عامة الشعب الذي كان ينظر إليه أنه لا
يقهر؟!.

فجأة أدركت أنني في عالم قد وضع كباره قيما
وقوانين على النقيض من كل القيم التي وضعها

الحكماء والفلاسفة والأنبياء للحفاظ على عالم، إلى درجة كبيرة، عادل .. نظيف .. يتجنب الاقتراب من الشيطان أو الانغماس في الرغبات، فهنا الرغبات .. هنا عالم الشهوات، أسميته بالوعة الصرف الصحي للإنسان، كل ما نسعى للتخلص منه للحفاظ على نقاء البشرية هنا.. هنا المكب الرئيس لكل الموبقات، إن كانت الفضيلة هي الوسط بين رذيلتين، وإذا افترضنا أن هناك تطرفا للفضيلة وهي تقع في أقصى اليمين، وأن هناك تطرفا للرذيلة، وهي تقع في أقصى اليسار، فأنا هنا أعيش أقصى اليسار لكن للحظات أو لساعات أو لأيام كنت أغمّي عيني عن كل ذلك .. حاولت أن أتهم نفسي بسوء النية والسذاجة وأن ما أعيشه هو العالم الطبيعي، وأنني أنا التي تحتاج إلى علاج واستشفاء من السذاجة، ألبست وجهي قناع القوة والذكاء لأجل مسمى .. قررت أن أتماشى مع تلك البيئة بكل معطياتها وأن أحاول بشكل بسيط بلا تعقيدات أن أنقي بعض القرارات مما أراه فجأ.

رفضت أغلب التسهيلات التي شعرت بأنها تحمل في طياتها أذى، بل وطالبت مجلس الإدارة عدم التصديق على أية مشروعات إلا بعد أن يتم عرضها علي.

هنا كنت أجتمع بإخواتي وعدد ممن أثق بهم حتى لا أستأثر بالقرارات وحدي ..

لم أقصي حسين، بل كنت أمدّه بملخص القرارات والمشروعات التي قدمتها في قائمة الأولويات

وأستشيريه في كل القرارات .. أحيانا كان يشاركني في التنظيم وأحيانا يرفض الاستماع الي أي أخبار عن العمل. قلقه على أمي نة أخذ بفكره وتركيزه ..

وهي أيضا بقلبها آلام، وجدت في بقائها بجانبه سعادتها وشفاءها، فلقد أصرت أن تقضي ما تبقى لها من أيام بجوار حسين؛ لذا أعدتها إلى البيت ونفذت رغبتها. كانت تقضي النهار معه ولا تغيب عنه إلا إن زاد عليها الألم .. وهو قد وجد في رفقتها الأمان.

اكتفى حسين في تلك الفترة بالمتابعة السريعة للشركات وفضل أن يقضي وقته في القراءة وصحبة أمي نة.. ربما شعر بالإرهاق، وافترضت أنه اطمأن لأنه نقل الأعباء لثقات مثل وجدي ووعد، ولكن كان بداخلي هاجس أنه يغرقني في أمور قد تحمل في ثناياها أذى .. لأنفض كل تلك الهواجس وأنكب على ما ظهر أمامي من مشاكل أو أعمال أنظمها وأديرها مرتبة كما ظهرت لي .. لن أسبق الأحداث وأتعامل مع كل ملف بأسبقية الظهور ..

جلست في المكتب أطلع على بعض المستندات التي تخص بعض المشروعات، حيث طرقت رزان السكرتيرة الباب واعلمتني برغبة عدنان في اللقاء بي.. سمحت لها بادخاله

دخل عدنان رحبت به وشارت إليه بالجلوس وسألته عن مشروبه تلقت رزان طلبه وتوجهت نحو الطاولة على يمين المكتب وصنعت له كوبا من القهوة

وخرجت، لم يتفوه بكلمة عن سبب حضوره طوال
تواجدها واكتفى بالكلام عن أمور عامة
- ربة أنت .. واحدة من آلهة مصر.

"يروق للنساء، كل النساء، المديح والغزل .. يروق لكل
امراة أن تشعر أنها الأجمل والأكثر أناقة وجاذبية في
عيون من تحب، لم أظهر له إعجابي بكلماته التي لم
أسمع مثلها منذ فترة طويلة لأقاطع قصيدته .. كنت قد
أحطت بعدد من الأمور، فلا براح لرمانية أو قصة
حب أطلت برأسها من الأمس، لكن لا أنكر أن للأمس
رائحة تشد مالها من ذكريات .."

- نعم عدنان .. طلبت مقابلي .. ماذا عندك؟ أعلم أن
لديك المهارة في ابتكار أفكار فنية وأثق أن معك
إحداها.

- قبل الحديث عن العمل، كم حزنت لأنك لم تسألي عن
حالي الصحية؟

- هل كنت مريضا؟

- نعم.. عانيت وتعبت جدا من الآلام التي هجمت على
جسدي، والحمد لله نجوت، لأيام رأيت الموت ليس
بسبب المرض فقط، ولكن بسبب وحدتي، كنت أحتاج
لرعاية أكثر من العلاج، الرجل منا يزهد في الحرية
حين يهاجمه المرض، يكتشف لحظتها أن البيت
والزوجة نعمة لا يشعر بقيمتها إلا مريض وحيد.

- سلامتك .. لا بد أن تفكر في الاستقرار والزواج،
لعله إنذار لك لكي تتوقف عن علاقاتك النسائية الكثيرة،

فتخمة الجنس كتخمة الأكل كلاهما يسبب أمراضا قد تكون مميتة.

- صدقت .. لقد جربت الألم لكن لم أجرب الموت .. هل عندك عروسة لي ؟

- لست في حاجة لأن يساعدك أحد في اختيار امرأة للزواج فلا شك أنك قادر على ذلك.

- اختيار زوجة هنا أمر ليس سهلا فأنا رجل شرقي التفكير عند اختيار زوجة.

- نعم؟

- الخيانات والحرية هنا يصعب معها أن تهدأ هواجس الشكوك والغيرة عندي.

- نعم .. لك مبرراتك .. الله يوفقك لإنسانة تستحق أن تحمل اسمك.

- الذي تحملني في مرضي هو مايكل.

- أخذ إجازته السنوية في وقت نحن نحتاج إليه جدا، لكنه لا يتخلّى أبدا عن دوره فبعد أن اطمأن على صحتك وصحة حسين فكر في نفسه .. شخصية نادرة.

- هو ما خرجت به من هذه البلد وأيضا حسين، وهو أيضا الوحيد الذي يقبل منه التغيب والاختفاء دون عقاب .. حسين ضعيف جدا فيما يخص مايكل.

- كنت تريد أن تحدثني عن أمر يخص العمل.

- نعم .. ماسة

(ماسة؟) "شيء من الغيرة النسائية الفطرية لمعت في عيني .. تمنيت ألا يشعر بها)

- قدمت لي قصة راقية لي، وأعتقد أنها أعطتك نبذة عنها، لكن يبدو أن لظروفك نسيت أمرها، لقد قرأتها وأعجبتني لذا أتيت لأناقشها معك .. ستكون فكرة لفيلم سينمائي تنتجه شركتنا .. ما رأيك؟
- أثق في ذائقتك .. لنعرض العمل على مستشاري الشركة ونرى ما سيتم وهي بالفعل قصت علي إحدى تلك القصص ولكن لانشغالي نسيت تماما. هي صديقة العمر .. جمعتنا الغربة والضياع .. عانت الكثير كما عانيت .. قهرها المجتمع فأخرج منها فعلا ماسة لا تنكسر.
- "أنصت إلى كلماته في اهتمام، فهي بالفعل تجبر من يراها أن يهتم بها بل وينشغل بغموضها"
- هل ضايقتك حديثي عنها؟
- نهائي .. حدد معها موعدا لتلتقي بـ "جودي" لنرى رأيها.
- اتفقنا .. عهد .. نضجت.
- أشكرك .. تحياتي
- أستاذك.
- تفضل.
- عهد .. هل تكرهيني؟
- لم أعد أشعر تجاهك لا بكره ولا بحب .. عدت إلى مكانك العادي.
- هل ترينني شيطانا؟

- أبدا .. ربما في بداية أزمتي معك لكن الآن أشفق عليك.

- تشفقين علي؟

- نعم .. فلقد غصت في عالمك وقرأتك جيدا .. انبهرت بك حين كنت فتاة ساذجة ثم كرهتك، ثم فهمت أنك واحد من البشر لست ملاكا ولا شيطانا، بل إنسان ضل عن القطيع ، كما يقول المسيح .. تجد راحة في عدم التصديق في وجود إله ورفض الكتب، تجد راحة في عدم الانتماء وعدم الالتزام، هروب من المسؤولية؛ اعتقادا منك أنها الحرية .. لا تؤمن إلا بنفسك .. لك مفهومك الخاص عن الحرية.. حرية التمرد .. حرية التكبر .. حرية الخيانة والخديعة .. فبما أنه لا عظيم ولا قدير فلا خوف ولا احترام ولا التزام .. هي الشهوانية بلا حدود، بكل معانيها، ليست شهوانية الجسد والطعام فقط، ورغم ذلك أنا أكاد أجزم أن في تهكمك رغبة في استمالة الآخرين وتعاطفهم مع تمردك حتى لا تكون في خندق الجحود وحدك.

"أحنى راسه ثم رمقني بنظرة حزينة وغادر"
شعرت براحة من نال ثأره.

اتصال تليفوني من أبي يطلب منا سرعة الحضور أو أن يحضر وجدي، فالأمور أكثر من معقدة بينه وبين أمي ، حاولت أن أفهم منه ما المشكلة ولكنه ألح في ضرورة الحضور أنا وإخوتي.

اتصلت بوعد ووجدي واتفقنا على السفر .. نزلت للاطمئنان على حسين الذي كان مستغرقا في متابعة بعض الأعمال لشركاته على (اللاب توب) .. أخبرته بمكالمة أبي، لم يمانع في سفري، ولكن طلب مني عدم التأخير.

معضلة أخرى طفت على السطح، إحساس أمي المفاجئ بسياج زواجها من أبي ورغبتها في خلعه والانطلاق .. رغبة مباحة ولكن لها وقتها وقوانينها، والسؤال الذي رافق تلك الرغبة، لماذا الآن؟ ولماذا عاد شعورها بأن أبي يخنقها؟

وجدت في فكرة نزولي مصر فرصة للابتعاد عن كل هذه الضغوط، ومنتفسا وإجازة ، لكن صعب جدا أن ننزل ثلاثتنا ونترك المؤسسة؛ لذا طلبت من وجد ووعد البقاء ومتابعة العمل، وأخبرتهم بأنني سأسافر لعدة أيام وأعود لهم بالخبر ..

سافرت، وكنت كتلميذ يتهرب من المذاكرة .. جلست أفهم منها وكنت بمفردي، سألتني أمي عن عهد ووجد .. أخبرتها بضغط العمل، فلا وقت لهما أن يتركا

المؤسسة وينزلا معي .. أنبت نفسي عنهما لأفهم ما الأمر واعتقدت أنني سأتمكن من إيجاد حل .. كانت أُمي ترواغ وتسرد أسبابا كلنا يعلمها، ولم تظهر فجأة ولكن إحساسها بها كان مختلفا، فكل ما يصدر عن أبي من تصرفات صار لا يطاق .. صار عبئا وفكره مُعولب، توقف عند زمنٍ ولى .. هكذا كانت دفاعاتها .. لأعود وأكرر عليها نفس السؤال: ما الجديد يا أُمي؟ ما الشيء الذي دفعك للإصرار على قرار الانفصال في هذا السن؟

لأول مرة أرى أُمي في حالة ارتباك وكأنها فتاة عشرينية ضُبطت تتحدث إلى شاب بكلام لا يليق بالعائلة ولا بفتاة شرقية من طبقة سمعتها أهم من المأكل والمشرب ..

- ألا يحق لي التمرد والتنفس بحرية؟ لقد أكملت رسالتي معكم وتحملت في سبيل هذا البيت الكثير والكثير.. أريد أن أخلع عني الخدمة وأرتدي حريتي.

- أُمي .. لا حرية لفرد قد تضر بالمجموع أو المجتمع، كلنا أحرار لكن في ظل قوانين تصوغها المؤسسة التي نعمل تحت اسمها، فهي التي تعرف مفهوم الحرية وهي التي تضع لها حدودا .. أنت كمن يقطن الدور الأول في بناية من عدة طوابق، أنت حرة في حدود عدم المساس بأساسات تلك البناية وإلا لو فرطت منا تلك الحرية ستنهدم فوقنا جميعا.

أنت أمي وأم عهد ووجدي، وزوجة لزوج لم ييخل ولم يقنط يوما، ربما له أخطاؤه ولكنها تستساغ مع المسؤوليات وانتقالكما إلى دور آخر اسمه الأبوة والأمومة.

- لستم صغارا حتى تحتاجوا إلى حضني أو وجودي
- من قال ذلك؟ حبيبتي .. أنت البيت والوطن، مهما غبنا سنعود لأنها الفطرة .. لن نضل في اغتراب عنكما طويلا، نحن فقط غارقين في بناء مستقبلنا كما فعلتما أنت وأبي.
- ومن قال إن بيتي سيغلق دونكم؟ البيت سيظل مفتوحا لكم دوما.

- وبعد الانفصال يا أمي أين سيذهب أبي؟ هل ستضعينه في دار المسنين؟ هل تقبلين أن يعيش أبي يتيما وأنت بعد حية؟
- إنه أباكم كما هو زوجي .. ليعيش معكم أنت تعيشين حياة طيبة وعندك المساعدون والموظفون .. تستطيعين أن تأخذه معك.

- معك حق .. نعم أستطيع أن أوفر له من يخدمه بل أيضا أوفر له زوجة مناسبة، لكن من يعوضه عنك وعن حبه لك وتعلقه بك؟ أمي، أنا لم أشك لك يوما ما بي ولكن أنت أحد أسباب قوتي وصمودي حتى الآن.. أقتدي بك في استماتتك في الدفاع عن بيتك وتحملك في سبيل ما كنت تسمينه مؤسسة مقدسة لا يجوز أبدا هدمها أو الاستهتار بها .. كنت وما زلت أفخر بك

وبأبي، ولولا تربيتكما والمبادئ التي ربيتنا عليها
لكنت في موضع آخر تماما، لا تهدمي كل ذلك .. نحن
صامدون لأن لنا أنتم .. أنتما السند والجدران الأربعة
الطيبة التي نحتمي بها.

"بكت أمي والتي لم أر لها دموعا إلا في العزاء
للقريبين من عائلتها .. بكت وقد حاولت أن تبتلع حلما
لمع وأضاء حياتها التي تم استهلاكها لأجلنا.

كان في داخلي إحساس ما بأنها في حالة حب، وحين
نترى على قيم معينة تتحول تلك المشاعر إلى
منغصات وتتحول تلك القيم إلى كراييج تلهب الضمير
والروح فلا نجد حلا إلا تقليل الخسائر في المبادئ إلى
أقل عدد ممكن .. وهي اختارت ألا تخون، ألا تخون
ربها ودينها، لذا فضلت أن تطلب الطلاق حفاظا على
شرفه.

هذا ما رأيته من دموعها ورنات الموبايل المستمر
ورفضها الإجابة؛ لذا ضعفت أمامها وأرحت بالها حين
عرضت عليها أن تختار ما تراه يسعدها، أما عن أبي
فأنا سأؤلى رعايته".

قالت أمي لي:

- كبرت عهد ونضجت .. أرى أمامي شخصية قوية
تتحدث بثقة، سعيدة أنا بك رغم أنك تقفين أمامي
لمحاسبتني.

- نحن نكبر حين نبعد عنكما مع أول خطوة بعيد عن
البيت .. نكبر، بل نشيخ.

- اعتقدت أنك سعيدة بما حققته من نجاح ومركز.
- طبعاً .. الحمد لله على كل منحة، لكن لا سعادة أُمي
مع أُم من نحبهم، كيف سأكون سعيدة وأبي يتألم
لوحده وشعوره بأنه صار عبئاً عليك وعلينا؟
ماما .. لا تتخلي عنه، لن يتمكن من أن يعيش بدون
وجودك في حياته، ربما لا يتحدث كثيراً عن حبه لك
ولكننا جميعاً نرى هذا الحب .. كيف لا ترينه أنت؟!
"دموعها كانت حيرة بين حبها لنفسها وحريتها وحبنا
وحاجتنا إليها، فأنا أعيش نفس المشاعر الآن .. حيرة
بين رغباتي وواجباتي، لكن من منا قادر أن يحسم
الخلاف أو يختار؟ فالأنانية لا تمنح السعادة.
- ماما.. لا أعتقد أن قرارك بالانفصال عن أبي
واختيارك لحررتك سيمنحك السعادة، فهذا الاختيار
معناه أنك تقتلين بابا وتتخلين عنا جميعاً فالحساب لن
يكون منصفاً، كفتا الميزان لن تكونا عادلتين.. سأترك
لك القرار والحرية كما تريدين وأثق أنك ستختارين
الأصلح.

"الجلسة الثانية كانت مع أبي الذي لم يطل النقاش، فقط
طلب مني أن أفهمها أنه بيته الذي أسسه وعاش فيه كل
ذكرياته منذ ميلادنا، وحبونا حتى كبرنا كيف يغادر
حياته وهو مازال حياً؟ قرارها بالانفصال فيه موته،
تستعجل نهاية أجله ولا يقبل أن يبيع بيت عمره .. قال
إنه تمنى أن يموت على سريرته وهي معه، رفض

رفضاً تاماً المغادرة أو البيع، حكى لي ماعرضته عليه أمي..

عرضت عليه ثمن النصف الخاص به لأن أمي لها أيضاً أسبابها في التمسك بالبيت الذي أسسته وعاشت فيه ذكريات الشباب وذكريات أبنائها .. مشكلة غير قابلة للمساومة ولا للتفكيك فهما مربوطان معا ولن يفك هذا الارتباط إلا بموت أحدهما، وهذا قرار إلهي لا رأي لنا فيه.

عرضت على أبي الرحيل معي إلى لندن حتى أتمكن من رعايته أنا وإخوتي، إلا أنه رفض؛ لذا عرضت عليه أن يغادر حتى ولو لفترة قصيرة وأن يتيح لأمي فرصة تجريب الحياة بدونه، وأيضاً فرصة أن يعتاد الحياة دونها وأن يعتمد على نفسه، قبل على مضض ربما لأنه شعر انه وأمي يسببان لي مشكلة ويمنعاني أن أعود لأتابع صحة زوجي .. طلب مني مساعدته على تأجير شقة بسيطة له بالقرب من أمي ربما تلين له يوماً وتعود .. حاولت إقناعه بأن يعيش في شقتي التي انتهت أمي من تجهيزها ولكنه رفض وصمم على شقة بالقرب منها.

نظراً لارتباطاتي تركت معه مبلغاً ليتمكن من استئجار شقة مناسبة وشراء الاحتياجات اللازمة، وطلبت من أمي أن تساعدني في ذلك ولا تنسى الفضل بينهما .. وافقت .. ودعتهما وعدت إلى لندن.

اجتمعنا، زوجي وإخوتي على العشاء، وتعمدت أن تكون أُمي أُمينة معنا على السفرة .. بعدنا عن التحدث عن المؤسسة أو أي شيء يتعلق بالأعمال أو الصحة. بعد العشاء طلب حسين أن ينفرد بأُمي أُمينة وأن يتركنا لأحاديثنا الأسرية، كانت لفظة راقية من حسين كما عودني.

جلسنا في غرفة المعيشة الملحقة بغرفة نومي بالدور العلوي والتي كانت شبه مهجورة لأنني أبيت مع حسين في الدور الأول لمتابعته ..

قصصت لهما ما حدث، وتحدثت عن مخاوفي فيما يتعلق بمرور أُمي بحالة قد تؤثر عليها، وأيضا ماذا لو كانت في حالة حب مع شاب يصغرها، والخطر الذي قد تتعرض له، فإذا بوعد تلومني لأنني لم أفرض علي أُمي مغادرة بيتنا، وأن تتركه لأبي لأنه هو المتضرر، وأنها هي التي تسعى للانفصال عنا لذا فهي التي يجب أن تغادر، ليلومها وجدي أخي: كيف لقلبك أن يسمح بأن يهين أُمي وأن تفكري في إخراجها من مملكتها، وخاصة أن أبي ملام أيضا على الحالة التي وصلت أُمي إليها، فلقد صار مملا وكئيبا ولا يريد أن يغير من نفسه وجعل من نفسه ضحية واستسلم للمعاش والبقاء في البيت بلا عمل ولا هواية ولا حتى علاقات، فصار فعلا قيذا يعيقها وعبئا؟ لماذا لا يفكر في عمل شيء

يشغله عنها ولو قليلا ويخفف من عدد ساعات بقائه في البيت، أحترم أمي لأنها وجدت ما يشغلها ويشعرها بأنها ما زالت قادرة على العطاء والحياة، أما هو فاكتفي بلعب دور الطفل الذي لم يفطم بعد وظل متعلقا بتلابيبها .. شيء ممل .. ما فعلته ياعهد كان إيجابيا وأحسنت، وأعتقد أن هذا القرار قد يفيدهما هما الاثنين وربما يعيدا حساباتهما، أما عن مخاوفكما فيما يتعلق باختيارات أمي، فأنا لم أفقد الثقة في راحة عقلها ومشاعرها أبدا.

"حركة غير عادية في البيت وصوت عال وصراخ دفعنا نحن الثلاثة للنزول السريع، حيث يجلس حسين مع أمينة، لأجد حسين في حالة انهيار وبكاء وصراخ، وتحرك العاملون بالبيت بالاتصال بالإسعاف لنقل أمي أمينة فهي في حالة تجمد بلا حركة.

موت أمينة كان نكبة على نفسية حسين، وكان سببا في انعزاله عن العمل لفترة وانحدار حالته الصحية، كان فرضا علي ألا أتخلى عنه وأن أفرغ لمتابعته، وتركت مسؤولية المؤسسة لأخي وجدي وفريق مجلس الإدارة .. نظرات حسين لي لم تخلُ أبدا من الامتتان والاحترام والحب .. الحب كما يشعر هو به وليس كما تمنيت أنا .. وعني قد اعتدت تلك المشاعر المتنوعة وتعرفت على أنواع جديدة من الحب ومدلولاته، أنا أيضا أحببت مايكل بشكل مختلف عن الحب الذي يحمل معنى الاشتواء، وأحببت حسين وارتضيت وجوده في حياتي

كأمر واقع وفرض من الأقدار، ولكنه كان فرضا لا يحمل أي شكل من أشكال الرفض، وأحببت فادي الذي ظل فكرة وحلما يلوح لي بالسعادة من آن إلى آخر دون تماس ودون تحقق .. هكذا استوعبت مشاعر حسين واحترمتها، وكان لزاما علي أن أحافظ عليه وأعينه على تخطي تلك العلاقات التي كما سرطان يهاجم الفطرة السليمة وتجرمها الأديان، وقد عاونتني جيوش من الأقدار لإعادته إلى الاتزان والوضع الطبيعي.

كنت ومازلت اوقن في قدرات الإنسان اللا محدودة على الإبداع، وعلى السيطرة على شهواته وجسده مادامت بداخله هذه الروح التي هي من روح الإله الذي تحدى بنا كل مخلوقاته.

أي حب؟! حمقى هم .. كيمياء جسدي تغيرت وشاخت
كما هرموناتى، والمشاعر مزيج من انجذاب قلبي
وجسدي للآخر، إن اعتل الجسد عرجت المشاعر
ونقصت وفشلت .. أنا امرأة تجاوزت الخمسين أعاني
من الهبات الساخنة وجفاف وآلام في العظم .. كل ما
أحتاج إليه هو التحقق الذاتي بعيدا عن الرومانسية
الجسدية .. أن أستمتع بلا أعباء ..
لا أنكر أنه أشار إليّ وضعفت للحظات، كان كما نسمة
رطبة في نهار صيفي، لكن أفقت سريعا، فأنا عشت
شبابي وأعطيت الكثير وفي حاجة للاستراحة وقليل من
الأمانات والمسؤوليات، أما علاقة جديدة وحب جديد
وخطط جديدة، فتحتاج مني إلى طاقة هي من الثقل
بحيث إنها ستكون عبئا وأكون أضحوكة أمام نفسي
والناس.

بسرعة نفضت عن قلبي تلك النزوة واسترددت نفسي
وشغللتها بمهام جديدة تليق بي .. أريد أن أستمتع
بالهدوء وإثبات ذاتي .. لا مزيد من الرجال .. يكفي
رجل واحد وتجربة واحدة .. الحياة ليست رجلا وامرأة
يعيشان فوق جزيرة معا .. لا بشر ولا قوانين، لا..
العالم غني، به أنواع عدة من الحيوانات ومن الإبداعات
والمتع .

أغلقت تلك القصة القصيرة جدا والتي لم يعلم بها أحد إلا أنا والبطل الذي اعتبرته ضيفا ظهر للقطعة وانتهى دوره ليدلني على أن الطرق متنوعة وكلها تؤدي إلى الحياة.

- عيب يا سلام لما تتهمني هذا الاتهام حتى لو كان بينك وبين نفسك، ما بيننا حب وعشرة وأولاد، تاريخ رائع بصعوباته ونجاحاته، والحمد لله أتمنا مهمتنا وأوصلنا أولادنا إلى بر الحياة بسلام .. نعم سنظل نقلق ونتابع ونشتاق إليهم وننصحهم لكن العبء الأعظم خف كثيرا، المشكلة أنك لا تشغل نفسك بما أهوى أو أريد، أنت تتعامل معي كأنني ربة بيت خارقة لا تتعب، لا تمل، لا تحتاج إلى طبخة .. امرأة بلا أحلام خاصة وأنت أيضا أرى أنك نسيت نفسك واكتفيت بدور الأب والزوج ولم تتأمل فيما يحبه سلام ماذا يهوى سلام؟ ما الموهبة التي لديه ويجب أن يشتغل عليها ويمارسها؟ إن كنت تعد أن سن المعاش هو مرحلة انتظار الموت فهو معتقد خاطئ .. مطلوب منا العمل والحركة حتى آخر نفس .. هكذا علمنا الرسول "ص" .. فلا معنى لانتظار موعد لم يعلن عنه الخالق بعد .. هناك مهام أخرى يجب أن ننشغل بها ومنها خدمة الناس والمجتمع .. هذا في حالة إن لم يكن لك أحلامك الخاصة التي تتمنى تحقيقها، عش للناس لتقديم الخدمات لهم لتسهل عليهم حياتهم .. استمتع ولا تقف منتظرا فالسكون موت

..

أنا صاحبت نفسي وسألتها ماذا تريد .. لماذا لا أشعر بالسعادة؟ وجدت الإجابة أنني نسيت أحلامي لذا استرجعتها، وها أنذا أستعيد نفسي، أشعر أنه ما زالت لي قيمة ودور بل أدوار لم تنته.

- هل أنا عقبة أمام أحلامك يا هدى؟

- لم أقل ذلك، ولكن حاجتك إلي وتفرغك الكامل لي لم يعد ضروريا الآن لأنني أريد أن أتحرك وأخرج وكلما خرجت شعرت بالذنب لأنني أتركك وحدك .. ينشغل عقلي بك، هل أكلت، هل أخذت العلاج؟ هل نسيت الغاز مفتوحا؟ هل نسيت الطعام على البوتاجاز؟ وكأنك ما زلت طفلا يحتاج دائما إلى رعاية من الآخرين.

- وهل هذه أسباب تدفعك لطلب الطلاق والانفصال عني؟ الزواج ليس علاقة مؤقتة مشروطة بالأولاد بمجرد الانتهاء من تربيتهم ينتهي العقد ومن حق أي طرف أن يخلع من البيت، لا .. لا يجوز ياهدى .. الزواج رابطة تجمعنا شبابا وعجائز، كما تشاركنا في الصحة نتشارك في الكبر لأن حاجتنا لبعضنا لن تنتهي لأن طرفا له رغبات لا يحسها الآخر، أنا، كما قلت من قبل، تاريخك وذاكرتك وضميرك، ليس سهلا أن تعيشي بلا واحد منها، وأنا خفت عنك الأعباء وتركت لك الحرية في الحركة والسفر، وإن كنت أصحبك فهو خوف عليك ورغبة في حمايتك ليس أكثر، وإن كانت صحبتي تضايئك فسأدعك تتحركين وحدك، ولكن دعي لي القلق عليك، فهو أمر ليس بيدي، فأنت أغلى وأثمن

من أن أفرط فيك وأتركك بلا حماية، ولكن لا تقلقي
فأنا لن أتململ، أرجوك لا تهدمي بيتنا .. مؤسستنا.
- دع لي وقتا وفسحة أعيد فيها التفكير .. أحتاج أن
أعيش وحدي فترة لنحسبها إجازة زوجية.
- لن أضغط عليك .. سأترك لك الوقت ولن أطارذك.
" نهض من كرسيه واتجه إلى الباب ليلتفت إليها قائلاً:
- هدى .. اتصلي بي من وقت لآخر، فلا أستطيع أن
أنام أو استريح إلا بعد أن أسمع صوتك في البيت،
أحتاج أن أأتنس بك .. أدمنت تلك العادة لأكثر من
ثلاثين عاماً.

"عيناه كانت تترغرغ بالدموع وكأنه كان يودعها"
أوشكت أن تتأديه وتطلب منه أن يبقى معها، لكنها
كانت ممزقة ما بين اشتهاؤها للحرية والراحة من
المسؤوليات، وخوفها عليه.

تقاربنا أنا وماسة التي كانت تضج أنوثة، امرأة قرأت إمكاناتها جيدا، فعرفت كيف تكشف عن أماكن أنوثتها وترتدي ما يبرز هذه الأنوثة .. في صوتها ذكر بصوت أنثوي أو صوت ناعم تتخلله خشونة ذكرية كما مذيغات النشرات الإخبارية، زاد من تلك الخشونة شرها للتدخين

.. تقابلنا بعيدا عن الشركة في أحد (الكافيهات) كأصحاب يجمعنا السن والهواية وفضول في داخلي أن أفهم هذه المرأة..

كانت تصلي بلا ركوع أو سجود .. تتحدث إلى الله في جراحة وكثيرا في ضعف، قالت لي إنه سندها الوحيد في هذه الحياة .. لم تجرب يوما أمان الأب ولا حضن الأم وكأنها جاءت عن حالة قئ وليس حملا لتسعة أشهر، فولادة، فريضة تذيب قلب الأم في وليدها .. لفظتها أمها لأنها جاءت حاملة ملامح أبيها ورغبته وميوله، ورفضها أبوها لأنها تحمل جيناته التي يبغضها في نفسه. كانت تصلي دائما حتى حين تتحدث عن علاقاتها، تؤمن أن كل ما خلقه الله جميل ومقدس حتى الجنس، ولقد وعى المصريون القدماء ذلك فقدسوه ورسوموا زهرة اللوتس وعبدوها لأنها ترمز لمنبع التناسل والجنس وهو منطقة المهبل.

حين ادعيت أن الجنس يجب ألا يكون مركز تفكيرنا وفي
ربطه بالحب، أجابتنى بأن الحب والجنس وجهان لعملة
واحدة يتواجدان معا ويحيا معا ويموتا معا، عشق الروح
هذا أكذوبة، إن أحببت فسأذوب في جسد من أحب،
ألتهمه .. ألعهقه .. وأنها كانت تشعر أنها في حالة عبادة
حين تقابله في علاقة حب جسدية ولا بد أن تعيش الحالة
بكامل بهائها، لتتزلق قطرات من عينيها لأنها تذكرت
حبها الوحيد ..

- هل تعلمين يا عهد أنه مات حبا في؟!!

نعم .. لم يصدق حبي، استكثر سعادتنا ونحن معا .. كنت
أخلع كل أرديتي وأعلن أننا حواء وآدم وبيتنا هو الطبيعة
.. لا أرى إلا هو وأنا فقط .. كنت لا أشعر إلا به،
يسكرني حين نتلامس .. أغيب عن العالم حين أرتمي في
حضنه لتنتب في أحشائي سلوانا .. كانت وليدة الحب
عهد .. في ليلة حب سكرنا ونحن على اليخت الخاص
به، كان يحدث السماء فرحا .. دار كما درويش في حالة
عشق إلهي مرددا (أحبك ربي وأحب صنيعتك .. أحب
حواء حتى وإن أخرجتني من جنتك .. أحبك ماسة)،
لتنزلق قدمه ويسقط في المحيط .. ألقيت بنفسي وراءه
ولكنه راح في غيابات اليم، وما زلت أصلي، أطلب منه
في استماتة أن يقلص عمري حتى أعود إليه حتى ولو كنا
سنجتمع في الجحيم.

- لكنك أخبرتني أنك منفصلة.

- نعم منفصلة لكن من زوجي.

- لا أفهم .. كيف؟ هل سلوانا ابنة زوجك أم حبيبك الذي مات؟

- سأعترف لك، أنت وعدنان فقط اللذان يعرفان سري وطبعاً بابا سلوانا ..

حين توفي مجيد، لم أكن أعرف أنني حامل، عشت أياماً غائبة عن الوعي لكنه غياب متعمد، كنت أشرب وأسهر وأرقص لأنسى، لألتقي بسامح، شعرت معه بالأمان، كانت علاقتنا علاقة صداقة، احتواني وساندني، لم تستمر صداقتنا أكثر من شهر، ليعرض علي الزواج .. أقسم لك إنني تزوجته دون أن أعلم أنني حامل حتى أنني لم أنتبه لانقطاع الطمث، اعتقدت أنه بسبب إهمالي في الأكل وضعف جسدي، لأكتشف الحمل، بكيت .. بكيت حبي الذي مات وطفلي الذي يسكن بطني ويحمل جيناته وأكد ملامحه أو بعضها .. كنت في حيرة ماذا أفعل، هل أعترف له؟ كلمت ربي وصرخت، حدثته بكل صدق وإيمان أن يريحني مما يضعني فيه من أقدار لا أختارها .. فكرة أن أتخلص من الجنين كانت مستحيلة، فأنا أريد أن يكون لي بعض من مجيد ولكن لا أقبل أن أخون سامح؛ لذا فضلت الاعتراف له .. كان كما اسمه، سامحني وقبل أن يكتمل الحمل طلب مني الاعتزال وأن أعيش لهما .. قبلت. كان ذكياً فلقد سامحني ليتيح لنفسه فرصة، كما نقول واحدة بواحدة، يسامح في علاقتي بمجيد في المقابل أن أسامحه في كذبه علي أنه زوج وله من الأبناء أربعة ..

ملأ من حياة العذب التي عشتها وأملأ في حياة مستقيمة
يقبلها المجتمع، ورغبتي أن أضمن أبا لابني أو ابنتي،
قبلت، في البداية كنت في حالة استسلام وزهد غريب،
إلى أن وهبني الله سلوانا .. صرت أنحني لكل ما يبعث
به القدر لي، كنت أستبدل ابنتي بأي اختيار، حتى لو
كانت حياتي، صارت كل ما لي في هذه الدنيا، على
استعداد أن أذبح نفسي وأنا في كامل الرضا مقابل
سعادتها .

سلوانا خرجت طفلة غير عادية .. عانت من التوحد
وتعرضت لحالات من الصرع، كنت أعاقب نفسي بأنني
أنا السبب، أرجعت مرضها إلى استهتاري أثناء حملي
بها، كنت أشرب كثيرا وأدخن سعيا إلى الموت، لتخرج
هي تعاني من إهمالي واستهتاري .. وفي كل لحظة أكفر
عن ذنبي بأن أكرس كل لحظة لها ..

بعد ذلك وكما اعتدنا في العلاقات، تنطفئ جذوة العشق
في قلب سامح ونعيش كزوجين شرقيين أصاب حياتهما
الرتابة والملل، وقبلهما الغيرة والكيد من الزوجة الأولى
وأولاده؛ لذا اكتفيت وانفصلنا وعدت إلى لندن بمساعدة
عدنان الذي ظل صديقا وراعيا لي ولابنتي.

- حياتك مليئة بالإثارة والتشويق .. فعلا تستحق أن تكون
فيلما سينمائيا .. بها من الأحداث ما لا يُصدق.

- الحياة أكثر غرابة من أي فيلم هندي عهد .. وما يحدث
على أرض الواقع كثيرا ما يرفضه العقل العادي.

- صدقت .. أنا نفسي أحيانا أقف غير مصدقة للانقلاب الذي تعرضت له حياتي.

" كنت أستمع إليها مستمتعة بكل جملة وعبرة تنتقيها".

- لا يربطني بالحياة إلا خوفي على سلوانا، إن سلبها مني القدر يوما فأقسمت له إني سألحق بها انتحارا فلا شيء يربطني بالحياة إلا هي، ابنة الحب.

"ماسة لم تحب عدنان .. لم تحب إلا والد ابنتها، ذلك الثري الفيلسوف الذي قتله العشق، وفقد عدنان بوصلة الحياة بعشقه لماسة التي كانت حبه الوحيد كما علمت .. أدركت لم عشق عدنان ماسة .. لا أدري لم كلما رأيتهما ذكرتني بالهة الحب عند الفينيقيين، ومن أنا لأقارن بالهة للحب إن كانت هناك آلهة له، لهذا أسرت عدنان، ألفت عليه بسحرها أو لعنتها ولم يشف من حبها حتى الآن .. ظل يتردد إلى معبدها يطلب الغفران أو الشفاء منها ويعذبه ذوبان ماسة في ذكرى حبيبها، ليكتفي بحضورها والاستمتاع بتواجدها بلا تماس".

كتبت ماسة قصتها في حوار راقٍ جميل يحمل من الشعر أصدقه ..

أخبرتها أثناء لقائنا أنني طلبت من مستشاري المؤسسة أن يضعوا روايتها في أولويات الإنتاج لهذا العام وأن يبدأوا في اختيار المخرج والممثلين سريعا.

رأيت في عينيها امتنان وسعادة لأنها ستري عودة الروح إلي حبيبها، حتى لو كان في صورة بطل الفيلم.

فضل جودي، المسؤول الفني في المؤسسة أن يتم عمل سيناريو للرواية وتحويلها إلى عمل مسرحي كبير، وأن يتم ترجمته إلى الإنجليزية، وأن يعرض ثلاثة أيام بالإنجليزية ويومين باللغة العربية. وافق الجميع على هذا الاقتراح، وطلبت منهم منحي الوقت حتى أعرض المشروع على حسين، ليفاجأني جودي أن ماسة تماطل في توقيع العقد، وهذا شئ غير متوقع .. شككت أنها قد تكون وجدت شركة ستدفع لها مبلغا أكبر؛ لذا فضلت التواصل مع عدنان لأفهمه ماذا تريد.

استدعيت عدنان، الذي دخل وفي يده فنجان قهوة الصباح، طلبت منه الجلوس وسألته:

- لماذا تتردد ماسة في كتابة العقد يا عدنان؟ ولماذا ألاحظ عليها الشك والقلق، هل هناك بند في العقد لا يروق لها؟

- كيف لم تفهمي شخصيتها بعد تقاربكما؟ ما تعرضت له ماسة منذ صغرها جعلها كثيرة الشك، لا تثق في الناس بسهولة، بل وجعل منها شخصا ذا عقل حاسوبي مادي..

- متناقضة جدا .. أنا رأيت الجانب الرومانسي المحب .. المضحى .. رأيت الأم والحببية وتغافلت عن سيدة الأعمال.

فجأة تطرق رزان الباب وتخبرني برغبة ماسة في مقابلي .. طلبت منها أن تنتظر خمس دقائق .. سألت عدنان عن رغبته في أن يتواجد أثناء حديثنا، لكنه فضل الانتظار في الاستراحة حتى الانتهاء من لقائي بها.

دخلت ماسة، رحبت بها وطلبت منها الجلوس .. أخرجت علبة السجائر من حقيبتها وكنت أبحث في الدرج عن نسخة الرواية .. أشعلت سيجارتها، فنهيتها عن التدخين في المكتب .. أطفأت السجارة .. كانت حركاتها تحمل مدلولاً واحداً وهو الخوف .. - ما الذي يشغل بالك ماسة؟ هل المبلغ الذي عرضناه غير كاف؟

- فكرت جيداً ووجدت أنني لا أريد أن أحول العمل إلى فيلم أو مسرحية، سأكتفي به كتاباً مطبوعاً.
- ألا تدركين الخسارة التي ستخسرينها بقرارك هذا؟
- فكرت وأدركت أنني أرتكب جريمة في حق ابنتي .. تربت سلوانا ولها أب، هو سامح، وأعلم مدى ذكاء ابنتي لو شاهدت هذا الفيلم، لا أشك للحظة أنها ستكتشف ما أخفيته عنها ولا أريد أن أعقد حياتها فيكفي ما سببته لها باستهتاري من أمراض، ولن أقبل أو أسمح أن يعيرها أحد بتاريخها .. ما ذنبها أن أعري سواتها لمجرد رغبتي في التآلق وتخليد قصة حبي؟ ما ذنبها أن يعيرها الناس بتاريخ أمها؟!
- ومن أين لها أن تعلم أنها قصة والديها؟

- لم أخف عن ابنتي أيا من خطاياها أو حسناتي، أخبرتها بكل ما مررت به من نجاحات وسقطات .. أردتها أن تعلم أننا بشر وأن الله حين يعرضنا لاختبارات شديدة، فهو يريد أن يصقلنا، فهكذا تشكل الحديد والذهب، فلا بد أن نعرضها لنار شديدة .. هكذا تصنع المعادن الثمينة ذات القيمة .. لولا حرمانني من حضن الأم وأمان الأب، ولولا معاناتي، لما خرجت ماسة .. كذب من قال (فاقد الشيء لا يعطيه)، بل من حُرِمَ من الشيء هو الأقدر على معرفة قيمته ومنحه للمحرومين منه، لأنني كنت عطشة لأمي ، أقسمت أن أُنح ابنتي أما دائمة، ولأنني حُرمت الأمان، عاهدتها أنني أبدا لن أعرضها لعدم الإحساس بالأمان.

- اسمعي ماسة .. نحن صرنا أصدقاء ولن أضرك، وسهل أن نعالج هذه المشكلة .. ما رأيك أن توقعي العقد باسمك وأن يصدر العمل المسرحي والسينمائي باسم مستعار إلى أن تظهر التجربة، فإن أثرت بشكل سلبي على ابنتك، فلن نخسر شيئا، فهي رواية لكاتبة لا تعرفها، وإن نجحت التجربة ولم تتضرر منها سلوانا، أعلننا أنها من إبداعك.

- لا مانع عندي .. سأسأل المحامي وأرد عليك. ابتسمت في عطف، فهي لم تتخلص بعد من الشك والتخوين.

عدت إلى بيتي، دخلت إلى غرفة حسين للاطمئنان عليه، كان جالسا بيده كتاب وبجواره على (الكومود) فنجان من القهوة فارغ .. ناولته السيناريو، سألني: - ما هذا؟

- رواية راقت لي ولمستشاري المؤسسة، أحضرتها لأخذ رأيك، فلقد كان هناك اقتراح جماعي لتحويلها لعمل مسرحي مترجم.

- هل بها ملخص للسيناريو؟

- نعم.. فكاتبته سجلت الرواية صوتا لتوفر عليك القراءة ومعها الكتاب إن فضلت أن تقرأ.

- أنا جائع عهد وأنتظرك لنتناول الغداء سويا .. هيا إلى السفرة.

قرأ حسين سيناريو ماسة وحدثني عن رغبته في أن يسند لي مهمة إخراج هذا العمل..

- وعدتك أن أقدم لك عملا تقومين بإخراجه، وبخبرتي لن أجد أفضل من هذا العمل، سيكون انطلاقة لك، لن يخرجك غيرك.

- لكن .. حسين أنا لم يسبق لي أن أخرجت من قبل ولم أنه دراستي بعد ..

- لا مشكلة .. باقي لك (كورس) واحد وتنتهين من الدراسة .. دعي أمور المؤسسة، فهناك كفاءات تديرها تحت رعايتي وأخوانك ولتنتهي أنت من موادك بعدها، ستكون أول أعمالك، وأنا واثق في قدراتك عهد رغم صغر سنك تحملتي مسؤوليات عديدة ومتشعبة ولم تشتك أو تعلمي هزيمتك .. وعندك الموهبة والتعامل مع الكأمي رات.

سأرشحك لورشة مكثفة لأحد المخرجين المسرحيين في لندن حتى نكتف خبراتك..

نهضت من مقعدي لأطبع قُبلة على جبهته وخذه امتنانا وشكرا .. بدأ حسين في التحرك ولكن ما زالت حركته غير متزنة، لكنه في طريقه للتعافي..

كنت قد دعوت ماسة إلى بيتي لتلتقي بحسين في جلسة نقاش حول الرواية، ورغبة مني في أن أقربها من أسرتي لعلمي أعوضها عن عائلتها التي حرمت منها. بالفعل جاءت ومعها باقة زهور، قدمتها إلى حسين بالمبدعة الكاتبة الجميلة ماسة، وأنها ستكون سيناريسست مختلفة ومميزة.

رحب بها حسين ودعاها للجلوس، لكن لفت نظري أنها غيرت من نغمة صوتها مرققة له ورفعت صدرها بحركة انثوية وكأنها تعمدت أن تلفت نظره إليه .. توجهت للطاولة التي تجاور سرير حسين الذي أغلقته بزر كهربائي لتتحول الغرفة إلى مكتب، لأعد لهما بنفسي القهوة.

رفع حسين يده ووضعتها على فمه موجهها نظرات
لماسة أنه يحاول قراءتها وحركاتها، لتعتدل هي في
جلستها لأنها وعت أن نظرات حسين إليها تحمل الكثير
من التلميحات التي لم ترق لها ..

عدت وجلست معهما بعد أن قدمت لهما القهوة ليبدأ
حسين في إدارة الحديث:

- الرواية رائعة وبالفعل تحويلها لعمل مسرحي سيكون
مشروعاً فنياً ناجحاً إن توفر له الإنتاج الكبير، لكن
السيناريو في حاجة لإعادة صياغة ليتناسب مع الثقافة
الإنجليزية.

"كانت نظراتها في عيني حسين تخترق عقله ورغباته،
وهو احترام وجودي ولأنه رجل أعمال اعتاد أن يحجم
العلاقات ويستفيد منها دون خسارة تذكر.

استمر اللقاء أكثر من ساعتين ما بين الحديث عن
مشروع المسرح وبين أسئلة تبادلناها نحن الثلاثة لفهم
شخصية ماسة، ومن جانبها حاولت أن تستخرج من
حسين ذكوره.

ناديت على السائق ليقوم بتوصيل ماسة إلى بيتها
وعدت إلى حسين لأعرف منه انطباعه عنها..

- ما رأيك حسين؟

- هذه المرأة ليست بطيبتك ولا بساطتك وجديتك.

- هل هذا مدح في أم ذم فيها أم العكس؟

- أنا لا أذم ولا أمدح .. اعتدت أن ألتمس الأعذار
للإنسان، فنحن ضحايا بيئة وجينات وهي مسكينة أنبتت

في كفيها مخالب لتحمي نفسها .. ماسة لديها اعتقاد أنها تعيش في غابة، وكامرأة وسيلتها لتدافع عن نفسها هي أنوثتها ومكرها، لكنها ككاتبة مبدعة .. هل هذا عملها الأول؟

- نعم

- سيتضح إن كانت بالفعل موهبة أدبية أم لا إن واصلت إبداعها وارتقت كتاباتها للأفضل أو تكون روايتها مجرد ضربة حظ وإلهام وقتي ارتبط بقصة حياتها.

"رنات على الموبايل، كان أخي وجد، طلب مني أن يلتقي بي لأمر هام وألا أخبر حسين عن هذا اللقاء، ليسألني حسين عن المكالمات، أخبرته أن الموضوع يتعلق بأبي وأمي.

أخبرني حسين برغبته في عمل زيارة للمؤسسة لإلقاء نظرة وأيضاً للخروج من البيت ورؤية الناس والطبيعة، فأخبرته بأنني سوف أنسق له تلك الزيارة وسألته الإذن في الذهاب إلى وجد لمعرفة المشكلة.

هل كنت تعلمين بما يجري في المؤسسة من أعمال غير شريفة عهد؟

- ماذا تقول وجد؟ ماذا تقصد؟

- الحفلات والسهرات التي يسمونها لقاءات فنية.

- هل لاحظت تصرفات تسمى للمؤسسة أو لي؟

- قبل أن أكون موظفا في تلك المؤسسة، أنا أخوك الأكبر.. أعرف جيدا أنه مهما كانت درجة طموحي فلن يصل إلى ما وصلت إليه من راتب يحلم به أي إنسان .. حاولت أن أجد مبررات لعالم الميديا والفن هنا لكن لم أتصور هذه التجاوزات؛ لذا فضلت أن أطلعك على كل ما اكتشفته وأعلمك بقراري أنني أفكر في العودة إلى القاهرة .. أحتاج إجازة لأرى زوجتي وبابا وماما .. وأيضا لأعيد حساباتي ..

- كما تحب .. سأمنحك إجازة فأنت في عمل مستمر منذ قدومك ولم تتحصل على إجازة حتى الآن .. ولن نتكلم إلا بعد عودتك، والآن لخص لي ما اكتشفته .. قل لي ما الأمر؟

" أخبرني وجد بأسرار صعب علي استيعابها، على الرغم مما دارا داخلي من هواجس وشكوك أن هناك ما يدار في تلك المؤسسات أكثر مما ظهر لي، منها فرع في المؤسسة يؤهل متدربينه على العمل كمديري أعمال للفنانين ولكن إدارة أعمال ليست في الفن فقط، ولكن

أعمال لتأجير الموديلات للأثرياء وأيضا لعمل زيجات بعقود صورية وتترجح منها المؤسسة بنسبة ربحية عالية، كل ذلك للوصول إلى النجومية والعمل في السينما والإعلام، وتضمنت تعاقدات لزيجات للمثليين، ثم عرفني على أعمال تخص تجارة المشروبات الروحية.

ترك لي وجد فلاشة عليها كل المعلومات التي ستمدني بما أريده، لكن طلبت منه مواصلة عمله إلى أن أتخذ قرارا ربما قد يغير من نظام المؤسسة.

عدت إلى بيتي لألتقي بحسين الذي كان معه السيد صفوت، أحسست أنه حضر إليه ليعلمه بما دار بينه وبين وجد، رحبت به وسألته عن أخبار المؤسسة وارتجلت أسئلة عن المؤسسة وعن رأيه في السيناريو الذي سيتم إنتاجه قريبا ثم تركتهما بعد الاستئذان وصعدت إلى غرفتي لأخذ حمام ومشاهدة الفلاشة على (اللاب توب) ..

كانت فظائع بالنسبة لي، لم أكن أتصور أن هناك وجودا لهذا النوع الانتهازي المادي من البشر، فلقد أدركت أنني هبطت بأرض ما زالت بها تجارة للرقيق بل والتجارة في كل شئ له زبونه ..

رن الهاتف، كان حسين يطلب مني النزول، أخذت الفلاشة معي حتى أفكر في طريقة أو مكان لأخفيها فيه .. بدأ حسين حديثه بذكرياته عن طفولته وكيف كان وحيدا تركته أمه وانشغل عنه أبوه بالعمل، فلم يجد

حوله أحدا يلقيه مع الطعام تلك القيم والموروثات التي يتعلمها أي طفل تربى بين أمه وأبيه، ليتلقى تربية وضميرا مشوشا تشرب مع ذلك السائق البنجالي والذي تحرش به وتعلم منه الحب وأجج الشهوة في جسده على خارطة ابتدعها هذا البنجالي معه، ليتعلم أن الحب بين أفراد الجنس الواحد أسلم وأمن، فإن عاشر فتاة قد تحمل منه وسينتج عنها فضيحة ثم التزام لن يناسب سنه ولا اسم أسرته .. لم يشعر به والده الذي غرق في (البيزنس)، ولكن أرسل الله له أمينة التي أحضرها له أما بديلة عن أمه التي تخلت عنه في سبيل أحلامها الخاصة، ولكن تدخلت أمينة بعد فوات الأوان، فقد كان قد أدمن العلاقات المثلية واستمتع بها وزهد في المرأة، خاصة أن ذاكرته مع النساء كلها ألم، فالأم غادرتة والحببية خانتة .. لم يكن له أهل ولا إخوة ولا أخوات، والأب كبر في السن وبعد عن فكرة الزواج حتى لا يكرر تجربته مع أمه رهف، ثم مرض أبوه وتولى هو المؤسسات وكان في سن صغيرة لم يكن قد تخرج في كليته بعد، وتعرض للكثير من العقبات والتي كان يتم تذليلها عن طريق علاقات صفوت وعقليته الفذة، وكذلك عن طريق أزيد وأذرعه التي تتمدد في كل المؤسسات .. كانت أمينة هي ضميره الذي يقرعه عند كل خطأ وكذلك مستشارته في تقييم بعض الأعمال ومدى حرمتها، ولكن لم تجد له البديل الحلال في أغلب المشاكل ليغرق في العمل ويحصد نجاحات حسده عليها

كل رجال الأعمال العرب، إلى أن استقر في لندن، ولكي يستمر في هذه المدينة العظيمة، كان لا بد له أن يلتزم بقوانينها ومعاييرها التي تختلف في كثير من الأحيان عن معايير أمانة.

- هل تعلمين يا عهد أنني ما كنت لأظلم إنسانا أو أقطع رزقه، لم أسبب أذى إلا لنفسى، ما عملته من حفلات وعلاقات كلها كانت لأجل إنجاح المؤسسات، وما نقوم به لا يجرم هنا في ظل قوانينهم ولا يعد فاحشة، هذه كلها علاقات اجتماعية ولزوم العمل .. أنت زوجتي ولا أستطيع أن أتركك تكونين صورة مشوهة عني. أنت الآن أهم إنسان في حياتي .. رحلت أمانة وبقيت أنت، صورتها بشكل أكثر إيجابية وقوة، أنت كل أهلي لا أتخيل عالمي دونك، وإن كان عمك في المؤسسة سيخرب علينا حياتنا فدعك من هذا العمل وتفرغي لي ولعمك كمخرجة فقط ودعي كل هذا لشركائي.

- حسين .. حياتي كانت بسيطة جدا، سهلة، كانت كلها تفاهات إن قارنتها بما اختبرته هنا، حتى حينما ارتفع سقف طموحي، كان حلمي أن أكون مخرجة تقدم أعمالا ذات قيمة وإن سنحت لي الفرصة لأن أعمل كممثلة سأتحري أن تكون أعمالى خالية من أي ابتذال، لأكتشف سذاجتي وأن ما كان بالأمس هو الجنة وأننى الآن أعيش الجحيم، هو الجحيم ما نحن نعيشه هنا .. جحيم يا حسين، خيالى كان أضيق من أن يستوعب ما عشت.

- ألتمس لك كل الأعذار، ولكن نحن بشر لسنا ملائكة وأنت لم تكوني ملاكا، لقد اخطأت وتجاوزت عن خطئك لأنني لست إلها ولأنني أفهم جيدا طبيعة البشر واخترت ألا أحكم على أي إنسان بالشيطنة إلا بعد أن أفهم ظروفه وبيئته واحتياجاته وقدراته.

أعرف أن لك تجربة فاشلة قد تكون قصة حب وخذلان، أبدا لم أواجهك ولم أفكر في أن أسألك من هو لأنها تجربة في زمن لم أكن في حياتك، ولمست بنفسي إخلاصك ونسيت .. نسيت تلك التجربة ولم ألومك أو أتهمك لأنني أنا وحدي الذي ثمن معدنك وقيمتك بشكل صحيح.

"كنت غارقة في عرقي وخجلي مع كل كلمة خرجت من فمه وقلبه، وزاد هذا الموقف من بغضي لعدنان لأنه وضعني في هذا الموقف .. اكتشفت أنني ضعيفة وأردت خطبا ونصائح أنا نفسي انتهكتها ولم أحترم جسدي وعقلي وقلبي .. أدرك حسين بذكائه وسماحة قلبه ما دار بداخلي ليهون علي جلدي لذاتي".

- عهد .. تعالي اجلسي جانبي أريد أن أشم عطرك .. أريدك قريبة من جسدي كما أنت قريبة من قلبي وضميري.

"تقدمت بخطى خجلة لأجلس بجواره، ليمسك بيدي مقبلا لها .. وربت على كتفي..

- أنا لست إلها لكي أنصب لك الميزان لم أقصد أن أهاجمك أو أتهمك، لكن كل ما أردته أن تترفقي بي

وبنفسك وبالبشر، كل ما كان قبلي لا حق لي في محاسبتك عليه، حتى وأنت زوجتي، أترك لك حرية الخطأ والرجوع وأنا أثق في ضميرك ..

اتصلي بوجد ادعيه على العشاء غدا لنتحدث ونناقش كل الأمور التي تصعب عليكما، وسنصل إلى حلول نقبلها جميعا .. ليتك تدعين أختك وعد أيضا لأناقش معها بعض الأمور التي تتعلق بعملها.

- سمحت لوجد بأخذ إجازة، سيسافر لرؤية أولاده سادعوه عند عودته من الإجازة، هيا لأساعدك في العودة إلى الفراش لتستريح وأنا أيضا سأصعد لأنني في حاجة للراحة.

نهضت من نومي .. فتحت الستارة لأشاهد شروق الشمس .. تأملتھا وكأنني أراها لأول مرة .. ترى هل تراقبنا؟ هل حين تلقي بأشعتها، تسجل علينا تلك الفضاء التي نرتكبھا؟ هل تشهد على شرورنا؟ تظل بعيدة تمنح الدفء والنور وربما المراقبة.

برقت أمام عيني صورة لماسة لا أدري لم، لكن إحساسي أنني كنت في حاجة أن ألتقي بها أحيانا، بل كثيرا ما يفكك لنا القدر الكثير من الأحاجي التي يستعصي على عقولنا فهمها .. كل المشاكل لها حلول ربما إن التقيت بماسة قد أجد حل اللغز ..

اتصلت بها ودعوتهأ إلى الفطور بأحد (الكافيهات) القريبة لمناقشة الرواية .. قبلت الدعوة.

التقيت بماسة في أحد المقاهي القريبة من المؤسسة، لم يكن اللقاء رسميا، بل كان وديا، كنت أبحث عن إنسانة لديها خبرة في أمور مشابهة لما أتعرض له في المؤسسة، وماسة عاشت حياة مزدحمة بالتجارب وأنواع من البشر لا يختلفون كثيرا عما أعيشه الآن، وهناك الفضول لأفهم شخصيتها التي تثير في عقلي آلاف الأسئلة ..

تركت لها حرية اختيار مشروبها .. طلبت بيرة ثم غيرت رأيها وطلبت قهوة كما طلبت أنا.. سألتها لماذا غيرت رأيك وطلبت قهوة؟

- أي مشروب أو طعام يحتاج المشاركة والصحة، لن يكون للبيرة طعم دون شريك.. ماذا بك عهد؟ أرى شرودك.

- مشاكل في المؤسسة.

- يبدو أن الأعباء كثيرة عليك وأنت بعد صغيرة وخبراتك لم تختمر.

- بالفعل .. ما رأيك نبدل أدوارنا تتولين أنت الشركات وأعيش أنا حياتك؟

- طماعة عهد .. هل تريدان أن تأخذي مكاني الذي وصلت إليه بعد معاناة وخيبات وشقاء؟ تريدانه بعد أن صرت معلمة؟ هل سأعيش المعاناة ثانية وأعيش نفس التجارب والدموع والألم؟ أنا خلصت امتحاناتي وتجاوزت تلك المراحل وحقي أن أعيش الهدوء أما أنت فتعيشين ما تجاوزته أنا.. سؤال عهد، هل بالفعل كنت تتمنين أن تكوني أنا؟

"كان بداخلي نعم، لكن أنكرت هذا الاختيار وأجبت بلا، كانت هناك مبرراتي، فماسة يرضي غرورها إحساسها بالتفرد، كما أنها تؤمن بالحسد رغم أنني أعيش بمستوى مادي لا شك أنها تتمناه، إلا أنها ما زالت ترى تميزها وأنوثتها الطاغية، وهما - كما تؤمن - أسلحة إن استخدمتها سيسهل لها المركز الذي تريده.

سألتني: لم لا تتمنين لو كنت مكاني؟

أجبتها بأنني لو كنت مكانها بشخصيتي أنا ربما كنت اخترت كل الاختيارات الخاطئة، وربما لم أكن لأتمكن من أن أسترده صوابي كما فعلت هي ..

- أنت محظوظة فعلا يا عهد وأنا أقسم بأنني لا أحسدك .. بالفعل أنت لم تبدلي مجهودا لكي تصلي إلى هذه المكانة وهذه الثروة، أما أنا فلقد قاسيت الكثير، جربت الجوع والبرد، وجربت الوحدة والضياع، لم أجرب حضن الأم ولا دفء البيت؛ لذا أقدر قيمة بيتي الصغير، وابنتي، والسلام الذي أعيشه الآن والذي دفعت ثمنه عمري كله، ولقد تخلّيت بكامل الرضا عن كل الإغراءات ثمنا لضحكة من ابنتي، ولست نادمة على هذه التضحيات، فهي أهم من حياتي أنا نفسي.

سألت ماسة، ماذا لو عرضت عليها أن تكون مديرة لملهى ليلى بمبلغ خرافي يعيدها إلى الرفاهية التي تخلت عنها ..

ابتسمت وكانت إجابتها صفة .. أجابت على عرضي بقولها:

- سأرد عليك ي اعهد بجملة من قلبي (أريد أن أربي ابنتي بمال حلال) هذا هو شكري لله على هديته. سأكون ناكرة وجاحدة لفضله لو قايسنت ابنتي بالمال .. أنا أعطي دروسا خاصة في اللغة العربية وأقضي وقتا مرهقا، لكن سعيدة بهذا التعب لأنه في النهاية مال حلال، وأعمل في سمسرة العقارات أحيانا ..

"أصبت حين اخترت اللقاء بماسة لخبرتها في الحياة..
سوف تضع أمامي الاختيار الصحيح ..

- كيف عرفت عدنان .. ماسة؟

- عهد .. عدنان مجرد صديق لا يوجد بيننا أكثر من ذلك .. أحببت مرتين، أحدهما اختار أن يظل حلماً، والثاني كان واقعا معقدا ... في بيئة تنتج علاقة كما حشيش الأرض لا يرتفع إلا ليدهسه الآخرون، لكن لم أنس له أنه انتشلني من الضياع..

عشت أياما أعبت مع الموت، أرأوده عن نفسه إلا أنه لفظني .. كم مرة أحاول الانتحار، لكن يبدو أن الموت لم يشتبهني، أو كنت من الغباء أن أحاول أن أسبق موعدني، فهو منظم جداً ولا يعترف بالواسطة ولا يقبل الرشوة ولا يقبل أن يفرض أحد عليه موعداً، فهو من ينتقي ويحدد من يموت تبعاً لجدول معد.

- هل تقصدين بالثاني عدنان؟

- لا بل أحد أصدقائه .. سامح .. كان رجل أعمال بسيط، لم يكن غنياً ولا شكله ملفت للنظر .. لكن احترمت فيه حبه لي وخوفه عليّ، كان يعاملني كأب، تمكن من أن يجعلني أشعر بالأمان في وجوده..

عدنان من عرفني عليه، كان عدنان يصور لي فيديو كليب، والتقينا، وبدأت الحكاية إلى أن ضعفت في لحظة جوع لأن أرتمي في حضن أحدهم وأبكي .. كنت أنتظر حضناً أطمئن وأنا مستلقية فوقه وكان هو، إلى أن انفصلنا كما حكيت لك من قبل، لكن لم أجحد فضله

علي .. حمدت الله وشكرته وبدأت أراجع نفسي .. بعدت
عن كل الأماكن التي تعرفني كفنانة وبدأت التعب
والبحث عن فرصة عمل لا تخجل منه ابنتي.

وبعد أن عادت العلاقة بيني وبين عدنان .. عرض
علي أن أمثل في أحد الإعلانات، ولكنني رفضت
وفضلت أن يساعدني في العمل خلف الكامي را بعيدا
عن الشهرة، أريد أن ينسى الناس "نونا"، استرددت
اسمي ماسة وبدأت في كتابة القصة والسيناريوهات
بالإضافة إلى التدريس .. أنا حاصلة على آداب لغة
عربية.

"مددت يدي أربت على يدها وكنت أنظر في عينيها
إجلالا واحتراما لها".

قلت: ممكن أسألك سؤال يا عهد بما أننا صرنا
أصدقاء؟ لا تتعجلي في القبول فهو سؤال خاص.
- تفضلي.

- هل أحببت عدنان؟

- نعم .. لكن اكتشفت أنه لم يكن حب، كان انبهار
تلميذة بأستاذها .. فتاة ساذجة حاملة حضرت من
الشرق لم تجرب الحب بل عاشته رواية أو فيلما
سينمائيا.

- أشعر أن عدنان لا يعرف معنى الحب فأنا أعرفه منذ
سنين طويلة .. مشكلة عدنان شجاره المستمر مع نفسه
.. عدنان يبحث عن رب له، معارضته لم تكن إلا أسئلة
يطلقها منتظرا إجابات تدله على وجود إله .. هو ليس

رافضا ولا ناكرا بل يستجد بمن يمد له يده بقنديل ينير له الطريق.

- صحيح كلامك، لكنه يدهس في تخطئه من يحبونه سواء أكان واعيا أم غائبا عن الوعي، أوجعني وأهانني، احترمت نفسي أنني تمكنت من كبج جماح غضبي منه وأني حتى هذه اللحظة لم أرد له الصفحة، ربما لأنني منشغلة بأمور لا تعد ولا تحصى، وربما لأنني برئت من حبه، وربما يكون ضعفا مني، سأعرف حين تتوافر الظروف للانتقام منه، لحظتها سأعرف من أنا، هل سأنتقم منه أم سأتخلي عن الفكرة أصلا .. لم تأت اللحظة بعد.. لكنه أحبك يا ماسة .. أليس كذلك!؟

- ربما، لكن لا يهم شعوره، الأهم بماذا أشعر أنا، فأنا شخصية صعبة جدا لا تلين ولا يسهل ترويضها إلا إذا أحببت، وكنت أبحث عن أحب حتى أعيش كأني امرأة تستمتع بضعفها أمام رجلها.

"سكت قليلا، فكلماتها تحمل الكثير من الحكمة والقوة والصدق أيضا، قصدت أنها إن لم تحب الرجل الذي ستزوجه فلن يتمكن من السيطرة عليها وسيكون لها الغلبة وبالتالي لن تحترمه وستدمره .. الذي يجعلها تلين هو الحب".

عدت من سكوتي حين سمعت جملتها..

- هناك موضوع آخر يخص العمل ..

"أثارت فضولي، وفي الوقت نفسه القلق .. هل تعلم ماسة أيضا بتلك الأسرار والخطط التي تدور خلف ظهري، والتي ستضر باسمي وعملي والمؤسسة؟"
- ما هي ماسة؟

- هناك أشخاص في المؤسسة يديرونها بشكل لا أعتقد بعد أن اقتربت منك أن يروق لك ولن تقبلينه.
هناك أندية سرية للرقيق الأبيض سواء بنات أو أولاد، وصالات قمار، وطبعا أشك أن هناك تداولاً لأنواع من المخدرات، لكن لا تسأليني عن أسماء، لا أريد أن أتورط في مشاكل .. تعلمين أنني في حاجة لأن تنتج المؤسسة روايتي أو أجد فيها عملاً إدارياً يساعدني في حياتي.. حاولي أنت أن تعرفي الأسماء وحاولي أن تنقذي ما تستطيعين إنقاذه.

تغيرت ملامح ماسة واكتسى وجهها بلون أصفر .. ارتبكت ولملمت حقيبتها وموبايلها واستأذنت في الانصراف".

ناديت على النادل، دفعت الشيك، حملت حقيبتي وتوجهت إلى سيارتي.

"طوال الطريق كنت أفكر في أنني بالفعل بعيدة عن مواطن المؤسسة، وكان هناك وما زال بداخلي هواجس وشكوك أن هناك أعمالاً تدار مرعبة كنت أتجنب أن أقترّب من معرفتها، كنت أهرب وأدعي أنني قادرة على الإدارة وإنجاح ما بها من مشروعات، لكنني تجنبت أن أسأل أو حتى أعرف، لكن ماسة وقبلها

وجد، فضحا ما تحت الطاولة وأربكاني .. الآن لابد من أن أعرف وأفتش لأتخذ القرار .. ما أخبرني به وجد تأكدت منه الآن ولا بد من إبعاد أخي أو محاولة الإصلاح، لكن لا أجد من حسين أية رغبة في التغيير خاصة في مجال الأعمال .. سأحقق لحسين ما أراد وسأدعو وجد ونتحاور معا".

كثيرا ما فكرت في التخلي عن كل ما بين يدي وأن أعود إلى مصر، لكن حسين ما زال في حاجة إلى وجودي بجانبه.. كانت حالته في تحسن، أملت أن فترة العلاج الطبيعي وتخدر جسده عن الرغبة قد تكون فترة علاج وبراءة من إدمانه للجنس المثلي .. رجوت الله أن يساعدني ويساندني أن أثبت أن الإنسان قادر على أن يتحدى أية صعوبات وإغراءات بما منحه الله من هبات لم يهبها لغيره .. تمنيت أن أثبت للعالم أن هناك علاجا لكل ما يعد انحرافا عن قوانين الطبيعة، وأن أنجو بزوجي وبنفسي من تلك الهاوية.

لم يتخل فادي عن حسين بل كان معي في كل خطوة، وكأن الله أرسل ملائكته لمساندتي ..

لن أتغافل عما كان في عين مايكل وفادي من مشاعر تعدت حد الصداقة إلى العشق، فلطالما حاول مايكل إخفاء غيرته من فادي وآلامه النفسية التي يعانيتها من محاولة التغلب على مشاعره ومداراتها عني! لا يفلح بلا شك أن يدعي رجل أن له القدرة علي إخفاء مشاعر

الحب، فنحن بداخلنا (سنسور) ومؤشر يتجه إلى المحب...

أما عني فلن أنكر مشاعر تنهوج داخلي كلما التقيت بفادي، لكن لم أحاول وأدها ولا حتى تركها لتنمو أكثر، فالظروف حولي شغلتنني حتى عن نفسي، إلى أن تجثم فوق كاهلي تلك الكارثة التي علي التعامل معها بأقل حجم من الخسائر، فشركة الإنتاج أمامها عدة عروض لأفلام قد زج بداخلها أفكار قد تعتمد المؤلفون إبرازها تحت مبرر الحرية، وأيضا سلسلة إعلانات عن الخمر وحفلات لفنانين مناصرين للمثلية الجنسية، وأنا وغيري يعلم جيدا أنها إمبراطوريات هائلة يصعب حتى على الحكومات مجابقتها، ففي دعمها مكاسب سياسية واقتصادية لحدود لها ..

وهناك في الظل صفوت ومكائد لا تنتهي، فها هو يحرك قضية أزيد ويشعل الحملات بإشارة من إصبعه، وتهاجم شركتنا الصحف والقنوات الفضائية ومدعي الحرية ومعاداة العنصرية وحماية حقوق الأقليات.

ركنت السيارة وصعدت إلى مكنتي .. علمت من رازان أن صفوت في البيت يجتمع مع حسين، كان يلقي إليه بكل الاتهامات التي تضعف من سلطتي والتي تظهرني بالعجز ..

كم حذرني وجد وكذلك وعد وطلبا مني الانسحاب المنظم والتروي والانحناء للريح حتى تمر .. أغمضت عيني للحظة أستدعي فيها قوتي وأن يلهمني الله الحل، وفجأة

سمعت اسم مايكل وسألت نفسي بصوت عالٍ "أين أنت مايكل .. أحتاج إليك؟"

فتحت (اللاب توب) أفتش عن أي معلومة عنه، أدخل صفحته فقد أجد منشورا أو صورة تكشف لي عن مكانه .. بالفعل رأيت صورة له في أحد الأماكن في الهند، يبدو أنه معبد ما، وهنا صور له في أحد الجبال يرتدي البسيط من الملابس ذات اللون الأحمر وهو حليق الرأس.. إنه يمارس اليوجا أو التأمل، وكتب تحت إحدى تلك الصور: **"إن اجتمع عليك العصاة فأنت على الطريق القويم"** وكأنها كانت رسالة لي.

أغلقت (اللاب توب) واستدعيت طاقم السكرتاريا، وطلبت منهم البحث عن مكان مايكل وأرشدتهم إلى بعض المعلومات، لعل أحدهم يأتي به لي. انتهيت من الكثير من المهام وانصرفت باكرا رغبةً مني في العودة للاطمئنان على حسين والفضول تجاه اجتماعه بصفوت ..

لم أخبر أيا من الموظفين بعودتي إلى البيت، بل اكتفيت بإلقاء معلومة عن رغبتني بالاستمتاع بوجبة الغداء خارج المكتب وانصرفت.

عدت بأسرع ما أمكنني على البيت .. فتحت الباب بلا صوت ودخلت على حسين لعل صوتا لهما يصل لي بما دار، كانت ضحكات صفوت تخبرني بأنه وفق فيما سعى إليه معه، وكان معهما شخص ثالث، ربما امرأة

- أُتعب صوتها التدخين، فكان صوتا أنثويا بخشونة الذكر
وضحكات بها الكثير من الخلاعة ..
- طرقت عدة طرقات خفيفة وفتحت الباب سريعا، كان
بجوار حسين شاب شبيه أزيد، ويقف صفوت وفي يده
كوب عصير .. وقفت لثوان بلا صوت لكن بداخلي
كانت ضوضاء وعراك وألم أمسك برأسي ..
- يبدو أن د . صفوت يناقش معك أمورا مصيرية..
تنحنج صفوت واتجه نحو منضدة بجوار سرير حسين
ووضع الكأس قائلا:
- هيا قوم عندنا الكثير من الأشغال ..
انصرف هروبا مصطحبا هذا المختلف.
- كيف أنت حسين اليوم، هل انتهيت من جلسة العلاج
الطبيعي؟
- ليس هذا سؤالك عهد .. ليس هذه أنت.
- بالفعل .. ماذا كانا يفعلان هنا حسين؟
- صفوت يحاول أن يللم ما تتركينه من بعثرة؛ لذا
أحضر قوم ليقوم بالتصوير معه لكي يمنح المحامين
أدلة وبراهين أننا لا نحارب المثليين وأننا منحنا
بعضهم فرصا للعمل معنا، وأن أزيد مجرد موظف
خالف بروتوكول المؤسسة.. الأمور هنا تدار بشكل
نفعي بحت عهد.
- وهل من ضمن البروتوكول أن يجلس على فراشك
ويضحك تلك الضحكات الخليعة حسين؟

- أولك .. لنقل إنني أعجبت به، وشعر هو بذلك فأراد أن يرد لي الإعجاب.

- أعجبت به؟! إلى أي حد أعجبت به؟

- ارحميني عهد .. أنت لا تشعرين بما أعانيه .. أنا جليس الفراش منذ أكثر من عام أعاني العجز .. عجز عن الحركة .. عجز عن الحياة .. صرت عبئا عليك وعلى الجميع .. تلقين إلي بسؤال عن صحتي ثم تشاركينني وجبة ثم تتصرفين إلى الحياة، وأنا هنا أعاني قيد العجز والمرض .. أنا أتنفس فقط.

"كان صوته أقرب للصراخ منه إلى الحديث، وكانت دموعه تتناثر مع استدارات وجهه وعصبية ..

تركته يكمل هجومه"...

- أولك .. سأقبل أنه انتقام الله بل هو العدل .. سأقبل أنه عقاب أستحقه، لكن عقاب على ماذا؟! أنا حياتي حتى وقت قريب كانت عبارة عن ردود أفعال لما ارتكبه الناس في حقي .. أنا لم أختار أن أكون كما تتهميني، شاذًا، لم أختار وحدتي، لم أختار أن أعيش مرفها، رغم ذلك نجحت عهد، نجحت في أن أحاول أن أظل نظيفًا، لم أظلم ولم أرتشي ولم أقدم رشوة .. لم أقتل .. لم أتسبب في أذى لأي إنسان .. إلا أنا، وما تقوم به شركاتي من أعمال وإنتاج لم تتجاوز كما تتجاوز أغلب الشركات لكنني مطيع لقوانين مجتمع عشت فيه .. لم أجرب عالمك عهد .. لم أنتسرب نفس ثقافتك، وكل ما احببته ضاع مني، حرمني الله منه .. الإنسان الوحيد

الذي احتجت إليه ورضيت بها أما، أخذها مني وترك
أمّا تدعي أنها أُمي، تعيش وتستمتع بحياتها ويأخذ
أمانة، حتى ابني الذي أقسمت إن منحه لي سأتوقف عن
انحرافي، رفض أن يمنحني إياه، والغريب أنك لم
تندمي لم أر دموع ضياع ابنك . وكأنك كنت تتمنين
موته .

ماذا ارتكبت من أخطاء في حقك عهد؟ ماذا فعلت حتى
تتهميني باستمرار بأني شيطان؟
"كنت أنصت لكل كلمة وأتأمل كل دمة منه حتى
أتحسس أملا في علاجه، وبالفعل رغم هجومه إلا أنني
شعرت بأنه في طريقه للشفاء .. بكاؤه يقول ذلك
صراخه .. صحوه ضمير ..

حسين .. أنت لست شيطانا .. أنت إنسان يخطئ ويندم
.. نحن بين بين، ربما أكون قد تسببت في وجع لك في
بداية زواجنا، ولكن أبدا لم أخذك ولم أقصر في حقك،
بل دعوت الله أن يثبتني وأن يساعدني في استردادك
كزوج ورب أسرتي .. دعوت الله طويلا أن يردك ..
أن يعيدك إلى الصواب، فأنا لم أر منك إلا كل كرم،
رقي في التعامل معي ومع الآخرين ..

كان أُملي عظيما بأني سأعيدك إلي، حتى صدمتني
في أنك ما زلت تميل لمثل أزيد .. اكتفيت، لكن لن
أتخلي عنك حتى تسترد صحتك وشركاتك، ثم
سأنسحب من حياتك، فأنا أيضا تعبت وأحتاج أن أعيش
حياة سوية هادئة.

"لم تتخلصي من سذاجة المرأة الشرقية بعد .. كل ما
لفت انتباهك هو توم لأنك تريه غريمك، لم تنتهي إلا
لأمر سطحية؛ لذا كثيرا ما تخفقين في الإدارة مما
أفقدك الكثير من التركيز والنجاحات.
عهد .. الجنس يجب ألا يتعدى كونه شبيها بحاجتك
للتوايلت للتخلص من الفضلات العالقة بالقولون.
- هل تشبه الحب بالفضلات؟
- لا طبعاً لست بمثل هذه الحقارة .. أنا أتحدث عن
تجربة الجنس خارج الحب.
- وهل اشتقت للجنس حين التقيت بتوم؟
- أوف .. يا لك من شرقية! تعالي عهد .. أريد أن أستند
إليك للخروج إلى الحديقة لنتناول الغداء معا ..
"لم تكن كلماتي مجرد تهديد ولكنه كان قراراً".

لم تنس وعد حب عمرها رغم أنه تزوج وبدأ حياة جديدة وأغلق صفحة حبهما إلى الأبد .. أغرقت نفسها في العمل، وكانت تبذل جهدا خارقا حتى تثبت أهليتها لموقعها الذي منحه لها حسين .. وعد جميلة، رشيقة، ارتدت حجاب الرأس باكرا، لم يرغمها عليه أحد، وحين أتت إلى لندن لم تتخل عنه لكن جملته وارتدت ملابس عصرية متحفظة، كنت أدعوها أغلب الأيام أن تنام في بيتي لنقضي الليل نتسامر ..

قصت لي الكثير عن رجال أعمال تقدموا يطلبون خطبتها، ولكنها كانت ترفض لأنها تنتظر شريكا بمواصفات خاصة ..

كما أننا استغللنا وجودنا معا لتحدثني عن الكثير من المقترحات والتركيبات في عالم التجميل، وأخذت أشجعها أن تحقق ذلك بعد استشارة الكيميائيين العاملين معها في المؤسسة.

اقتربنا أنا ووعد في غربتنا واستشرتها في أموري مع حسين، وكانت تمنحني بعض معلوماتها العلمية عن مثل حالته، ورأي الدين وعدد من الفقهاء، وتمدني برأي بعض الاستشاريين النفسيين، فكنت أجد ثراء في وجودها معي، إلى جانب الاختصاصيين الذين استشيرهم .. في حديثنا معًا جاء ذكر اسم مايكل وكيف

أنه الملاك الحارس لي والصديق المخلص وأخبرتها
عن حكمته واهتماماته الفلسفية ..
أحسست بانتباه وعد كلما حدثتها عن مايكل، وإحساسي
بالفراغ في غيابه والذي ملأه قليلا وجودها ..
سألتني وعد إن كنت أحببت مايكل، أحببتها أن حبي
لمايكل طبيعي، ولكنه حب من وجد من يحتضنه في
غربة، كان الناصح لي بل وكثيرا كان صوته ومتابعته
لي كما جرس الإنذار .. كان يصدقني النصيحة ولا
يطلب مني أي مقابل .. مايكل كان في حالة توهمان مثل
عدنان، وكلاهما يفتش عن الرب، لكن مايكل لم يكتفِ
بالسخرية بل فضل البحث بقلبه وعقله .. استغل تمرده
بشكل إيجابي، صمم على أن يجد الطريق وألا يضل
تائها.

- وحسين؟
- حسين؟ قدرتي .. وربما ابتلائي الذي أنزله الله بي
ولابد أن أجتازه بأقل درجات العصيان والانزلاق ..
- ألم تحبيه؟
- ممتنة له .. فلقد أمّنتني على اسمه وثروته بل وحياته،
لم يشك في لحظة ولم يفتش ورائي .. أمّنتني على ماله
واسمه وعمره .. لم يخذلني يوما في قرار أخذته ولم
يعاتبني على خطأ إداري ارتكبته.
- فقط؟

- هل تعيشين مع رجل لم يربطكما حب حتى الآن؟ هذا
هو الاختلاف بيننا عهد .. أنا لا أستطيع أن أتزوج

رجل لم أحبه، أما أنت فأحسبك على وعيك ويقظة قلبك، ليتني لم أَرْضخ لقلبي وكنت استمعت لعقلي .. لما تسببت لنفسي كل هذا الوجع. وغريب أنك تتركين القهوة حتى تبرد ثم ترتشفينها كما وأنها دواء.

"أضحكتني.. فلي نفس الملاحظة عليها"

- بل الغريب هو تعاملك أنت مع القهوة، فأنت تصبينها في جوفك ساخنة ولا تستمتعين بها ..
- أحبها ساخنة .. أخشى أن تبرد فأفقد لذتها.
- لكي تتلذذي بطعم القهوة، يجب أن تحتسيها بجرعات قليلة وعلى مراحل، لا أن تصبها في فمك كما العصير.

- اللحظات الجميلة والأشياء الثمينة والأطعم اللذيذة يجب أن تأخذها غالبا لا أن تتركها حتى تبرد أو تضيع من بين يديك .. الحياة قصيرة واللحظات السعيدة نادرة وسريعة الاختفاء.

- لكن التعجل أحيانا أيضا يفقدك التلذذ بالشئ والاستمتاع بالنصر والنجاح بعد التعب والانتظار، ففي العلاقات يجب التحكم في النفس والكلمة، والتروي في الحكم على الناس لا التعجل في تسليم قلوبنا لهم بسرعة .. هذا هو أحد الفوارق بيننا أنت وأنا.

- هل تلمحين بفشلي في تجربتي مع عاصم أين عمي؟
- أسفة لم أقصد أن أوجعك لكننا نتناقش في أسباب فشل بعض القرارات وبعض الاختيارات

- وهل أحسنت أنت الاختيار؟
- أكيد .. رغم أنه كان اختيارا تم بقوة الدفع ..
- ماذا تقصدين؟
- قصدت أنه كان اختيارا كرد فعل لصدمة ما، لكن الفضل لله أنه لم يكن اختيارا مدمرا .. خطأ كبير فعلا أن نتخذ قراراتنا ونحن سعداء أو ونحن في حالة غضب، لكن ستر الله حماني، لكن أيضا الحياة لا بد أنها صعبة بلا حب .. أليس كذلك؟!
- ربما .. لم أجرب لأن الظروف لم تسمح لي بفترة فراغ حتى أنفرد بنفسي وأسألها إن كنت سعيدة أم لا، "كنت أنطق بجمل تكذب كل ما أشعر به فأنا أعاني من الوحدة والتعطش إلى الحب".
اتصال تليفوني، فإذا برزان تخبرني أنها توصلت لمكان مايكل وأنها علمت باقتراب عودته إلى لندن ...
في ذلك اليوم كنت قد قررت التحاور مع د. صفوت لأفهم منه ما يدور .. تناولت فنجان قهوتي في المكتب، ثم قررت التوجه إلى حجرة صفوت دون استئذان، فتحت الغرفة لأجده في اجتماع مع مجموعة من المسؤولين، لم ألحظ على وجهه أنه اندهش لوجودي أمامه بل ببسمته الباردة رحب بي وطلب مني الجلوس على رأس الطاولة .. أخبرني أنهم يقومون بتنظيم بعض القرارات الخاصة بالإنتاج السينمائي، أشرت لهم بالاستمرار في الاجتماع وأني ساجلس مستمعة.

- أعتقد ويليام أننا انتهينا من "ستاريا"، فلقد انتهت صلاحيتها ولم يعد هناك طلب عليها، كما أنها لم تتمكن من أن تتناول الحبوب بشكل متوازن .. غبية، فلقد دمرت نفسها وكلفتنا الكثير، واشتكي منها أغلب العملاء.

- هناك وجه جديد قدمت لك ملفا باسمها وتاريخها.
- كم عمرها؟ لا أريد أن تتجاوز أية فتاة الثامنة عشر.
- هي بالفعل عمرها سبعة عشر .. مناسب جدا.
"وجه الكلام إلى محامي الشركة":
- تمام كارل .. جهز العقد وأطلعني عليه وأحضرها غدا لعمل (أوديشن) وتوقيع العقد.
- أعجبتني فكرة الإعلان الجديد .. الولد الذي قدم هذه الفكرة سابق عصره .. وقعوا معه اليوم .. هو في مكتب رزان.

"جلست أغلب الوقت صامتة في حالة إنصات وتركيز في كل ما يتم مناقشته .. كنت أسجل كل كلمة في ذاكرتي، لكن كان لا بد من اقتحام تلك الجلسة بسؤال يفتح الباب لي لمزيد من الاستيعاب..

- هل اتخذتم قرارا في السيناريو الأخير للكاتبة ماسة؟
- نعم .. كنت سأطلع سيادتكم على ما تم مناقشته.
- ما هو؟

- السيناريو رائع ويصلح بالفعل كعمل مسرحي وأيضا سينمائي .. كعمل رمانسي راق، لكن الكاتبة اسمها لن يبيع؛ لذا اقترحنا أن نفكر في عدة طرق دعائية للإلقاء

الضوء على الكاتبة سواء عن طريق إشاعات أو طرح
أسئلة تثير حولها الغموض والفضول ثم ننطلق
بروايتها.

- لا .. ابتعدوا عن حياتها وعن اسمها .. لا أقبل تلك
الطرق .. كم من كاتبات لم يعلم عنهم الجمهور شيء
ليتربع أسمائهن كجوان رولينج .. وسلسلة هاري بوتر
.. لن أسمح أن نتدخل في حياة الكاتبة الشخصية ولا أن
يتصدر اسمها مواقع التواصل الاجتماعي ولقد وعدتها
بذلك.

تأملني صفوت بابتسامته التي تخفي وراءها خبث
العالم، ثم قال: تمام مدام .. كما تريدین.
طرقات على الباب .. ثم ظهر مايكل.

اتجهت ومايكل إلى مكتبي .. كان بداخلي الكثير من الأسئلة وأيضا شيء من الإحساس بالأمان في وجوده

.. كانت إجاباته تسبق أسئلتى، لكنها إجابات تخرج من حكيم، أو من أحد دراويش إحدى الحارات. كانت لحيته كما راهب وجسده صار نحيلا كمن عاش بالصحراء صائما.

المكتب كان مزعجا من طرقات الباب لذا صحبتته لتناول الغداء في أحد المطاعم، طلبت له اللحم ولكنه فضل تناول خضارا لا لحوما وسأل عن حسين ومدى التحسن في صحته .. طمأنته أنه يتمثل للشفاء، وأنها أيام وسيتسلم كل أعماله وأتفرغ أنا للعمل الفني. تأمل ملامحي .. قائلا:

- أعتقد أنك ترغبين في الانسلاخ من هذا العالم وربما شعر حسين بذلك، لذا يؤجل الإعلان عن شفائه خشية أن تتخلي عنه.

- هل تعتقد ذلك؟

- ربما أكون مخطئا.

يبدو أننا جميعا نفتقد الهدف، بل ونعيش دون أن نفهم ماذا نريد، نفتش عن أشياء تنقصنا ونضل الطريق إليها

..

حسين لا يفكر في الاستغناء عنك ولا يستطيع، وفي الوقت نفسه هو غبي، لم يفهم من أنت ولا كيف يحتفظ بك رغم أن الموضوع سهل، لكن لأن حياته كانت مليئة بالصدمات، صار القلق والترقب أهم سماته، رغم أن الطريق إليك سهل وممهد، لكنه يصعب على نفسه ومن حوله السعادة.

- هل كنت تعلم بأعمال المؤسسة يا مايكل؟

- أية أعمال؟ الفنية تقصدين؟

- لا .. الأعمال التي تتم تحت الطاولة.

- فهمت .. نعم .. لكن القرار بالابتعاد كان صعبا، صداقتي بحسين وفادي وعدنان تمتد لسنوات وكل منا عانى بشكل أو بآخر .. أكثرنا ضياعا هو حسين وهو أكثرنا بؤسا لذا تعاطفي معه جعلني صامتا أمام أمور لم أكن لأقبلها في الظروف العادية، صداقتي له كانت حامي ا له ودافعا أن أظل بجانبه لا أتخلي عنه، وحينما ظهرت، ثلاثتنا أعجب بك وكأن بداخلنا بوصلة واحدة اتجاهاها واحد.

- هل قصدت نفسك وعدنان وحسين؟

- لا .. أنا وحسين والثالث أرقى قليلا من عدنان.

"صمت، فالمعرفة هنا أكثر إحراجا من ادعاء الجهل".

أكمل قائلا: وتعاقبت العلاقات وتشابكت إلى أن اخترت حسين، هنا بدأت أرى الأمور بشكل أكثر شمولية وإنسانية .. تمنيت أن يكون شفاء حسين على يدك لأننا

كأصدقاء فشلنا في ذلك، أما عن المؤسسة فيها تعقيدات تحتاج إلى سنوات لتعديلها فهنا تحكمنا قوانين هرعنا للعيش في ظلها فكيف نرفضها وندعي أننا رسل أتينا لنشر الفضيلة؟ لقد تركنا وطننا هربا من غياب العدل والحرية ثم ننتقد هنا الحرية؟ تعبت عهد.

- الحرية التي تهدم وتنتشر أمراضا وحروبا هي فوضى وليست حرية.

- كلمة "إلا" أو "لكن" أو "باستثناء" هي أول الطريق للقمع لأننا بشر ومختلفين وتتنوع درجة الفهم والوعي والثقافة، فلتقلقي من الاعتماد على البشر. الحرية كما الغابة بلا سياج .. بلا أسوار .. بمجرد أن تضعي سورا أو أسلاكا فأنت تحولينها إلى سجن كبير.

لنراهن يا عهد على الضمير الفردي .. لنراهن على الجزء الواعي في الإنسان .. فهو ما سيرده إلى الصواب .. لنراهن على الضمير والفتنة، فهما ما سيأخذان بيد حسين وكل من استغل الحرية بشكل مؤذ، هذا هو الطريق..

لو قرأت التاريخ العربي وأمعنت التدقيق في الأحداث، لن تجدي سنوات نعمنا فيها بالرفاهية والعدل إلا قليلا، رغم وجود العلماء والأئمة لكنهم لم يمنعوا الظلم والقمع وانتهاك الحريات، رغم وجود الصحابة بينهم، أيضا لم يمنعوا الفتنة والتمزق .. الإنسان كائن متمرد بطبعه ومغرور ودائما ما ينشد الخلود والتسلط ..

بعد سفرياتي وجولاتي كلها تأكدت من أننا جميعا ضد
الوصاية، لنضع لحسين الفرصة في أن يختار وحده
الطريق وأنت لك الحق في استكمال الرحلة معه أو أن
تختاري طريقا بعيدا عنه.

- تغيرت كثيرا يا مايكل أو ربما اكتملت تجربتك
وحكمتك.

- أخبرني حسين بأنني سأزوره غدا لأرتب معه موعدا
لأعرفه على ضيفي من الهند.

- طبعا .. أنا اثق أن حسين في اشتياق لرؤيتك وأريد
أن أعرفك أيضا بإخوتي: وعد ووجد .. أي ضيف
تقصد؟

- سأعرفك عليه قريبا .. ما أروع أسماءكم!
" ابتسمت شكرا وامتنانا لعودته.

دعوت مايكل ووجد وواعد في اليوم التالي على الغداء، وكلفت رزان بمتابعة الأمور؛ لأنني أخذت هذا اليوم إجازة ..

تناولنا الغداء، وكانت فرحة حسين بعودة مايكل لا توصف .. لأول مرة أسمع صوت ضحكته العالية وكانت الفرحة قد أنارت عينيه، فلم تفارق الابتسامة شفتيه، كما أن وجد تعود سريعا على مايكل وشعر في وجوده بالألفة، أما عن وعد، فكانت هادئة تشاركنا قليلا، لكنها لم تمل من تواجدنا معا لننتقل بعد ذلك إلى الحديقة لتناول العصائر ولكي يمارس حسين رياضة المشي التي نصح به دكتور العلاج الطبيعي.

كنت قد أشرت لوعد بألا يفتح النقاش فيما وجده من سلبيات؛ لأنني كنت أشواق لجلسة عائلية طيبة أستمتع فيها بتواجدنا معا.

استأذن حسين في أن يتمشى في رفقة مايكل وجلست مع إخوتي نتحدث ..

- سعيد بتحسن حالتك حسين .. لقد عدت إلى الحياة ..
أتمنى أن تكون عودتك كاملة.

- لماذا كل ما يشغل عقولكم الجنس وكأن الحياة ستتحول لعالم أكثر عدلا وأكثر مساواة إن عدلت رغبتني؟

هل تصدق أنني بالفعل أحب عهد؟

- أحاول أن أصدق.. ترى هل تزوجتها لكي تعيد السيدة رهِف كأم؟ فكلنا لاحظنا الشبه الكبير بين عهد ورهِف هانم ..

- ربما.. ولم أخطئ حين اخترتها .. بالفعل عوضتني عن حضن الأم ورحمتها .. قامت بدورها على أكمل وجه وليس فقط، بل أدارت الشركات بكفاءة منقطعة النظير رغم صغر سنها وخبرتها المحدودة .. حتى أنني كنت أشك أن الرب أرسل لها جنودا يساعدها كلما تأمر أحد عليها تتكاتف الأقدار لإنقاذها.

كم من مرات يتواصل معي صفوت ليقنعني أنها ستغرق المؤسسة لتصلني الأخبار بعدها بكم القرارات التي تم رفضها منه ومعارضتها .. فتنتصر قراراتها عليهم..

نعم مايكل أرى في عهد أمي رهِف التي تمنيتها ورجوت الله ألا يحرمني منها حتى أنني لم أعد أبكي رهِف واكتفيت بها، لكني ظلمتها حين ألبستها جسد أمي ولم أحترم حقها في أن تكون زوجة وتستمتع بزوجها، ليعاقبني الله بأن حرمني من متعتي ومن صحتي، بل وابني الذي فرضته عليها ..

نعم نضجت يا مايكل .. نعم ضميري يؤلمني .. نعم وعيت الرسائل ..

- هل سمعت حسين عن العلاج بالطاقة؟

- سمعت وعرض عليّ البعض أن الحقه بمركز الاستشفاء لكن أرى أنه نوع من الدجل.

- جاء معي من الهند أحد ممارسيه الذي شفيت على يده الكثير من الحالات الميؤوس منها طبيا .. أريد أن يزورك.

- يبدو أن المتاهة الفلسفية التي تدور فيها جننتك مايكل.
- ألم تكن أنت من أرشدني إلى دراسة "الشنتو"، وأقنعتني أن للطبيعة روح "كامي"، كما الإنسان، أرواح للجبال والأنهار والأسلاف، وبأننا يجب أن نركز على الطهارة والانسجام مع الطبيعة ونصحتني بتعلم الفلسفات الشرقية والتزود بقراءتها؟
- نعم، وقد تفوق التلميذ على أستاذه .. غرقت أنا في البيزنس وانتشلتك القراءة من المادية المتوحشة التي ابتلعتني .

- أكثر ما مَيزك يا حسين عني وفادي أنك مغامر وعصري ولا ترفض أي فكرة حتى لو كانت مجنونة أو غير منطقية .. لتجرب فكرتي المجنونة.
- أقنعتني.. لتحضره معك.

- مايكل، هل تعتقد أن عهد ضاقت بحياتها معي؟
- لا .. لا أرى ذلك، بل أرى زوجة تستमित لتري زوجها معافى، سأقرأ لك أبياتا أثق أنها ستلمس فيك الروح وتتعش بداخلك النقاء
يقول بن عربي:

شغل المحب عن الهواء بسره في
حب من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة

عن كل كون يرتضيه مطهره
فهمو لديه مكرمون وفي الورى
أحوالهم مجهولة ومسترة

- الله .. دائما ما يلمس قلبي.
هل تعتقد أن الروح لا تتأثر بفساد الجسد والعقل يا
مايكل؟

- ابن عربي والغزالي علمونا أن الروح تظل بنقائها لا
تلوثها خطيئة ولا تضل .. الجسد والعقل هما ما يبتعدان
ويتوهان بإرادتهما، وبمجهود بسيط، وهو مجاهدة
النفس، تسترد الروح مكانتها ويعود الطهر للإنسان.
- كنت أحتاج من يذكرني بذلك، بالفعل تهنا من
أرواحنا وانغمسنا في المادية..

"قطع حوارنا مع إخوتي اتصال الهاتف .. كان الرقم
من لبنان .. لم أضمن أنه فادي، أجبت وحين علمت أنه
هو نهضت من مكاني ودخلت لأكمل المكالمة في
الصالة .. كانت ضربات قلبي في تسارع كفتاة غاب
عنها حبيبها وتلفت كلمة (وحشتيني)..

بالفعل قالها .. لم يعر فادي اهتماما لأي شيء إلا أن
يخبرني بأشتياقه لرؤيتي ورغبته في زيارة حسين حتى
يلتقي بي وأخبرني بأنه قادم بعد يومين.

كنت أشعر بدوار في رأسي وسعادة تغمرني، فهنا
مايكل، وها هو فادي سألتني به بعد غد .. حاولت أن
أخفي مشاعري وأبتلع فرحتي، هبطت الدرج لأخبر

حسين أن د. فادي اتصل ليطمئن وأنه سيحضر بعد غد ليطمئن بنفسه على تحسن حالته.

- أهلا به .. أخيرا قرر فادي أن يزورني في لندن؟ فادي ليس فقط صديقي بل هو أيضا دكتور مجتهد جدا وله الفضل بعد الله في علاجي ورفع معنوياتي، فلقد أقسم لي إنني سأعود إلى حالتي، وإنه لن يتخلى عني حتى يتم شفائي.

"عودة مايكل وخبر حضور فادي، وأعتقد وجودي وإخوتي، أسهم بشكل كبير في رفع معنويات حسين فلقد شعر أنه محاط بأهله".

غادر مايكل بيتنا وترك في قلب حسين الكثير من السعادة والراحة، واستأذن وجد ومعه أختي في الانصراف .. ألح عليهما حسين أن يبيتا هنا معنا، ولكنهما فضلا العودة إلى شقتيهما.

مال علي وجدي ليقبلني وهمس في أذني: "لا تخافي أنا هنا معك".

ابتسمت له امتنانا .. بالفعل شعرت بالأمان في وجوده، إنه الأخ.

كنت في حيرة، أي فستان أرتدي، وأي نوع من الزينة أضع، وأي عطر أضع.. فرحتي بأنني سأرى فادي غيبت الوعي عندي للحظات؛ لذا قررت أن أرتدي فستانا بسيطا، فلا يليق أن أبالغ في الزينة وزوجي مازال مريضا، لملمت شعري على شكل (ذيل حصان)، ووضعت (ميك أب) بسيط، والتقيته، مددت يدي مُرحبة به وهو في غرفة حسين .. حمدت الله أنني فقط التي أسمع تراقص قلبي، وشكرت من صنع أحمر الخدود، فلقد نجح في أن يخفي تحت حمرة حمرة السعادة والاشتهاء بداخلي، لكن فادي أحس بكل ذلك .. أمسك يدي وضغط عليها عدة ضغطات وكأنه يحتضنني..

تناولنا الغداء وانتقلنا للجلوس بالقرب من حمام السباحة لشرب القهوة .. أشاد فادي بالتحسن السريع في صحة حسين ونجاحه في الاعتماد على نفسه في المشي، ليطمئنه بأنه بعد عمل بعض الأشعة سيحدد له عددا من جلسات العلاج الطبيعي أقل، لكنه نصحه بالحفاظ على الرياضة ..

لينتقل الحديث عن أخبار فلسطين وما يدور في لبنان من مناوشات وصراع، ثم الحديث عن المؤسسة .. ليمدح حسين في، وفي أنني كنت سنده وأمه ولست فقط

زوجته، وأنني أتحمل عدة وظائف في وقت واحد ومنها المؤسسة ..

فجأة سأل حسين د. فادي إن كان التقى بأمه حتى ولو مصادفة .. أجابه بأنه شاهد لها لقاء تليفزيونيا بإحدى القنوات اللبنانية الخاصة كانت تتحدث عن الموضة، وإنها مازالت صغيرة محتفظة بجمالها وأناقته ..

- هل تصدق فادي أنها لم تسأل عني ولم تهتم حتى بتعزيتي في وفاة أمي أمينة .. أقسم إنني إن مت لن أترك لها دينارا، لن أتركها تتمتع بمالي لتصرفه على أنانيتها والرجال .. أشعر باليتم بعد وفاة أمينة .. هناك تصدع بداخلي وعدم رغبة في العمل أو الانغماس في الحياة ..أشتاق إليها وإلى (طبيخها) وصوتها ورائحتها... الله يرحمها قلبي.

انسالت الدموع على خديه، نهضت من مكاني لأربت على كتفه، ومسحت بيدي دموعه، ليهدئه فادي قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون حسين، إنها سنة الحياة، كل منا له موعده وأجله لن نستقدمه ساعة ولا نستطيع أن نؤخره.

مرت الساعات سريعا لأفيق على استئذان د. فادي في الانصراف، ويفاجئنا بأنه سينتقل للعمل بإحدى المستشفيات هنا في لندن التابعة للمجمع الطبي الذي يعمل به هربا من أجواء الحرب في لبنان ..

يسأله حسين إن كان سينتقل وأسرته، يتجه فادي بالنظر إلي، فلقد احس بحزني واكتشافي أو تذكري أنه بالطبع متزوج وله أسرة ..

- لن أنقلهم حتى أوفر لهم مسكنا مناسباً، ولا أدري إن كان الأمر سيكون سهلاً للأولاد ومدارسهم.

"كيف نسيت أنه متزوج، كيف تركت لقلبي الحبل ليخنقني بتعليقي به، كيف أفكر في رجل له أسرة وأولاد؟! "

أوصلته إلى السيارة .. حاول أن يخفف عني وقع الخبر، ولكني طمأنته بأنني بخير وأنها لم تكن مفاجأة. كان لا بد أن أفيق بأي طريقة والحمد لله أن إفاقتي جاءت سريعة لم تتأخر..

غادر على وعد بأننا لا بد أن نلتقي.

ماذا كنت أتوقع من تلك المشاعر وأين كان عقلي وأين غاب ضميري، فأنا زوجة وهو زوج وأب؟

حضرت طبيبة العلاج الطبيعي، تركت حسين معها

وصعدت أنا إلى غرفتي، ألقيت برأسي على الوسادة

أبكي وضعي وحياتي التي تتعقد وتسير بشكل لا أخطئ

له .. وكأني عروسة ماريونيت!

في المؤسسة، التقيت بمايكل، الذي فاجأني بسؤاله عن وعد، وإن كانت مرتبطة أم لا، ليعلن لي عن رغبته في الزواج منها .. نصحته أن يذهب أولاً ليتحدث معها ويأخذ رأيها، فأسرع مايكل متوجهاً إلى مكتب وعد .. بعد قليل دخلت ماسة غاضبة .. باكية لتطلعي على عدة أخبار تخصها منتشرة في عدة مجلات باللغة الإنجليزية .. حمدت ربها أن ابنتها لم تطلع على تلك المجلات، لكنها ترتعد خوفاً أن يطلعها أحد زملائها على تلك الأخبار .. لتتهمني بأنني لم ألتزم بما وعدتها به، وأنها استردت اسمها الرسمي وألغت اسمها الفني من حياتها، وأنها لا تريد أن يبعث من موته، وأنها تحمي ابنتها واسمها .. لامتني وظللت أستمع إليها .. دخلت رزان وسألتها عن المسؤول عن تلك المجلات ومن قام بذلك .. لأعرف أنه قسم الإعلام ولا شأن لنا بذلك ..

اتصلت بعدنان وطلبت منه الحضور وأن يأتي معه المنتج المنفذ .. حاول عدنان تهدئتها وإقناعها بأن الدعاية أمر ضروري لنجاح العمل، فلاحظ دون دعاية أو أخبار على الأقل، لأرى كائناً مختلفاً .. تلك المرأة التي إن رأيته تری نمرا جميل المظهر، لكن مخالفه تخلق لها سجاجا يمنعك من الاقتراب .. لأشاهد

امرأة خائفة .. ضعيفة .. ظهرت الأم بكل ضعفها
وشراستها للدفاع عن ابنتها..

حاول عدنان أن يطمئنها، لكنها أبت إلا أن تلغي فكرة
تحويل السيناريو إلى عمل سينمائي أو مسرحي،
وصممت على إلغاء التعاقد، ليخبرها بلهجة تهديد أن
ذلك لن يكون سهلا وأن هناك غرامة كبيرة لن تتمكن
من دفعها..

- سأرد لكم ما قبضته منكم لكن لا أريد أية شهرة.

ليرد المنتج المنفذ "ناتالي" بسؤال استنكاري:

- أنت وقعتِ العقد وتعلمين اسم المؤسسة ومدى
شهرتها، أي إنسان يتعامل معنا فلاشك أنه سينال قدرا
كبيرا من الشهرة .. ألم تحسبي ذلك؟

نهضت ماسة وحملت حقيبتها وغادرت دون استئذان ..
غادرت ماسة واختفت من الصورة تماما .. أكد لي
عدنان أنها تعيش حياتها هاربة من تاريخها .. أنها أم
تعشق ابنتها حتى الجنون .. لن تعود إلى لندن ..
غادرتها نهائيا وفقدتها للمرة الثالثة..

تركت ماسة فراغا في حياتي، ظهرت كلغز وغادرت
مُخلفة وراءها آلاف الألغاز التي لم أجد لها حتى اليوم
أي تفسير ..

وتركت خلفها عدنان أطلال عاشق!!

- ماذا تريد فادي من عهد؟
- ماذا تقصد؟ ماذا أريد منها؟ هي زوجة حسين وبالطبع نلتقي بحكم أنني المسؤول الأول عن متابعة علاجه..
- فادي .. أنت تعلم أن حياة حسين معقدة وكذلك عهد، وأن اقتحامك لحياتهما سيزيد حياة عهد تعقيدا ..
- لن أنفي أو أهرب أو أكذب، ولن أنكر أنني أهتم بعهد .. بالفعل أهتم بها وأشفق عليها، فلقد شاركنا جميعا في سجنها مع حسين ولم يثننا ضميرنا عن إنقاذها أو نصحها .. ألا ترى معي أننا نقتلها بالكذب بأننا معها وأن حسين سيشفى ويعود رجلا وزوجا؟
- وهل بتقريبك منها ستعالجها وتتقذها؟ أنت تريد من ضغوطها .. تُغرقها.
- أحبها .. أحبها يا مايكل وأتألم كلما رأيته ضائعة .. كلنا شاركنا في تلك الجريمة
- وزوجتك؟
- لم أفكر فيما سيحدث .. أفكر فيها فقط .. شغلت عقلي وأسعدت قلبي.
- وحسين .. صديق العمر؟ ألا تعتبر علاقتك بها خيانة لحسين وصداقة العمر؟!
- أنت أكثر إنسان يعرف ما بذلناه من جهد وعلاقات حتى ننقذه من ضياعه، وأنه هو الذي أقصانا عن حياته الخاصة .. حسين يستمتع بحياته ويسجنها ويتعامل معها

وكأنها حيوان أليف يستمتع برفقته، ولم يفكر لحظة في احتياجاتها الخاصة .. أنانيته تشعرني بالغثيان .. فجأة احسست أنه كرهه .. لن أتخلى عن عهد.

"كلمات فادي لمست قلبه، فهي الكلمات نفسها التي يسمعها لنفسه كلما اقترب من عهد، وانشغاله بالسفر ودراسة كل أنواع التداوي بالطاقة لأجل أن يساعدها ويحضر إلى حياتها الأمل والسعادة، فهو يحبها ويحب حسين صديقه، ويسعده أن يجمع بينهما كما الزوجين، وأن يسترد حسين الصديق والرجل، ويرى في تضحيته بحبه لعهد أسمى أنواع الحب، لكن تضحيته حقيقتها أن عهد لم تر فيه إلا صديقا وأخا، ربما لو بادلته المشاعر لوقع فيما وقع فيه فادي ..

- فادي .. أمرك يهمني أيضا، وأنت تعرف جيدا أنني أبدا لن أنصحك بما يضرّك، لكن يجب أن تدرك أن هذه المشاعر مضللة لك، وأنك ستفقد عهد حتى لو انفصلت عن حسين، فأنت زوج وأب، في لحظة ستجبر على الاختيار وغالبا ستختار البيت والأولاد، وستتخلى عنها بعد أن تكون أوجعتها وساعدت في تدميرها.

كان لهذا اللقاء بين مايكل وفادي أثره المؤلم على كل من فادي وعهد ..

"لم يكن للوداع بيني وبينك إلا المزيد من الألم .. لم يكن للقائي بك إلا مزيد من التعلق .. عزيزتي .. الأمي رة إيزيس، التي آمنت بأنها قادرة على استرداد زوجها، وآمنت بعودته إلى الحياة لتتجلب إليها .. هو حورس ..

أَتَمِّي دورك ولا تفقدي إيمانك، كلنا معك .. لم أتخل عنك ولم أزدك خذلانا، بل خذلت نفسي ورشقت قلبي بنفس السيف الذي خدشت به قلبك .. اغفري لي".
ترك تلك الرسالة على الماسينجر.

نهضت من نومي، لاحظت نعمة إشعارات الرسائل، توجهت إلى (اللابتوب) وقرأتها .. نزلت دموعي وفي هدوء مسحت الرسائل .. الغريب أنه لم يخبرني بحبه بل أخبرني ببعده.

توجهت إلى الحمام .. اغتسلت وارتديت ملابس أنيقة وهبطت لرؤية زوجي، فهكذا يجب أن تنتهي تلك القصة القصيرة جدا.

دخلت غرفة حسين .. كان راقدا على سريره ممسكا بكتاب .. أغلق صفحاته، وجه إلي حديثه .. رغم أنني أشك أن الكلام كان موجها إليّ، بيد أنه كان حديث مع نفسه:

- لم يبق لي من الدين إلا التوحيد، ولم يبق لي من التوحيد إلا الرجاء..

ومع جملته هطلت دموعه ... أسرع لأحتضنه.

- أفقت أمي يا عهد .. لم يعاندني القدر .. لم خطفها مني .. لم يأخذ رهف، فهي بلا قيمة، وجود مثلها كعدمه.

رأيت أمينة في الرؤية .. هل تصدقين؟ طلبت مني أن أحج عنها .. لماذا تحملني تلك الأمانة التي لا أرى أنني أستحقها.

وقبلها عرض عليّ مايكل تلك الفكرة، قال إن مواجهة الكعبة والتخلي عن متع الدنيا إلا متعة الطاعة والمناجاة مع الرب ستكون مقياساً لإيماني وعودة نقاء الروح لي .. وكأنه اتفق مع أمي ..

- لم لا حسين؟ نساfer معا .. تحج عن نفسك أولاً ثم تحج عنها.

فاجأني بسؤال أربكني، فلقد كان اتهاما كشف عن مدى اهتمامه بي ومراقبتي:

- عهد .. هل أحببت فادي؟

- ما هذا السؤال؟ لا يجوز أن يخطر على بالك أصلاً، فهذا اتهام لي بالخيانة.

- معاذ الله حبيبتي أن أتهمك بالخيانة .. الحب غير اختياري، إنه كما الموت والميلاد، أمور فرضت علينا، وأنا ألتمس للبشر الأعذار فما بالك بالك غاليتي من شاركتني أوجاعي وذلاتي، بل وتحملت معي خطاياي؟!!

- كل التساؤلات مؤجلة حتى شفأوك ..

"لم أعد حرة في أن أبعد عنه أو أتخلي عن دوري في استعادته وإعادته إلى السواء .. لم ولن أفقد إيماني، لست نبي الله لوط، ولست إبراهيم، لكن أنا ابنة كل هذه الديانات والثقافات والعلوم مجتمعة .. أمتلك ما لم يمتلكه علماء بدأوا هذا التفوق الصاروخي في التقدم العلمي، وتميزت عن سبقتي بأنني خرجت عن التعصب العلمي والتجريبي للمادة إلى عصر صدق في العلماء والفلاسفة في الغيبيات وما لها من حضور لم نكن نصدق في زمن

ما .. أنا الآن ابنة اليقين ولن أفشل وأنا أمتلك هذا اليقين وتلك الكتب، وما في قلبي من إيمان، ومن يشجعني هو مايكل، ذلك الفيلسوف المتخفي والمساند لي بلا كلل أو ملل..

في خلال الفترة التي اختفى فيها مايكل والتي قضاها في الهند، عاد وقد تغيرت في تصرفاته الكثير، صار هادئاً وكأنه قد اكتسب الكثير من السلام النفسي، وتناقشنا وعلمت أنه قضى عدة أشهر في دراسة "الإيروفيديا وكذلك حضر عدة محاضرات AURA.

طلبت أن ألتقي بمايكل بعيداً عن المؤسسة تجنباً لأي نوع من التتبع أو المراقبة وحتى أحافظ على سرية حالة حسين وتعافيه؛ لذا التقينا في المقهى الذي اعتدت الالتقاء به فيه، وهناك كانت جلسة صداقة ورفقة.

أخبرني عن رحلاته المستمرة إلى الهند وجولاته في الصين، وأنه اعتاد منذ سنوات أن يذهب كرحالة يتعلم ويستمتع بما يتعرف عليه هناك من فلسفات وثقافات مختلفة، يدعو بعضها إلى الإعجاب وضرورة الدراسة، وبعضها يدعو النفس إلى النفور والاستغراب ..

قصّ لي عن دراساته للأديان وما بينها من تشابه، وما وجه الاختلاف وكيف أن كل الأديان تدعو إلى التوحيد وما بينهم من اختلاف يرجع إلى التفسيرات والتأويلات التي أفسدت روح العقيدة؛ لذا ظهر الاختلاف في طريقة العبادات والطقوس، والبدهي أن يرفض كل معتقد ما يراه مخالفاً لطقوسه فهي حرب بقاء وتعصب شخصي

أكثر منه تعصب للدين أو لله.. لينتقل إلى جانب آخر من تلك الجولات وما لها من فائدة في علاج حسين النفسي والجسدي .

- قضيت سنوات في دراسة ومعايشة "الشافون" وما لليد وما يصحبها من إيمان داخلي وقدرة ممارستها على تكريس الإيحاء في شفاء المريض، وكثيرا ما عرضت على مجلس الإدارة أن نتوسع في مركز الاستشفاء الذي تم إنشاؤه منذ سنوات، وأن نفتح فرعاً لهذا النوع من العلاج لما له من قدرات غير محدودة، ففي حالات كثيرة، والتي فشل فيها العلاج بالعقاقير، شاهدنا ما تمكنت منه هذه الجلسات من علاج لتلك الحالات، وعندما سافرت آخر مرة إلى الهند التقيت بخبير هناك مارس هذا النوع من التداوي وعلمت أنه يتوسع في العالم وينتشر .. أحدثك في ذلك لأنني أؤمن بأن نصف علاج حسين سيتوقف على إيمانه بذلك وأنت وما لك من تأثير على حسين، ستوفرين الكثير من الوقت ومحاولات الإقناع. وعدته أنني سأبذل قصارى جهدي لإقناع حسين، وحددت معه الموعد وقد أخليت البيت من العاملين فيه ليكون هو وضيّفه وأنا فقط مع حسين .

حضر حسين ومعه ضيفه .. كنت قد صرفت مايومي بعد أن جهزت ما نحتاجه من ضيافة، دخل مايكل أولاً ليمهد لحسين وإقناعه ..

- مايكل .. هل تثق أنت؟ طوال فترة صداقتنا لم أجذك إلا شاكا ومتخبطا وتائها .. هل وجدت أنت اليقين؟
- أنا لم أفقد إيماني أبدا فقط كانت المناقشات مشتتة والاستماع دون الاجتهاد والبحث يفقد الإنسان الطريق الصحيح ويزيد من توهانه .. ومنذ فترة قررت أن أكف عن الاستماع وأن أجد الله بقلبي، والتقيته والتقاني .. وقبلني عنده ..

بصرف النظر عما شاهده من فقر وآلة شتى بعدد البشر، إلا أن الذي يجمعنا كلنا واحد .. إن بداخلنا بوصلة توجهنا إلى أنه موجود ولكن كل منا يراه بعين مختلفة، ويجد راحته في تحديد شكل له وحضور، فهناك من يجد راحته في تجسيده في شخص أو كائن أو حيوان، وهناك من ارتضى به كما الهالة بلا كينونه مادية وهو بذاته وجلاله طلب منا ذلك، أن نبتعد عن البحث عنه بالعين وأن نراه فيما أبدعه من مخلوقات و طاقة .. أن نحسه بقلوبنا وروحنا لا بحواسنا الخمس .. فهناك حاسة سادسة غير ملموسة إن نشطت ستدلك على وجوده ..

- وهل رأيت بعينيك حالات تم شفاؤها بهذا النوع من السحر؟

- ليس سحرا بل يتعامل مجموعة الشافون مع الأورا أو الهالة .. ربما تكون تلك الهالة التي يتعاملون معها هي المدلول الآخر للروح، فهم يصفونها كما الكهرباء التي تسري في الجسد ولكنها تحيط بالجسد في شكل ببيضاوي وتتخلل الجسد الداخلي على شكل رقم 8 .. وتتصل بالهالة الخارجية بخيط فضي، وأي خلل في الطاقة أو الهالة ينتقل هذا الخلل إلى الجسد والعكس صحيح، وما سيمارسه المعالج معك هو إكمال الحلقة أو الهالة وإعادة شحنها أو إطلاقها بشكل متوازن حتى يستقيم الجسد ..

اترك لي نفسك وكل ما أطلبه منك هو الثقة في وفيمن سيقوم معك بالطقوس.

- دعه يدخل فأنا في حاجة لأن أنعش روحي لعلها كانت في حالة خمول.

"دخل رجل بلحية حمراء ورأس حليق، قامة متوسطة، نحيل، عيناه عميقتان بندقيتا اللون فيهما نظرة تأملية، يرتدي قلادة من أحجار سوداء وملابس بسيطة عصرية.

انحنى مرحبا وتحدث بكلمات إنجليزية بسيطة قصد بها الترحيب والوعد بالشفاء"

خرج مايكل منتظرا في الخارج وكنت أنا في انتظاره
- هل تعتقد مايكل أنه سيتماثل للشفاء؟

- جزء كبير من عملية الشفاء تعتمد على مدى إيمان حسين وثقته في المعالج، وأعتقد أن حسين في حالة روحانية جميلة، ستساعد بالتأكيد في استقباله لهذا النوع من التداوي.

هل تعلمين عهد أن هذا النوع من العلاج أو الريفلكسولوجي كان يستخدم في مصر القديمة وفقا لتعاليم هرمس العظيم، وأن فكرة ممارسة القساوسة لهذا النوع من العلاج هو ما وسم من يمارسها بالسحر لأن الأكليروس الأوائل تعلموا أسرار هرمس واستخدموها واعتبروها من أسرار الكنيسة، وانتقلت مع فيثاغورث إلى بلاد اليونان، معنى ذلك أنه كان علما له أصوله وأنا نحن من وضعنا هذه الأسس أو الأصول.

- واضح أنك تمتلك اليقين الذي يحتاجه حسين.
- أنت أيضا عهد في داخلك طاقة وقدرات، فقط تحتاجين أن تقرئي وتندربي مع متخصصين لتمارسي الشافون، وربما بعد فتح فرع بمركز الاستشفاء نشرف أنت وأنا على هذا القسم.

- مايكل .. أريد أن أسألك سؤالا لكن محرجة.
- هل هو السؤال الذي أتوقعه؟ عن ... وهل ينجح هذا التدليك في شفائه من هذه الرغبات؟

- نعم.
- أعتقد بنسبة كبيرة أنه نعم .. فقط نحتاج أن نقتحم حسين من الداخل وسوف أتحدث مع الـ غورو رافا"

يؤمن بأن الوجد ليس عدوا بل هو باب عليك أن تدخل منه لتعود إلى نفسك.

رأيت باب حسين يفتح وسمعت صوته يطلب حضوري .. استأذنت مايكل ودخلت

- أريدك أن تحضري كل الجلسات .. فلا أسرار بيننا ولا أشعر بالأمان إلا في وجودك ..
انحنى رافا لي موافقا على حضوري .

وجه الحديث إلي بالإنجليزية .. كانت إنجليزيتة ولكنها هندية لطيفة .. أخبرني بأنه يستخدم **الكونسيلنج** في أولى جلساته، فهي تسرع من عملية العلاج، وأن حسين من طلبني فهو يشعر بالراحة في تواجدي أثناء الجلسات، وأنه أول مريض يطلب حضور آخر في مثل تلك الجلسات.

انحنى مُرحبا وتحدث بكلمات إنجليزية بسيطة قصد بها الترحيب والوعد بالشفاء"

حوار حسين أثناء الجلسة كان مختلفا، لم يتطرق إلى طفولته وما تعرض له من تحرش، ولم يخض في علاقاته وعمله وما تقوم به المؤسسة من أعمال هي جزء من أعمال الشر، لكن كان حديثه عن الإيمان والرب وعن سبب خلقنا وعن التعاسة التي يعيشها من استمتع باللذة، كان حديثا خارقا لكل ما هو متوقع، نطق بكل ما أضله عن روحه التي ميزت الإنسان عن باقي المخلوقات .. هنا تحدث **غورو رافا**، وحاول أن يستحث حسين آخر في الانطلاق من جسده .. أشعل

عددا من الشموع وأحرق بخورا، برائحته التي ساعدت على استرخاء حسين وأنا معه، وتركه يتحدث .. كان يعمل بيديه بالضغط على نقاط معينة في قدميه ثم ظهره ويلمس بأصابعه كفيه، ثم أذنيه ووجهه، وخلال تلك اللمسات التي يعقبها ضغط خفيف ينطق ببعض الابتهالات أو الصلاة الخاصة.. ليتوقف حسين عن الكلام ويستغرق في النوم.

تنتهي الجلسة ونطفئ الشموع والبخور ونخرج. كان مايكل ما زال منتظرا بالخارج، حاول أن يسأل "الغورو رافا" عن حالته، ولكنه اكتفى بأنه سيحدد له جلسة قريبا وطماننا أن حسين هالته تقوى، وأن بداخله روحا قوية وهو يقاتل لأن يسترد نفسه وجسده. لا أدري لم ذكر كلمة جسد في حديثه لكن شعرت بالأمل ينطق في كلماته.

استأذن مايكل في الانصراف لأنه سيصحب رافا معه إلى الفندق..

- مايكل، أعتقد أنك قادر أن تكمل جلسات الاستشفاء بدلا عني فأنت تحبه وفي داخلك نقاء غير عادي، كما أنك تدربت معي على عدد من الحالات كانت أكثر خطورة وأثق أنك ستكون قادرا على معالجته فلقد قمت معه بالكونسيلنج، وهو ليس في حاجة إلى ذلك، هو في حاجة للشافون والتحاور معه بلغة دينه، لا أريد أن أشتت روحه، لمصلحته أن يتوائم مع ثقافته ودينه وأنت خير من يرده مع الجلسات.

- هل غيرت رأيك في عرضي أن تعمل معنا في مركز الاستشفاء؟
- بالعكس.. أنا سعيد بهذا التعاون وأرحب بالعمل معك ومع السيد حسين.
- سأقوم بالجلسة الثانية بعد يومين ولا بد أن تحضر معي وتراقبني وأنا أعمل معه.
- وعهد هانم؟
- السيدة عهد تحضر الجلسة كرفيقة لزوجها أما أنت تحضرها كـمعالج.. يبدو أن السيد حسين طاقته تنجذب لعهد بصورة طيبة، مما سيسهل علينا العلاج.
- واظب حسين على الجلسات، بعضها قام بها مايكل والبعض قام بها رافا .. ولمسنا تحسنا ملحوظا في حالة حسين الصحية وكذلك النفسية، ومما أسهم في نجاح ما قمنا به أن حسين كان يمتلك الإرادة في الشفاء وفي النهوض، وشجعه تواجدي الدائم معه.

نذرت إن عدت سليماً أن أذهب إلى الحج؛ لأحقق رجاء أمي أمينة، وأنا أشعر بأنني صرت أفضل، ومع التحرك وعدم الاستسلام للرقود، سأهزم العجز، كما أنني أرغب في أن أجرب نفسي حاجاً، لنذهب معا عهد .. أرف في موعد الحج وكان لا بد أن أسرع .. لنستشير د. فادي ورافا ونقرر..

- لا .. لأستشير نفسي ..

- أخشى أن نتعجل وأكون سبباً في أن تنتكس صحتك.

- أنا من يدرك مدى تحملي .. سأقدر.

- كما تحب .. سأنسق جدول الأعمال مع وعد و وجد ومايكل ونسافر ..

"وجدت في سفر حسين فرصة بل منحة إلهية ستعيد حسين الإنسان؛ لذا لم أعارضه طويلاً، كذلك كان رأي رافا ومايكل.

ذهبنا للحج هذا العام .. عاش حسين في حالة من النشوة والبكاء، كذلك عشت الحالة معه .. كلما اقترب من مسجد الرسول يجلس بجواره باكيًا ويغادر مُجبراً.

كنت أشهد خلق إنسان جديد .. عودة إنسان ضل الطريق لسنوات حتى عاد إلى بيته حيث السلام والراحة .. دعوت الله ألا تكون حالة طارئة سببها أجواء الحجيج. عدنا بعد أسبوعين من العبادة والتطهر إلى الدنيا بكل إغوائاتها.

صفوت على صراخ حسين وصوته العالي، و صوت لصفوت وشجار، لم يتحكم حسين في غضبه، نزلت السلم سريعاً، فتحت الباب ليتوقف الشجار وعلامات الغضب تلبّست وجه حسين وصمت أجبر عليه الاثنان

..

- أهلا صفوت .. يبدو أن الأمر هام لتأت في هذه الساعة .. اجلس لتناول الفطور معنا.

- نعم من فضلك .. جهزي لنا الفطور واتركي لنا مناقشة بعض المشاكل التي تخص المؤسسة.

أغلقت الباب ودخلت المطبخ، ولكن انتابني القلق والفضول، خاصة أنني لا أثق في صفوت .. كنت في حاجة للتنصت.. شغلت الكامري را الداخلية التي تم زرعتها لمتابعة حسين وحتى أكون على اتصال معه إن احتاج أي مساعدة، وجلست للاستماع ..

كانت (مايومي) متغيبية عن المطبخ، تتسوق ومعها السائق ..

الحديث كان عن انتحار الفنانة (ستاريا)، النجمة الأولى في الشركة، لكن كانت التلميحات التي أطلقها صفوت تكشف تورط الشركة في هذه الجريمة ..

كان حسين يردد بعصبية: نحن لسنا عصابة ولم يجب أبدا أن تصل الأمور إلى تلك الكارثة .. لا تصل لحد القتل يا صفوت .. لقد ارتكبت مخالفة لن أسامحك عليها ولن أسمح بتورط أحد من العاملين معي في ذلك .. هل كنت في وعيك حين ارتكبتم تلك المصيبة؟ هل تعلم مدى الخطورة التي تعرضت عهد لها لتعالج أنت تلك المصيبة، ولمصلحتك أن تنتهي سريعا وإلا سأكون مضطرا لاتخاذ إجراءات لن تروق لك..

هبطت واستغللت تواجد حسين في الحمام ليأخذ حمامه، وسحبت المسجل ونقلت كل شئ على (اللاب توب)، لم يكن تجسسي إلا حرصا وحفاظا علي وإخوتي من تلاعب صفوت، فلم أكن أبدا أثق في قراراته وتصرفاته..

تطورت الأمور وتصاعدت بسرعة كبيرة، لكن زاد احترامي لحسين وتمسكي به لأنه حمل نفسه أغلب الإمضاءات والقرارات وأعفاني من أي مسؤولية قانونية قد تصيبني وإخوتي ..لم يشفع لحسين كرجل أعمال ناجح واستثماري كبير، ألا تنهال عليه الصحف والقنوات الخاصة والتي تمثل المعارضة، أن تهاجمه وتطالب بسرعة محاكمته وشركائه، ليظهر على السطح ما نشعر به جميعا، عنصرية خالصة وكراهية للعرب، وخاصة دول البترول، والذين صورهم الإعلام بذكائب أموال يحملها رجل متعطش للنساء والخمر،

وأَنهم هنا بلندن ليدمروها بهمجيتهم وجهلهم، أما عن أموالهم فهي حق لبريطانيا ...

تحمل حسين الكثير، هو الذي لم يكد يقف على قدميه حتى تساقطت فوق رأسه الاتهامات .. أنقذته من كل تلك الكوارث خبرته وفهمه للعقلية الغربية؛ لذا رفض الظهور في الاعلام وصدر لهم محامي الشركة الانجليز ليكونوا خير ممثل للشركة

عاد حسين مرهقا .. منكسرا .. هو الرجل الذي انحنت له رؤوس، فهو دولة ..

"الليبرالية والديمقراطية والمساواة، مفاهيم تطبق هنا على أهل البلد فقط، أما المستثمر العربي أو الأجنبي فهو مُرحب به إلى أن يقع في خطأ ما، يستعيدون تاريخه وجنسيته وكأنهما سجل إجرامي يظل معاقب بسببهما.

خرج حسين من هذه الجريمة التي اتهم بها العاملين في مؤسسته بعد تحقيق طويل ولأيام طويلة، إلى أن انتهت القضية بالتأكيد على انتحارها بجرعة زائدة من المخدرات، بعدها اجتمع حسين مع مجلس الإدارة وشركائه، واتخذوا قرارا بإقالة صفوت ومجموعة الموظفين الذين عملوا تحت يديه وبكل اسم تم اتهامه في تلك الجريمة حتى بعد التبرأة ..

لم يعد حسين كما كان، ظل لفترة طويلة يعمل بلاحماسة، يذهب إلى المؤسسة لإتمام الصفقات المعطلة والانتها من العقود التي أبرمت.. لم يدخل في مشاريع جديدة، لم يتفق على إعلانات جديدة، وصمم على بيع القناة التي تحمل اسم المؤسسة.

أخفي حسين عني وعن الجميع، إلا مايكل، ما يفكر فيه وما يخطط له ... كان مايكل فقط الذي يتحرك معه أينما ذهب.

كانت غرفة حسين لا تخلو من الزوار، المحامي الخاص، أمه التي وجدتها فجأة أمامي، وجلسة بينها وبين حسين .. كانت تعبيرات وجهها تتنوع بين الضحك فرحة والحزن .. أنا لا أفهم ما يحدث.

تفاجأت بقرار وعد بالعودة إلى مصر، بل وقدمت استقالتها، وحين سألتها عن مايكل أخبرتني أنها مترددة لأي علاقة تبعتها عن القاهرة، وأنها أخبرته برأيها وعليه هو أيضا أن يختار، وحدثتني عن هواجسها بأن مايكل يهرب من شيء ما في مصر يتمتع كلما ذكرت له العودة، وهو قليل الكلام لا يبوح بالكثير، ربما يكون شخصية ناجحة متألقة، لكن لا تعرف عن حياته إلا القليل جدا، حتى مشاعره لا تثق في مدى صدقها .. وهي ترفض أن تُعرض نفسها لصدمة أخرى؛ لذا أثرت السلامة والابتعاد، كما أنها لا تشعر بالأمان هنا رغم الحياة المتحضرة وسيادة القانون،

لكنهم ما زالوا ينظرون لكل عربي مسلم نظرات الارتياب والحرص وأحيانا سوء الظن، وقد ناقشت وجدي في قرارها وقد لاقى القبول والتشجيع منه وطلب منها الإسراع بالعودة، أما عن وجدي فسيؤجل العودة إلى مصر إلى أن تستقر الأمور معي ومع حسين. كنت أرجو أن تبقى وعد ومعها وجدي، فأنا أشعر في وجودهما بالأمان وأنهما يسانداني ويقفان بجواري فيما أتحملة من مشاق وأعباء ولكنه اختياري ولا بد أن أتحمل نتائجه.

بعودة وعد وابتعادها عني، عاد إليّ إحساس الغربة وبدأ القلق يعتلي فكري خوفا أن يتبعها وجدي .. بدأ الألم النفسي والشعور بالوحدة .. وها هو مايكل ينشغل في خططه الجديدة ورغبته في الارتباط بوعد، لم يعد متفرضا لي، يبدو أنه بالفعل تعلق بوعد، فهي التي كان ينتظرها وكنت أنا انعكاسا لصورتها أحب فيها التزامها وتدينها، وأدرك أنه في حاجة لشخصية مثلها تشبه ما يبحث عنه، تكلمه .. أحب وعد وصار يفكر بجدية في عودته إلى مصر لكن المسؤوليات التي يتولاها وعمله يعقدان الفكرة ..

حين صارحني بما في قلبه، وعدته أنني سأساعده في الزواج من وعد وإقناعها، وأنا سنسافر سويا للتعرف على أسرتي والتقدم الرسمي لها وإعادتها إلى لندن، أو أن يتقاسما الحياة بين القاهرة ولندن.

اطمأن مايكل .. ليسألني عن ردود أفعال الأسرة من اسمه "مايكل" .. لتظهر أزمة جديدة .. ليقرر وبجراحة أن يعلن إسلامه أو بالمعنى الأكثر صدقا أن يسترد نفسه.
عدت لزيارة د. البير.

تركني أتحدث وسألني أسئلة كانت بالفعل كاشفة لما أعانيه ..

نعم .. ما أعيشه وما أعانيه هنا أصاب حياتي ومعتقداتي بزلزلة ما زالت توابعها بنفس القوة، وصار يقيني يتمايل وكأنه فقد الثبات، أفقدتني القوانين هنا القدرة على الثبات، وكلما مددت يدي لأتشبث بإيماني رأيته يبتعد كما السراب، وكلما اقتربت انزلق بعيدا ليغيب مع غياب الشمس.

حدثته عن إحساسي بأنني خنت حسين، وشعوري الدائم بأنني أعاني عدم الاتزان العاطفي، وأنا أحتاج أن أسترد يقيني .. أسترد ثقتي فيما تربيت عليه من قيم .. أريد أن أسترد ثقتي في الصبح وأنه ما لا يضر بالطبيعة ولا بالإنسان، وسألته: هل ما أنا فيه شيء طبيعي؟ هل يحق للمرأة أن تحب أكثر من رجل في وقت واحد خاصة أن صفة التعدد ذكرورية لم يتحدث العلم عنها كصفة أنثوية؟

لينفي هذا الاعتقاد ويطمئنني بأن ما كنت أشعر به هو شيء طبيعي، يعد دفاعا عن النفس، بل نعتبره فطريا غريزيا، وأني كنت أعاني فراغا عاطفيا وحرمانا من

النادر أن يتحمّله إنسان؛ لذا كنت أسعى لملء هذا الفراغ بالبحث عن يكمله..

حين تعلقت بمايكل، وجدت فيه بعضاً من فارس الأحلام، ولكن الصورة لم تكن بالكمال الذي كنت أبعيه فأكملتُها بتعلقي بفادي، وكل ذلك لأن حسين غاب تماماً عن الحلم، فلقد أقصى نفسه من البطولة في قصتك إلى أن نجح هو أو الظروف في إعادة جمعكما معاً، لتكتشفي أن حسين هو الرجل الذي كنت تنشدين، فاكثفت به.

طلب مني ألبير الحفاظ على الجلسات وكتب لي بعض المهدئات والمنوم، وطلب مني التوقف عنها بعد أسبوع إلى أن تستقر حالتي ..

لم تعد بداخلي رغبة في مواصلة الحرب والدفاع عن حسين .. كل ما بداخلي هو رغبة في الفرار .. اشتقت للنوم بلا هموم وصار النوم بعيداً .. كنت أتجنب الالتقاء به .. كلما عاد ادعيت النوم لكنه رأى الأدوية التي أتناولها صدمة حين كان يفتش عن بعض الأوراق في غرفة نومي.

اتصل بألبير، الذي نصحه بأن يمنحني إجازة استشفاء وأن يسمح لي بزيارة أسرتي فهذا سيساعدني على التخلص من الأرق ويخفف من الضغط النفسي الذي عشته.

نزلت في أحد الصباحات لتناول الإفطار، فوجدته
جالسا بالصالة ينتظرني لتناول الفطور معا ..

دعاني للجلوس وربت على كتفي، وظل لدقيقة يتأمل
وجهي .. لمس جفوني بإصبعه غيم على وجهه الحزن
.. واعتذر لي...

- أعتذر لك ست البنات .. لقد تسببت لك في الكثير من
الوجع والألم والإهانة .. كنت أنانيا، لكن أقسم لك إنني
أبدا لم أتعمد ذلك، رغم ما يراه الجميع من قوتي
وشدتي وحزمي إلا أنني كنت هشا من داخلي، أبحث
عن إنسان لا أخجل أن أرتمي على صدره وأنكشف
أمامه بضعفي .. وكنت أنت، وثقت بك .. لم أخجل أبدا
أن أظهر بكل عيوبي ونواقصي أمامك وكأنك أمي التي
أثق في أنها ستسترني وستدرك أنني بشر أخطئ
وأصيب .. وستلتمس لي العذر وتمنحني الغفران إن
رجوتها ..

كنت أكثر من ذلك .. أنت مزيج من الأم والحبوبة ..
سامحيني عهد .. اغفري لي .. أتعبتك .. الآن أمنحك
الحرية في أن تختاري حياتك واتركيني أواجه مصيري
وآثامي ، رغم أنني لا أتخيل حياتي دونك .. فأنت
جدران بيتي بل أنت البيت والوطن..

لقد ضاعت مني أمي أمينة وابني، وخانني صفوت
وقبله ازيد، وها هو مايكل ينشغل بحياته الخاصة فهو

في حاجة للاستقرار والسلام النفسي الذي ننشده جميعا،
فلقد عانى بما يكفي من الغربة والحنين للوطن ..
كلكم سيتخلى عني ويتركني في غربتي وحدي مع لعنة
المال.

لنعودي إلى أسرتك .. سأحجز لك تذكرة السفر
وسأمنحك ما يكفيك، فأنا لن أقف متفرجا لأراك
تضيعين مني .. أعرف علاجك .. ستعودين أقوى
واجمل حين تتبعدين عن عالمي وعني ..

عهد .. زوجتي الحبيبة .. لقد نجحت لم تفشلي فيما
كنت تخططين له .. نجحت في أن تجعل قلبي يدق
للإنسان الصحيح .. بالفعل أحببتك .. رددت لي الثقة
في النساء .. عالجت اعوجاجي .. أحببتك عهد .. لقد
عدت رجلا .. نزعت عن جسدي الوباء .. لقد بعثت
حسين من الموت، رد لي إيماني الذي أبدا لن أسمح لك
بأن تضيعيه منك..

"دموعه لم تتوقف، كانت شلالات تغسل روحه،
وكلماته خرجت من روحه وقلبه فصدقته .. وضعت
كفي على فمه لأسكت قراراته التي تؤلمه أكثر مني
وأقسمت أني لن أتخلى عنه .. كيف أتخلى عنه بعد أن
عاد؟ كيف أخذه؟ وإن تركته كيف سأعيش مع
ضميري؟

لم يكن لي أن أعيش مراهنتي ولا أن أعيش قصة حب
حالمة فأنا ابنة عصر التكنولوجيا، عصر يتسم
بالسرعة والساعات تتبخر ومعها العمر، وقد جربت
حبا من نوع مختلف، وهبه لي الله ولن أتخلى عنه ..
سأعود زوجة له، فطالما هو حسين الذي اكتملت
رجولته وسيكفيني ويكملني .. فرجل واحد يكفي" ..

- لن أتخلى عنك حسين، بل سيكون لنا بيت وأطفال ..
هذا ما أريده .. لنعمل معا على خلق سعادتنا.

احتضنته وبداخلي مشاعر كلها رضا وحب، هو ليس
عشقا مشتهى بل حب هادئ عاقل صهرته الآلام
وشكلت منه علاقة ثمينة لا تقدر بثمن.

التقينا كزوجين بعد حرمان سنوات، مررنا بها بالكثير،
وجربنا الكثير من العلاقات، وحلمنا معا بأبنائنا ..
سيحملون ملامحه ولامحي .. ربما يكونون بجنون
أبيهم وجمال أمهم .. كانت أحلاما مشتركة وتحققها
سيكون بنا معا ..

تمر الأيام ليهديني القدر هدية أخرى، وكأنه يكرمني
على ما بذلته من مجهود وما كان في قلبي من يقين
زاد من امتناني لربي، فلقد منحني ابنا ينمو في
أحشائي، نما من علاقة حب طبيعية راقية كما عاهدت
حسين .. وكم كانت فرحة حسين بذلك!

طلب مني حسين ألا أقود السيارة بنفسي، فالجو غير مناسب، ونصحتني بأن يكون معي خليل ..

بعد الكثير من الجدل وافق أن أقود السيارة ..

الضباب كان يمتد أمامي .. الرؤية لم تكن واضحة .. كنت أقود السيارة بسرعة لم تتجاوز الستين، انعطفت من طريق ضيق لتفاجئني سيارة نقل ضخمة، حاولت أن أتفادها .. ارتبكت للحظة، لتتقلب السيارة بي عدة مرات، رأيت خلالها السماء فقط، وهدوء، ونور أزعج عيني، ثم رحت ...

"تم نقل عهد، وفي محاولة لإسعافها لم تنجُ.

غادرت عهد عاصمة الضباب بلا عودة .. تركت خلفها أحلاما وإيمانا زرعت بذوره في حديقة بيتها مع الزنبق وبذور عطر شان، زلزت الأرض تحت يقين الأبحاث العلمية التي تحركها أموال المنتفعين .. تركت للعالم تجربتها مع حسين الذي ردته إلى نفسه رجلا .. ويقين أن الإنسان مخلوق أرقى لا يصنف مع أي مخلوقات أخرى وإن تشابهت معه في سمات بيولوجية ظاهرية، فهو المخلوق الوحيد الذي يتميز بأن له إرادة وعقل وضمير.

تم التحقيق في حادثة عهد، وكانت الشكوك قد شملت صفوت وأزید وأبناء عمومته، لكن لغياب الأدلة الكافية تم حفظها.

بکی حسین طویلا، لم يتحمل غياب عهد من حياته ونزع ابنه الذي كان ينتظر أن يكون امتداده .. كان موتها العتبة التي أخذته إلى دنيا أخرى.

"مايكل، لقد رأيته .. مد لي كفه بماء طهور وسقاني ..
كان مبتسما .. بعد أن انصرف قال لي أحدهم إنه
محمد...

هل ما رأيته صحيح يا مايكل؟! هل سقاني الرسول ماء
طهورا؟ هل استحققت اهتمامه وشفاعته ليزورني أنا؟

- لم لا حسين .. لقد رأيك كما أنت لا كما يراك الناس ..
رأى حسين الإنسان الذي يتمتع بالنقاء الروحي، رأى
الوجه الصادق الذي لا يراه الناس العاديون ..

احفظ رؤيتك .. لا تقصصها على أحد فهي أسرار إن
أفشيته راح عنك الأطهار، وضعت في الدنيا ثانية..

- مايكل.. الحق بوعد لا تضيعها من يديك .. هي ما
تبقى لنا من رائحة عهد.

اجتمع مجلس الإدارة والمحامي الخاص بالمؤسسة ..
تم بيع جزء من المؤسسة لوجدي وجزء منه تبرع به
باسم عهد للمستشفى لعلاج مرضي السرطان في
مصر، وتوكيل عام لمايكل فيما تبقى من المؤسسة وأن
يحول العائد على بنك بالمملكة تحت اسم حسين ..

هناك بجوار مسجد الرسول يجلس حسين كهلا بلحية
بيضاء، وبقميصه الأبيض، ممسكا بمكنسة ينظف حول
المسجد، أو يجلس ممسكا بالمصحف يقرأ ويعلم عددا

من الرواد، أو تراه يدور حول الكعبة يناجي ربه،
يتحدث معه ويردد دعاء الاستغفار لينهي أدعيته دائماً
بدعائه المتكرر "عهد يارب .. عهد يارب"، ومع كل
تردد لهذا الدعاء لا تتردد دموعه في مصاحبته ..
ليردد بعده المعتمرون نفس الدعاء..

"عهد يا رب"!!



راقبت غالبية الحضور، فحسي الفني الذي يعد الفضول أحد حواسه الملهمه دفعني للبقاء وأن أظل متفرجة فقط، ولكن لم لاحظ أن هناك أيضا من يراقبني، كانت عيون حسين تلفني وتحوط نظراتي وضحكاتي، وأيضا ما يرسمه الخجل من انحناءات لرأسي أظهرتني كما فتاة هبطت قريبا من طفولتها. كنت أختبئ أحيانا في ظل الستارة خلفي خوفا من عالم منفتح لأقصى الدرجات، انتابني حالة تردد ما بين فضول الفنان للاطلاع على هذا العالم الذي رأيت فيه كل ما هو منبوذ ومرفوض من الأعراف والأديان، ربما أجسد إحدى تلك الشخصيات يوما ما، وما بين خوفي كفتاة شرقية عربية نشأت في بيئة متحفظة، تربت على قيم صعب التملص منها أو خلعها كعباءة عربية لا تتناسب مع الأجواء ليتسرب القلق والخوف إلى قلبي مما قد أتعرض له من جنون.

عندما خرجت التصرفات لتجتاز حدودي، رفعت عن نفسي السكوت وصحت رافضة وطلبت من الأمن أن يستدعي أحد السائقين ليعيدني إلى البيت، فإذا بالسيد حسين يقف خلفي ويؤكد على رجل الأمن أن يستدعي سائقه الخاص.